فاروق جويدة

من يكتب تاريخ ثورة يوليو



دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

فاروق جويدة

من يكتب تاريخ ثورة يوليو

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتاب : من يكتب تاريخ ثورة يوليو
المؤلف : أ / فاروق جويدة
رقم الإيداع : ١٣٠٤٧
تاريخ النشر : ٢٠٠٠
الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977 - 215 - 450 - 1

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
ت : ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤
التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

كلمة لابد منها

تكتسب الأحداث أهميتها فى الحياة بعمق تأثيرها.. فما أكثر الأحداث التى تعبر فى عمر الإنسان ولا يبقى منها شىء على الإطلاق... ولكن هناك أحداث لا يستطيع الإنسان مهما حاول أن يسقطها من عمره وأن يلقى عليها ظلال النسيان.

وما يحدث فى حياة الأفراد يحدث أيضا فى مسيرة الشعوب هناك أحداث ضخمة لا تستطيع الشعوب أن تسقطها من تاريخها لأنها علامات بارزة.. وعادة ما ترتبط هذه الأحداث بتحولات ضخمة.. إنها تشبه الى حد كبير تلك الظواهر الطبيعية التى تغير مجرى النهر وتجعله يسلك طريقا آخراً غير طريقه.. إنها الزلازل التى تغير قشرة الأرض وتعيد تشكيلها من جديد.

من هنا فإن ثورة يوليو لم تكن أبدا حدثًا عابراً فى تاريخ مصر الحديث.. وإذا كانت نقطة تحول فى تاريخ شعب.. فهى أيضا وبكل المقاييس الإنسانية أهم حدث فى تاريخنا كأفراد.

ولا يستطيع إنسان مهما كانت قدرته أن يجمع خيوط ثورة يوليو أو أن يلقى الضوء على كل جوانب هذا الحدث الضخم فى سلسلة مقالات أو أبحاث أو روايات.. إن هذه مهمة صعبة للغاية.. بل إنها مستحيلة.. من حيث العمق الزمنى لا أتصور أن نجمع حصيلة نصف قرن من الزمان فى مجموعة صفحات من الأوراق مهما كان عددها.. ومن حيث التأثير.. فإن ثورة يوليو تجاوزت فى تأثيرها كل الحدود التى يمكن أن تخضع للدراسات والأبحاث لأن ما لا نعرفه عنها أكبر بكثير من كل ما عرفناه.. من هنا يصبح البحث أيضا مهمة صعبة.. بل مستحيلة.

وأنا واحد من أبناء ثورة يوليو.

تعلمت فى مدارسها التى منحتنا مجانية التعليم.

ولم أكن من أبناء الطبقة الغنية التى استولت الثورة على أراضيها أو أممت مصانعها أو اقتحمت قصورها.

ولم أكن فى خندق فكرى بعيد عنها فلم تكن لى يوما انتماءات حزبية ضيقة تحجر على فكرى وتحد من رؤيتى للأشياء.

ولم تعتقلنى الثورة ولم أسجن بين قضبانها الحديدية.. ولم تفرض علينا حراستها أو قرارات تأميمها.

من هنا لا أجد حرجا على الإطلاق فى أن نناقش قضايا كثيرة بعضها بقى سرًّا، والبعض الآخر كان من نصيبه التجاهل.. وهناك من سقط فى دوامات التعتيم.

إن أخطر هذه القضايا لا يتعلق فقط بإجراءات اتخذتها الثورة او قرارات أصدرتها أو تجاوزات ارتكبتها ولكنه يتعلق بمراحل هامة فى تاريخ الثورة نفسها بقيت مجهولة المعالم لا أحد يعرف عنها شيئا على الإطلاق.

لقد بقى تاريخ ثورة يوليو سردابا مظلما لم نعرف يوما كل ما دار فيه وما جرى.. ولم يكن ذلك قاصرا على فترة بعينها ولكن التعتيم كان السمة البارزة لكل أحداث الثورة.

وعلى سبيل المثال.

بقى توزيع الأدوار على أعضاء مجلس قيادة الثورة سرًّا مجهولا.

فى فترة عبد الناصر كان عبد الناصر ودوره وتاريخه هو كل شىء وما عداه باطل.

وفى فترة حكم السادات تم إلغاء فترة عبد الناصر وأصبح تاريخ السادات هو كل شىء.. وما عداه باطل.

ثم بدأت رحلة إلغاء تاريخ السادات.

وهنا سقطت أدوار كثيرة.

سقط تماما دور محمد نجيب.. البعض يراه شريكا من الباطن لا حق له فى الثورة ولا شرعية لوجوده.. وكأن الرجل كان مجرد ظل عابر.. رغم أنه وضع حياته على كفه ليلة ٢٣ يوليو.. وكان من

الممكن جدا أن يدفع ثمن ذلك. وظل محمد نجيب صفحة مجهولة الملامح فى تاريخ ثورة يوليو.. وأسقطته تماما مناهج التعليم فى كتب التاريخ.. ولم يعد يذكره أحد حيا أو ميتًا.. وبقيت مصر تحتفل بثورة يوليو كل عام لأكثر من أربعين عاما.. ولم يحدث يوما أن تجرأ أحد وذكر اسم محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر بعد إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية.

سقط تماما اسم يوسف صديق.. هذا المقاتل الذى نجحت ثورة يوليو على يديه.. لقد كان دور يوسف صديق هو نقطة الحسم فى نجاح الثورة.. ولولا الساعات التى سبق بها ساعة الصفر واستطاع أن يقتحم بجنوده قيادة الجيش ويستولى عليها لما نجحت ثورة يوليو.

وللأسف الشديد لم يكن التجاهل والجحود هما الثمن الوحيد الذى دفعه يوسف صديق، كانت هناك عقوبات أخرى كثيرة تحملها بدأت بالسجن وانتهت بالإهانة. ولولا أن خالد محيى الدين كتب قصته مع الثورة فى كتابه الرائع «الآن أتكلم» لكان من نصيبه كل ما لحق بمحمد نجيب ويوسف صديق.. لقد أنقذ خالد محيى الدين تاريخه من أيدى التجاهل والجحود وقال كلمته.

وبقيت صراعات السلطة فصولا غائبة فى تاريخ ثورة يوليو.. لم نعرف لماذا خرج البغدادى ولماذا ابتعد زكريا محيى الدين ولماذا أقيل كمال الدين حسين، وما هو مصير مجلس قيادة الثورة وكيف

مات عبد الحكيم عامر.. بقيت كل هذه الأحداث أسراراً على ألسنة أصحابها لا هم قالوا.. ولا نحن خرجنا من صمتنا الطويل.

كان صراع السلطة جزء هاما فى تاريخ ثورة يوليو.. وقد دفع الشعب المصرى ثمن هذا الصراع.. دفعه فى أزمة مارس ٥٤ عندما استباحت الثورة تجربة مصر الديمقراطية الوليدة .. ودفع الشعب المصرى ثمن هذه الصراعات أمام مراكز القوى وأجهزة التعذيب والسجون والمعتقلات .. ودفع الشعب المصرى هذا الثمن فى حرب اليمن ولجان تصفية الإقطاع ونهب ثروة مصر.. و...... أيضا فى نكسة ٦٧ وهى أكبر خطايا ثورة يوليو.

ثم دفعها مرة أخرى فى صراعات ١٥ مايو و٥ سبتمبر وسجن المعارضة المصرية بكل رموزها فى ليلة واحدة.. هذا كله تاريخ مجهول لا نعرف عنه شيئا ابتداء بصراع عبد الناصر مع محمد نجيب وانتهاء بصراعه مع عبد الحكيم عامر.

ثم أكمل الرئيس السادات مسلسل الصراع الدامى على السلطة مع من بقى من رجال الثورة فيما سمى بثورة التصحيح.

كان موقف عبد الناصر مع سلاح الفرسان صراعا على السلطة.

وكانت معركته مع محمد نجيب.. صراع سلطة، وكانت قصته مع عبد الحكيم عامر صراع سلطة.. وكانت معركة السادات مع مراكز القوى صراعا على السلطة.. وكانت معركته مع المعارضة صراعا من أجل السلطة.

وكانت الضحية فى ذلك كله هى الديمقراطية أمل مصر الغائب ومستقبلها الغامض وحلمها الذى لم يتحقق.

كانت هذه التساؤلات جميعا تدور فى رأسى منذ سنوات بعيدة.

أنا واحد من جيل نشأ وترعرع مع أحلام ثورة يوليو .. كانت خطب عبد الناصر هى الدماء التى تتدفق فى عروقنا منذ كنا أطفالا صغارًا.

مازلت أذكر خطابا أرسله لى عبد الناصر وأنا طالب فى المرحلة الاعدادية.. يومها كنت أطوف مع زملائى فى المدرسة وأقرأ عليهم ما كتبه لى عبد الناصر.. ورغم أن عشرات التلاميذ غيرى كان من نصيبهم مثل هذا الخطاب إلا أنه بقى من أعز الأشياء التى عرفتها طفولتى.

فى عام ١٩٦٦ كان الرئيس عبد الناصر يزور الاسكندرية ومعه رئيس أثيوبيا هيلاسلاسى.. وكنا يومها نشارك فى معسكر لمنظمة الشباب فى أبو قير.. كان هذا المعسكر يضم أوائل الجامعات من الطلبة المتفوقين والمعيدين وبعض الأساتذة.

ويومها وجدنا أحد المشرفين على المعسكر يوزع علينا قصاصات ورق صغيرة.. وبدأت أقرأ ما فيها.. إنها هتافات طلبوا منها يومها أن نرددها ونحن نستقبل عبد الناصر وهيلاسلاسى فى مطار النزهة بالاسكندرية.. ووقفت أناقش أحد المسئولين عن

المعسكر وقلت له أنا لا أعترض على استقبالنا للرئيس عبد الناصر وضيفه.. ولكنى أعترض على توزيع هذه الهتافات علينا.. لماذا لا تتركونا نعبر عن مشاعرنا كما نحب وكما نريد بهتافات نقولها نحن.. ولا توزع علينا وكان رد المشرف غاضبا.. عليكم أن تنفذوا الأوامر.. وأشار نحوى.. أما أنت.. فلن تذهب.. وعليك أن تعود الى بلدتكم.. وعدت الى بلدتى فى محافظة البحيرة.. ولم أدخل بعد ذلك معسكرات منظمة الشباب فقد كانت النكسة أسرع منا جميعا.

ما زلت أذكر الوجه الكئيب لقوات الأمن المركزى وهى تحاصرنا فى قاعة المحاضرات الكبرى بجامعة القاهرة فى مظاهرات ١٩٦٨ التى خرجت ضد النكسة .. وكانت أول ثورة من أبناء ثورة يوليو على ثورتهم.

ما زلت أذكر جمال عبد الناصر وكأنه يقف أمامى الآن قبل حرب يونيه بيوم واحد وهو فى مؤتمره الصحفى يحملنا الى أعتاب القدس ويحلق بنا فوق قبابها الخضراء.

وبعد هذا كله ما زالت صورة عبد الناصر أمامى وهو يصافحنى فى عام ٦٨ فى مبنى جريدة الأهرام والأستاذ هيكل يقدمنا له فردًا فرداً.. يومها نظرت إليه فى حزن شديد وأنا أكاد أبكى وكنت أريد أن أقول له.. لماذا جعلتنا نسرف فى أحلامنا معك؟ كل هذه الصور بقيت فى خيالى. ولم تتركنى لحظة.. وهذه اللحظة ليست

ملكا لى وحدى.. ولكنها ملك جيلى الذى حملته ثورة يوليو الى أبعد نقطة فى هذا الكون ثم ألقته مرة واحدة للخوف والضياع والمجهول.

إن مشكلة جيلى مع عبد الناصر أنه كان قصة حب كبيرة انتهت نهاية مفزعة.. ربما كانت من طرف واحد لأننا أحببناه.. ولا أعتقد أنه أحبنا بنفس الدرجة.. ولو كان عبد الناصر أحبنا لما بخل علينا بأكبر حلم حرمنا منه وهو الحرية.. ومازلنا حتى الآن ندق أبوابها الموصدة فى وجوهنا.. ومازالت مغلقة.. لقد أضاع علينا عبد الناصر أكبر فرصة فى تاريخنا الحديث لنبنى معه تجربة ديمقراطية تليق بنا وبتاريخنا.

ولهذا لم يكن غريبا أن تبقى قضية الديمقراطية حتى الآن واحدة من أهم وأخطر القضايا التى سقطت من بين أيدينا ولم نستطع حتى الآن أن نستردها.

وفى أحيان كثيرة كنت أجلس مع نفسى وأقول.. لو أن الثورة فعلت كذا.. لو أنها قررت كذا.. لو أنها تراجعت عن كذا.. وارسم بدائل للأحداث هى بقايا أحلام نحاول من خلالها أن نجمل وجه الواقع القبيح.

إن قصة جيلى مع ثورة يوليو قصة عجيبة.. فيها قدر كبير من الحب وقدر أكبر من المرارة.

فيها أحلام أبعد من سقف هذا الكون.. وفيها انكسارات أعمق من أبعد نقطة فى أعماق الأرض.

فيها رموز تلألأت ..وتهاوت.. ونجوم تألقت وسقطت.. ووعود خانت.. وأكاذيب حاولت أن ترتدى أقنعة الحقيقة.. وكان السؤال الذى يدور فى ذهنى دائما.. أين الحقيقة.

أين حقيقة هذا العمر الذى ضاع.

هل كان خدعة كبرى أم كان إسرافا فى الأحلام .. أم أننا تركنا أقدارنا فى لحظة حب وضعف واستكانة لمن لم يرحموا براءة قلوبنا وصفاء نفوسنا فأسلمنا لهم كل مقاديرنا دون حساب.

وأمام هذا السؤال وأسئلة كثيرة غيره كنت دائما إحاول أن أبحث عن الحقيقة.

ما هى حقيقة ثورة يوليو.. هل كانت بالفعل تمثل فكرا متكاملا لثورة .. أم أنها محاولة تغيير كانت أقصى أحلامها اصلاح أحوال الجيش والعاملين فيه.

ما هى أسباب هذا الصراع الدامى الذى دار بين أعضاء مجلس قيادة الثورة هل كان السعى إلى السلطة هو السبب أم أن ظروف التغيير هى التى فرضت هذا الصراع.

لماذا أكلت ثورة يوليو كل أبناءها ابتداء بمحمد نجيب وانتهاء بعبد الحكيم عامر مرورا على البغدادى وزكريا محيى الدين والشافعى وصديق وخالد محيى الدين وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين.

ما هى أسباب هذه النزعة الدموية التى واكبت مسيرة الثورة وتركت ظلالها فى عمليات التعذيب والاعتقالات والسجون.. وهل اصبحت هذه الإجراءات سلوكا طبيعيا فى حياتنا.. ولماذا أصبحت السجون فى تاريخ مصر منذ قيام الثورة من الأماكن الهامة التى يرتادها الجميع فى كل عصور الثورة تقريبا.

لماذا لم تكمل ثورة يوليو إنجازاتها من خلال تجربة ديمقراطية حقيقية. ولماذا هذا الإحساس الخاطئ لدى حكامنا بأننا شعب قاصر ولا نستحق هذه الديمقراطية.. هل البلد الذى أنجب كل هذه الرموز فى العلم والفكر والإبداع والثقافة غير مؤهل لكى يحكم نفسه إنها مفارقة عجيبة.

ولماذا غابت قضية الديمقراطية عن فكر وطموح زعيم سياسى فى حجم عبد الناصر وهل هذا الذى حارب كل هذه المعارك قد عجز أن يحارب معركة مع الديمقراطية رغم رصيده الشعبى الخارق؟!

وهذا أيضا ما فعله السادات حينما ضاق ذرعا بالمعارضة وسجنها فى ليلة واحدة.

ما سر هذا العداء بين حكامنا وبين الديمقراطية؟

لماذا حارب عبد الناصر فى اليمن.. ولماذا حدثت نكسة ٦٧ .. ولماذا حدث السلام مع إسرائيل فى كامب ديفيد.. ولماذا فتح السادات المعتقلات رغم أنه بدأ بداية مبشرة حينما أغلق السجون وهدم

أسوارها.. ما هى أسرار العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى فى عهد عبد الناصر وماذا حدث بين السادات والأمريكان.. وما هو دور القوى العالمية فى مسيرة ثورة يوليو بالسلب والإيجاب.

هل انتهت ثورة يوليو بفكرها.. وماذا بقى منا الآن بعد أن سلكت مصر طريقا آخر بدأ بمشروعات الخصخصة وبيع القطاع العام وانتهى بطرد العمال من مصانعهم وهروب الفلاحين من أراضيهم.

تساؤلات كثيرة كانت تطرح نفسها أمامى.. ولا أعتقد أننى أجبت عليها أو وجدت من لديه الإجابة.. وهذه المقالات التى نشرتها فى الأهرام العريق على امتداد شهور ثلاثة أثارت جدلا واسعا بين المؤيدين والمعارضين.. بين ثورة يوليو وحوارييها وبين أعدائها ورافضيها.

كانت هذه المقالات بمثابة حجر ضخم ألقيناه فى بحرية راكدة فتحركت المياه وقامت الزوابع واشتبكت الأيادى وعلا الصراخ أحيانا ولكنها فى كل الحالات إنجاز كبير.

كان أعظم ما فيها لغة الحوار التى حاولت أن تقترب من الحقيقة دون إسفاف أو اتهامات أو تراشق.

كان أعظم ما فيها أيضا أننا أقتربنا من بعض الممنوعات وكان هذا فى حد ذاته إنجازا كبيرا. لقد وضعت ثورة يوليو قائمة كبيرة من الممنوعات فى حياتنا وقد آن لنا أن نسقط هذه القوائم.

كان أعظم ما فيها أنها هزت عروش مسلمات كثيرة وربما كان ذلك هو أول خطوة نحو المعرفة.. فالحقيقة.. فاليقين.

وبعد ذلك كله كانت هناك قائمة كبيرة من المشاركين في هذا الحوار.. الكل قال ما عنده، وسوف نترك للقارئ أن يختار أى طريق يسلك، وأى فكر يريد.. بين هذه الصفحات شهود يقولون شهادتهم لأول مرة.. وعدد كبير من الضباط الأحرار الذين لم نعرف عنهم شيئا.. هذا بجانب أسماء كبيرة كانت يوما صاحبة دور ومسئولية وقرار.

بقيت نقطة أخيرة فى هذه القضية أننا لا نريد أن تسقط أجيال أخرى بعدنا فى دائرة المسلمات والممنوعات والمناطق المحرمة والأسلاك الشائكة.

وقبل هذا كله يجب أن تسقط للأبد أسطورة عبادة الفرد فى بلادنا ويبدو أنها عادة فرعونية قديمة نجيدها ونتوارثها جيلا بعد جيل.

ولهذا يجب أن تتعلم الأجيال الجديدة من أخطائنا فلا تقبل المسلمات دون أن تناقشها.. ولا تقبل الممنوعات دون أن تكشف سرها.. ولا تترك مصيرها وأقدارها وحياتها فى يد مستبد عادل لأن الذى يبقى عادة هو الكلمة الأولى.. أما الثانية فليس لها وجود الآن فى دنيا السياسة.

من هنا تبقى قضية الحرية والديمقراطية هى الأمن والحماية والملاذ لنا جميعا ولا مستقبل لنا إلا بهذا الحق الإلهى العظيم الذى منحه الخالق لعباده وليس من حق أحد مهما علا قدره أن يصادر إرادة رب العالمين.

هذا الكتاب ليس تاريخا .. ولكنه محاولة للإجابة عن سؤال حائر أرّق جيلا انتمى إليه.. لماذا حدث كل هذا.. ولماذا حدث.. وليتنا بعد كل هذا العمر نعرف شيئا عن حقيقة ما حدث.

فاروق جويدة

القاهرة أغسطس ٩٩

ومن ينفذ هذا القانون ؟

تلقيت هذه الرسالة من السيد سامى شرف الوزير السابق وأحد المسئولين البارزين فى فترة حكم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

تقول الرسالة:

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

تحية طيبة وبعد ،،،

قرأت مقالكم المنشور فى جريدة الأهرام ١٨ / ٤ / ١٩٩٩ بعنوان «من ينفذ قرار الحكومة ..؟» والذى تعجبت فيه من عدم تنفيذ الجهات المسئولة لقرار رئيس الوزراء رقم ٣٤٠٨ الصادر فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٧ باعتبار قصر الأمير محمد على بالمنيل بجميع مشتملاته وملحقاته أثرا بما فى ذلك الأرض والبناء والقاعة الذهبية.. إلخ.

إلا أن الأعجب والأكثر غرابة هو أن هناك قانونا (وليس قرارا لرئيس الوزراء) أصدره مجلس الأمة المصرى برقم ٧٧ لسنة ١٩٧٠ بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٧٠، وتنص مادته الأولى على:

«تتنازل الدولة لأسرة المغفور له الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن ملكية الدار التى كان يقيم بها الفقيد بكل من القاهرة والإسكندرية وملحقاتها طوال حياة أسرته على أن تخصص بعد ذلك كمتحف ومزار تخلد به ذكرى الزعيم الراحل».

وبالرغم من مرور ما يقرب من ثلاثين عاما فإن هذا القانون لم ينفذ فى الوقت الذى تصرف فيه ملايين الجنيهات على قصور أخرى.

وبناء على ذلك فإننى أقترح أن تقوم الدولة بتسليم منزل الرئيس جمال عبد الناصر وملحقاته إلى لجنة من الشخصيات العامة المتحمسة - لتحويله إلى متحف ومزار لتخليد ذكرى الزعيم الراحل - لتقوم بالإشراف عليه وإخراجه بالشكل الذى يليق بتجربة ثورة ٢٣ يوليو، ورمزها الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس مصرى منتخب من الشعب المصرى منذ آلاف السنين. وأعتقد أن ذلك لن يكلف الدولة أى مبالغ لأن هناك الآلاف المستعدين للتبرع والمساهمة فى إحياء وتنفيذ القانون المشار إليه».

ولاشك أن السيد سامى شرف على حق لأن جمال عبد الناصر بكل تاريخه وإنجازاته ملك لنا جميعا .. ومهما كان الخلاف أو الاتفاق حول فترة حكمه إلا أنها ستبقى من أكثر الفترات التى شهدت تحولات ضخمة فى مسيرة مصر على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد يأتى زمان يضع هذه التجربة فى مكانها الصحيح.

والحديث عن التجربة الناصرية حديث طويل، وللأسف الشديد أن الانقسام حول هذه التجربة كان حادا وعنيفا بين المؤيدين بشدة والرافضين بعنف، وإن بقى تاريخ الرجل وتجربته فى حاجة إلى رؤى موضوعية تضع كل شىء فى مكانه ما كان له وما كان عليه، وأعتقد أن هذا سوف يحدث يوما بعد أن تهدأ المعارك ويختفى الغبار ويعود للحياة قدر أكبر من الأمانة والموضوعية.

وإذا كنت أطالب بحماية تراث مصر المعمارى من القصور والمبانى التاريخية، وقد سخرت قلمى فترة طويلة لهذه القضية إيمانا منى بأن هذا التراث من أعظم ما تملك مصر إلا أننى أعتقد أن تراث مصر الإنسانى، وعبد الناصر بكل تأكيد جزء عزيز منه، يستحق كل الحماية لأنه يمثل ذاكرة هذه الأمة.

لقد كان هناك مشروع لتحويل مبنى مجلس قيادة الثورة

بجوار شيراتون الجزيرة إلى متحف يضم آثار زعماء مصر وتاريخ ثورة يوليو ورموزها.. ويبقى المشروع حتى الآن حبرا على ورق.. وللأسف الشديد أننا أهملنا التراث المعمارى والحضارى كما أهملنا ذاكرة هذه الأمة من خلال رموزها فى السياسة والإبداع.

لقد بقى بيت الأمة فترة طويلة مهملا وهو يضم تاريخ سعد زغلول .. وقد علمت أخيرًا أن متحف العقاد فى أسوان يتعرض لأخطار كثيرة.. ولا يوجد لدينا متحف يجمع تراث رموزنا فى الفكر والأدب والثقافة.

وما حدث فى الإبداع حدث أيضا فى السياسة، وربما كان السبب فى ذلك أن نشرة الأحوال السياسية عندنا تخضع لتقلبات حادة كان لها تأثيرها فى تقويم أدوار رموز مصر السياسية وعبد الناصر من أكثر الزعماء الذين تعرضوا لهذه التقلبات.

ولعل السيد سامى شرف وقد كان فى قلب السلطة يوما يتفق معى فى أن ثورة يوليو للأسف الشديد تعاملت بجحود غريب مع كل ما سبقها من رموز.. إن محمد على على سبيل المثال تعرض لعملية تشويه ضارية .. وكذلك الخديو إسماعيل الذى نزعنا تمثاله من الإسكندرية والقيناه فى إحدى الخرابات.. وكذلك سعد زغلول والنحاس باشا ومحمد نجيب والسنهورى وعباس العقاد وغيرهم.

وللأسف الشديد أن الجحود الذى تعاملنا به مع رموزنا السابقة أصبح منهجا وأسلوبا وإن كان البعض يرى أن له جذورا فى تاريخنا الفرعونى القديم.

ومن أراد أن يعرف كيف نتعامل مع الرموز الوطنية حتى الآن فليقرأ كتب التاريخ التى يدرسها أبناؤنا فى المدارس.

إن تاريخ عبد الناصر فى كتاب التاريخ فى الثانوية العامة لا يتجاوز عشرة سطور.. ولا شىء إطلاقا عن محمد على أو إسماعيل.. وحرب أكتوبر لم يذكر فيها اسم أنور السادات إلا مرة واحدة على استحياء.. ولا يوجد شىء عن سعد زغلول والنحاس باشا.. وهذا الكتاب الذى يدرسه أبناؤنا يقدم لهم للأسف الشديد أول دروس النفاق فى حياتهم.

ودارت كأس الجحود وأسكرت الجميع وكان الضحية فى ذلك كله تاريخ أمة عظيمة استباحتها الأهواء والأغراض والمصالح والرؤى الضيقة، وحكمت تاريخها تصفية الحسابات بين مراحل زمنية حاربت بعضها بعضا أمام أهل الثقة وأهل الخبرة والراقصين على الحبال من كل لون وفى كل عصر من حملة المباخر والأقلام.

وأحرقت النيرات أصابعنا جميعا ولم يكن غريبا بعد أن استباحت ثورة يوليو تاريخ من سبقوها أن نجد من يتجرأ عليها ويستبيح رموزها.

فى رمضان الماضى قدم التليفزيون المصرى للعالم كله مسلسلا عن ثورة يوليو وثوارها وهم يتنقلون بين الراقصات فى الملاهى الليلية.. ولم يحاسبه أحد.

وهناك قرار منذ سنوات بتحويل مجلس قيادة الثورة إلى متحف لرموز هذه الثورة ولم ينفذه أحد.

ولا أعتقد أن هناك أمة أساءت لتاريخها كما فعل المصريون بتاريخهم.

وما لحق بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر جزء من هذه اللعنة التى ألمت بنا جميعا، وهى تشويه رموزنا وللأسف الشديد أن ثورة يوليو هى أول من أرسى قواعد هذه السنة غير الحميدة.

ولعل السيد سامى شرف يتفق معى أيضا أن الثورة هى التى استباحت قصور مصر وتراثها المعمارى، وأن قصر محمد على بالمنيل هذه التحفة المعمارية النادرة قد تعرض لعمليات تشويه كان أخطرها تحويله إلى فندق وتأجيره فى الستينيات لإحدى الشركات الفرنسية التى أقامت فى حديقته فندقا قبيحا من الأكشاك الخشبية.

وكلنا يعلم ما حدث للقصور الملكية من عمليات نهب وتدمير.

ولكى تكون هناك بداية صحيحة يجب أن يقام متحف للزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى بيته. وأن تنفذ الدولة قانون مجلس الشعب الذى أشار إليه السيد سامى شرف بتحويل منزل الزعيم الراحل

جمال عبد الناصر إلى متحف يضم أثار الرجل خاصة وأن الأهرام يجمع الآن تراث ثورة يوليو من خلال وحدة أبحاث تشرف عليها د. هدى عبد الناصر الأستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وابنة الزعيم الراحل.

قد نختلف فيما بيننا حول الأحداث والتغيرات والسياسات والمواقف، ولكن الذى لا خلاف عليه أن رموز مصر بكل جوانب الضوء فيها والظلال ملك لأجيال ستأتى بعدنا، وربما كانت هذه الأجيال أكثر تجردا ووعيا وأمانة فى رصد أحداث التاريخ.. وإعادة كتابته ولكن يجب أن نقدم لهم بأمانة تاريخ هذه الرموز بعيدا عن الأهواء والأغراض، وعليهم بعد ذلك أن يحكموا بما تمليه عليهم ضمائرهم.

وأنا أختلف مع السيد سامى شرف فى نقطة واحدة، وهى التبرع لإنشاء متحف جمال عبدالناصر لأن مصر الدولة والشعب والحكومة لا ينبغى أن تقبل ذلك.

إن متحف عبد الناصر يجب أن يقام بأموال مصر الدولة .. إذا كنا ندافع عن القصور التاريخة العريقة التى تمثل وجها من وجوه مصر الحضارية فإن رموز مصر هى أعظم ما تملك من رصيد إنسانى

فريد.. ولاشك أن جمال عبد الناصر يمثل جزءا عزيزا من هذا الرصيد.

وأتمنى أن يجيء يوم نتعامل فيه مع الرموز والأحداث والتاريخ بكل التجرد والأمانة، ونبرأ من تلك الأمراض التى عانينا منها زمانا طويلا وهى الجحود والنسيان، وكلاهما أسوأ من الآخر.

* * *

ثورة يوليو ...
تاريخ أم أشخاص أم تاريخ وطن ؟

قلت فى المقال السابق إن إقامة متحف للزعيم الراحل جمال عبد الناصر يمكن أن يكون بداية جديدة للتعامل مع رموز مصر بقدر أكبر من الأمانة والموضوعية، وأننا افتقدنا لسنوات طويلة روح الإنصاف والتجرد أمام الهجمات الشرسة على رموز التاريخ والتى افتقدت فى معظم الأحيان لشيء جميل غاب من حياتنا اسمه الوفاء.

وأمامى الآن رسالة من الصديق الفاضل د. محمود جامع يعقب فيها على مقال الأسبوع الماضى ويطرح تساؤلات كثيرة حول ما دار فى مصر خلال النصف الثانى من هذا القرن الذى أوشك على الرحيل.. والدكتور جامع قدم لنا كتابا عن الرئيس الراحل أنور السادات حاول فيه وقد كان قريبا منه أن يقول الحقيقة بعيدا عن أى مؤثرات شخصية. وفى تقديرى أن د. جامع نجح فى تقديم نموذج محترم للمذكرات السياسية البعيدة عن الأهواء.

والسؤال الذى ينبغى أن نطرحه الآن .. أين تاريخ ثورة يوليو.. إلى أين يذهب باحث مصرى أو عربى أو أجنبى يريد أن يقدم دراسة أكاديمية أو حتى دراسة تسجيلية عن ثورة يوليو.. أنا لا أعتقد أن هذا الباحث يمكن أن يجد مادة موضوعية يعتمد عليها فى بحثه .. والسبب فى ذلك أن ثورة يوليو مازالت حتى الآن تقع بين اتجاهين لا ثالث بينهما .. من يقف معها بشدة .. ومن يعارضها بعنف .. أما النظرة الموضوعية للرموز والأحداث فلم يكن لها مكان على الإطلاق.

إن الذين كتبوا عن ثورة يوليو حتى الآن وقعوا تحت تأثير أحداثها وأشخاصها ومن بينهم من شارك فى صناعة هذه الأحداث وكان طرفا فيها.

لقد كتب عدد كبير من الضباط الأحرار مذكراتهم حول تاريخ الثورة .. وجاء بعض هذه المذكرات إما تبرئة للذمة .. أ و دفاعاً عن مواقف .. أو إبعادا للمسئولية وهروبا منها .. ولهذا خضعت كثير من أحداث هذه الفترة لتفسيرات متناقضة غابت أمامها الحقيقة.

ولم يكن الخلاف فقط فى التفسيرات .. ولكنه كان خلافا حادًا فى الروايات .. ولم يكن غريبا أن نقرأ واقعة واحدة بأكثر من وجه. وكان وجه الحقيقة المجردة هو الضحية فى كل الحالات .. ومن هنا شهدت مصر فترات من تصفية الحسابات مع تاريخها المعاصر.. جاءت الثورة وبدأت فترة طويلة للغاية من تصفية الحسابات مع ما

كنا ومازلنا نسميه العهد البائد، وتجاهلنا كل ما كان فيه من حسنات .. ثم كانت تصفية أحد رموز هذه الثورة وهو الرئيس محمد نجيب . أمام تجاهل كامل وإنكار لفترة حكمه، ثم جاءت تصفية التجربة الناصرية فى بداية عهد الرئيس السادات رغم كل ما كان فيها من إنجازات.. ثم كانت تصفية تجربة السادات نفسه بمجرد رحيله .. وسيطرت علينا لعنة بغيضة يمكن أن نسميها استباحة التاريخ .. ولم يكن ذلك فقط فى المذكرات السياسية التى كتبها الضباط الأحرار أو أصحاب السلطة فى كل عصر من هذه العصور ولكننا شوهنا كتب التاريخ التي يدرسها أبناؤنا .. وأصبح من السهل جدًا أن تقرأ تاريخًا مختلفًا فى كل مرحلة من المراحل .. كان التاريخ فى عهد عبد الناصر شيئًا.. والآن نقرأ تاريخًا آخر .. ولم نكن أمناء على الإطلاق فى كل هذه المراحل تجاه تاريخنا رموزًا وأدوارًا وأحداثًا.

والأخطر من ذلك كله أن الانقسامات الأيدلوجية استباحت التاريخ وأخضعته لتفسيرات خاطئة وكان من السهل أن تقرأ تاريخًا مسيسًا كتبه عدد من هواة تشويه الحقائق والمستفيدين من كل عصر.. والباحثين عن أمجاد وهمية .. وكان التاريخ فى كل الحالات هو الضحية.

وإذا أردنا أن نضع مثالا صارخا يؤكد ذلك فأمامنا قضية

الصراع العربى الإسرائيلى وهى من أهم قضايا ثورة يوليو .. أين فرسان هذه القضية فى العهد الناصرى .. وأين أصبحوا الآن .. وما هى مواقعهم على خريطة العمل الوطنى بعد نصف قرن من الزمان.. لقد سقطت فى هذه القضية رؤوس كثيرة أمام حسابات لا يعرفها أحد.

من هنا يمكن أن نقول ان تاريخ مصر الحديث شاركت فى صياغته اتجاهات ثلاثة .. هى المواقف الشخصية .. والمصالح .. والخنادق السياسية وما بين هؤلاء غابت الحقيقة.

ولم يكن غريبًا أن يلعب الفن دورًا سلبيًا فى تسجيل تاريخ الثورة .. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن عددًا كبيرًا من المبدعين تعامل مع ثورة يوليو من خلال رؤى أيديولوجية ضيقة، بل إن البعض منهم دخل منطقة المصالح وتصفية الحسابات. وانقسم المبدعون أنفسهم إلى ناصريين وساداتيين ونسوا مسئولية الفن ودوره.

وكما انقسم الكتاب وأهل الرأى حول ثورة يوليو انقسم الإبداع أيضًا وكان من السهل أن تجد مبدعين يدافعون عن كل فترة بعيدًا عن حقائق التاريخ وقدسية أحداثه.

وكما شهدت مصر كمًّا هائلاً من الفنون حاول تشويه ما كان قبل الثورة .. شهدت أيضًا فنونًا أخرى حاولت تشويه الثورة نفسها فالفنون التى ظهرت فى عهد عبد الناصر غير الفنون التى جاءت

بعده .. ويبقى إنجاز عظيم مثل حرب أكتوبر يبحث عن زمان ينصفه.. ويبدو أنه لن يجيء .. وما زال فيلم عن حياة الرئيس السادات يبحث عن منتج يقوم بتمويله بعد أن رفض التليفزيون المصرى ذلك ..

ورغم هذه الانقسامات الحادة والمتغيرات العميقة يمكن أ ن تجد كاتبًا كبيرًا مثل الأستاذ محمد حسنين هيكل أخلص لمواقفه حتى إن حارب العالم كله.

لقد بقى على وفائه للتجربة الناصرية ولم يكن هذا الوفاء لشخص عبد الناصر فقط ولكنه كان وفاء لتاريخ مرحلة كان الأستاذ هيكل واحدًا من أهم رموزها، ومهما كان الخلاف مع الأستاذ هيكل فإن الوفاء وحده قيمة عظيمة فى زمان تغيرت فيه موازين الأشياء والبشر .. وفى تقديرى أن عبد الناصر كان محظوظًا فى أن يجد بجواره كاتبًا فى وفاء الأستاذ هيكل سواء فى حياة عبد الناصر أو بعد رحيله.. وسواء اتفق الناس أو اختلفوا حول ما كتبه الأستاذ هيكل عن عبد الناصر، إلا أننا فى كل الحالات نحترم ما كتب لأنه يعكس موقفًا لتجربة هى بكل المقاييس تمثل جزءا عزيزًا من تاريخ هيكل نفسه.

من هنا يمكن أن نقول أنه لا يوجدحتى الآن تاريخ لثورة يوليو ولكن يوجد تاريخ أشخاص شاركوا فى صنع أحداثها وبمعنى آخر أن ما كتب عن الثورة لا يمكن أن يدخل تحت مصنف كلمة تاريخ

وطن بكل ما تعنيه الكلمة من التجرد والموضوعية والرصد الزمنى للأحداث والوقائع، وإن كل ما كتبه ثوار يوليو لم يتجاوز حدود المذكرات الشخصية التى تعبر عن وجهات نظر أكثر مما تعبر عن حقائق تاريخية .

من هنا أيضا نعود إلى ذلك الاقتراح القديم الذى لم ينفذه أحد بإنشاء لجنة علمية لدراسة تاريخ ثورة يوليو .. والأهم من هذه اللجنة هو الإفراج عن كثير من الوثائق التى يمكن أن تلقي الكثير من الضوء على أبرز أحداث هذه الثورة ابتداء بقيامها والظروف التى أحاطت بها وانتهاء بما حدث فى نكسة ٦٧ مرورا على المعارك الهامة فى بناء السد العالى وتأميم قناة السويس وحرب ٥٦ وحرب أكتوبر والسلام مع إسرائيل وجميعها محطات رئيسية سوف يتوقف التاريخ عندها طويلا.

لقد بقيت ثورة يوليو حتى الآن تاريخ أشخاص ولا أدرى متى نكتب تاريخ الوطن .

وأتمنى أن يأتى يوم نضع فيه أقدامنا على الطريق الصحيح ونقرأ تاريخا حقيقيا لبلادنا بعيدا عن الأغراض والأهواء والمصالح.. وأرجو ألا يكون هذا اليوم بعيدا .

★ ★ ★

متى نكتب تاريخا مجردا من الأهواء ؟!

من الصعب أن تكتب فى مصر الآن عن قضية من القضايا دون أن تصيبك سهام طائشة من هنا أو هناك .. والأصعب من ذلك أن تحاول أن تكون بعيدا عن حسابات الأشخاص وأن تقترب أكثر من موضوعية الحوار وترفع الكلمة ، إن المشكلة الآن أننا أصبحنا نرى العالم كله من خلال دائرة صغيرة هى ذواتنا، ومهما اتسعت رؤى الإنسان وتعددت آفاقها إلا أن الحوار ينبغى أن يبقى دائما بين الإنسان والآخرين بحيث تكون لديه القدرة أن يسمع قبل أن يتكلم .. وأن يقتنع قبل أن يصادر فكر الآخر .. وهذه مهمة صعبة فى زمن اختلطت فيه الأوراق والأدوار والأقدار وأصبح الأعلى صوتا والأكثر ضجيجا هو الأبقى أثرا وهذه معادلة مختلة .

أقول ذلك وقد وصلت إلىّ رسائل وتعقيبات كثيرة حول قضية طرحتها تحت عنوان «ثورة يوليو تاريخ أشخاص أم تاريخ وطن».

وقد طالبنا فى هذه القضية بضرورة إقامة متحف للزعيم الراحل جمال عبد الناصر يضم تاريخ الرجل .. وطالبنا أيضا بوقفة نزيهة مع تاريخنا الحديث الذى تشوه فى كل مراحل حياتنا وتسللت أشباح الزيف والدجل إلى كل صفحة فيه ابتداء بمناهج التعليم وانتهاء بما كتب المعارضون والمدافعون عن ثورة يوليو.

وقد توقفت عند بعض النقاط الأساسية أرى من الضرورى أن أسجلها:

- إن مناهج التاريخ؛ فى المدارس يجب ألا تخضع لمتغيرات الحياة السياسية فى مصر بحيث يكون لكل عهد تاريخه أو من يكتبون له التاريخ لأن ذلك يسئ فى النهاية إلى مسيرة أمة وذاكرة شعب .. ويجب أن نكتب التاريخ فى مدارسنا بعيدا عن الأهواء والحسابات الشخصية واتجاهات السياسة .. وإذا كان قدرنا أن نقرأ أكثر من تاريخ فى الحياة العامة فيجب أن يخضع تاريخ مصر فى مناهج التعليم بصفة خاصة لدرجة كبيرة من الحياد والموضوعية.

- يجب ألا نفرق بين رموز مصر ونضع لهم تصنيفات لأن كل واحد منهم قدم ما عنده حسب ظروفه وإمكاناته؛ ولهذا يجب ألا نرفع البعض ونسقط البعض الآخر، أو أن نرفع الأحياء فإذا ماتوا أسقطناهم .. إن هذا السلوك بكل جوانب القصور فيه لا يتناسب مع أمة لها حضارتها وشعب له تاريخه الطويل .

– لا أتصور مثلا أن ترفض محافظة الإسكندرية فى عهد محافظها السابق إطلاق اسم النحاس باشا على أحد شوارع المدينة.. ويدخل الأمر للقضاء حتى يحسمه أخيرا اللواء المحجوب محافظ الإسكندرية ويقرر إطلاق اسم النحاس على أحد الشوارع فى الإسكندرية .

وما حدث مع النحاس حدث مع تمثال الخديوى إسماعيل فما زالوا يبحثون له عن شارع يأويه.

ولا أتصور أيضا أن يحذف تاريخ محمد نجيب ولا يذكر اسمه كأول رئيس للجمهورية فى مصر بعد ثورة يوليو .

ولا أتصور أن تقام تماثيل تذكارية لجميع أعضاء مجلس قيادة الثورة وليس بينهم يوسف صديق ..

وقبل هذا كله لا أتصور أن يبقى عبد الناصر بلا متحف يضم تاريخه حتى الآن، وإذا كان الخلاف بيننا كبيرا حول إنجازات عبد الناصر وسلبياته إلا أن إقامة هذا المتحف ينبغى ألا تكون موضع خلاف.

– أتمنى يوما أن أرى لجنة من كبار المؤرخين والكتاب تقوم بتنقية ما كتب عن ثورة يوليو بحيث تقوم بعملية مراجعة شاملة بين المذكرات الشخصية والحكايات ، والقصص وتستخلص لنا من ذلك

كله تاريخا مجردا بعيدا عن الأهواء .. وهذا يتطلب بكل تأكيد أن نفتح خزائن الماضى بكل أسرارها ووثائقها حتى تكون بين أيدى هذه اللجنة .

– مازلت أعتقد أنه سيجئ يوم يتجرد فيه التاريخ من مؤثرات الأشخاص وتقلبات السياسة وحسابات المصالح لكى نرى تاريخا يليق بنا من حيث المصداقية والأمانة ونزاهة الأحكام .

ويبقى بعد ذلك كله إيمان عميق لدينا بأننا قد نختلف حول أدوار الرجال وأقدارهم ولكن لا ينبغى أبدا أن نسقط أحدا منهم .

★ ★ ★

يوسف صديق ...
بين الثورة والشعر

من أصعب الأشياء وأقساها أن يقع على الإنسان ظلم في حياته.. وبعد موته ويصبح الظلم حكما أبديا لا مهرب منه ولا فرار.. وإذا كانت الأيام والأحداث قد ظلمت إنسانا في حياته فإن الإنصاف يقتضي أن نرفع عنه الظلم في مماته.. وما أكثر الأسماء التي عانت أشكال الظلم وألوانه سواء كان ذلك في السياسة أو الأدب أو الفنون. وما أحوجنا أن نراجع بين الحين والآخر دفاتر أيامنا فما أكثر المظاليم فيها.. أن الظلم هو أكبر وأخطر أعداء الأوطان ولا يمكن أن تنمو شجرة مثمرة في أرض مالحة.. والظلم هو الملح الذى يقتل الثمار والأشجار.

فى الأسبوع الماضى زارنى اللواء حسين يوسف صديق نجل يوسف صديق أحد رموز ثورة يوليو وثوارها، ومعه كتيب صغير أهداه

لى بعنوان «ضعوا الأقلام» وهو لا يتجاوز فى عدد صفحاته الثمانين صفحة وفيه جمع الابن أشعار والده الراحل وفاء لذكراه وتخليدا لما بقى من شعره.

ويعيدا عن السياسة وما لحق بالراحل يوسف صديق من جراحها.. وما لاقاه فى حياته من نفى واغتراب فقد وجدت فى هذه الصفحات القليلة شعرا جميلا فيه صدق وعذوبة ورصانة.

لقد كان يوسف صديق وراء نجاح ثورة يوليو.. ولولا هذا الرجل ما نجحت الثورة.. فى الوقت الذى كان فيه قادة الجيش يجتمعون فى مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة بعد تسرب أنباء قيام الثورة اقتحم يوسف صديق الاجتماع بقواته وألقى القبض على رئيس هيئة أركان الجيش والقيادات الموجودة فى الاجتماع.

وجاء اسم يوسف صديق فى قائمة الضباط الأحرار وفى مجلس قيادة الثورة.

وفى أول اجتماع لبحث الأوضاع بعد قيام الثورة ثار جدل طويل بين ثوار يوليو حول قضية الديمقراطية، فى مصر ومن يحكم بعد الثورة.. وكان رأى يوسف صديق أن يعود الجيش إلى ثكناته حاميا للثورة وإنجازاتها.. ولكن ثوار يوليو الآخرين أصروا على الحكم والسلطة.. وهنا قدم يوسف صديق استقالته من مجلس قيادة

الثورة فى شهر يناير ١٩٥٣. وكان هذا هو الفراق بين الشاعر الثائر.. ورفاق الثورة الذين لم يكن للديمقراطية مكان فى فكرهم.

وتأزمت الأمور بين يوسف صديق ورفاقه الثوار حتى وصلت إلى طريق مسدود.

فى نفس العام تقرر نفى يوسف صديق إلى سويسرا .. ثم إلى لبنان.

ويدأ الشاعر الثائر يواجه محنة الزمن والأيام مع المنفى.. والمرض.. والرفاق الذى تخلوا عنه.

ويدأ الشاعر يغنى للوطن من منفاه:

يا مصر إني ونار الشوق تفتك بى

على البعاد لأدرى أن حبك لى

لبيك يا أم أنى غير مبتعد

إلا لاكفيك شر الدس والدجل

لم يكفنى شرف أن كنت شاهده

بل كنت فيه فتى فتيانه الأول

وفى ظروف لا يعرفها أحد عاد يوسف صديق من منفاه إلى مصر، وتقرر تحديد إقامته فى قريته، «زاوية المصلوب» فى بنى سويف، ثم فى بيته بحلمية الزيتون.

وفى مارس ٥٤ وأثناء الأزمة الشهيرة التى طالب فيها الشعب بعودة الديمقراطية والحياة النيابية كتب يوسف صديق فى جريدة المصرى يطالب بعودة الديمقراطية واعتقل للمرة الثالثة وتم ترحيله إلى سجن الأجانب ثم السجن الحربى.

واعتقلت أجهزة الأمن زوجته وأودعتها السجن وكانت هذه هى أقسى مراحل الحزن والألم فى حياته أن يجد رفيقة العمر سجينة وأن تدفع ثمن مواقفه السياسية.

وهنا أخرج الشاعر السجين ما عنده من السخط والثورة والألم.

أفرعون مصر وجبارها
صحوت لها من وراء القرون
سجنت النساء ولم تحترم
وقار الشيوخ وطول الذقون
أعرضى يباح ويلقى به
على ناظريك بقاع السجون

ويعود يوسف صديق ويتذكر ليلة قيام ثورة يوليو حينما واجه الموقف وحده ولولا وقفته ما نجحت الثورة :

وقـد كـنت يـوم الـوغـى هـاربـا

تـخـاف الـظـنـون وتـخشى الـعيون

ولـمـا وقـعت وعـبـد الـحـكـيـم

بـأسـر رجـالى ولا يـعـلـمـون

فـأنـقـذت روحـيـكـمـا من هـلاك

ورحت بـنـفسـى ألاقـى الـمـنـون

غـدا تـلـتـقـى يـا جـمـال الـوجـوه

وتـعـرف قـدرك مـاذا يـكـون

وعندما حدث العدوان الثلاثى على مصر فى عام ٥٦ كسر يوسف صديق أسره وخرج مع الشعب وساند الزعيم جمال عبد الناصر رغم ما كان بينهما من خلاف فى قراره بتأميم قناة السويس ناسيا أحزانه الخاصة وما لاقاه فى السجن والمنفى.

وأنشد الشاعر:

يـا مصـر عـهـد الـلـه هـذا بـيـنـنـا

ألا نـلـيـن وأن نـكـون لك الـفـدا

ثم يتذكر جهاده فى سبيل الوطن وصبره على الأذى والسجن:

هـون عـلـيك أخـى فـإن جـهـادنـا

فـى الـلـه لا نـرجـو الحيـاة مـتـاعـا

ولم تشفع ليوسف صديق مواقفه، وسرعان ما عاد مرة أخرى إلى السجن فى بيته، حيث تحددت إقامته مرة أخرى وكتب يقول:

ونحن نعلم أن السجن منزلنا
حتى تدك حصون الافك والزور
ونحن نعلم أن الموت موردنا
نلقه فى الله فى بشر وتكبير

كانت سنوات العمر تتسرب من بين يدى يوسف صديق الشاعر الثائر ولم يبق له من سنوات النفى والغربة والاعتقال غير أمراض السكر وسل العظام وهنا حدثت مفاجأة.

جمع أبناؤه ومحبوه قصائد شعره وكانت تملأ مئات الصفحات وقدموها إلى إحدى دور النشر لطبعها فى كتاب.. ولكن قوات الأمن اقتحمت دار النشر واعتقلت قصائد يوسف صديق كما صدرت أحكام أخرى بنفيه واعتقاله وتغريبه عن وطنه.. وهل يمكن الآن أن نجد مسئولا سابقا أو لاحقا يدلنا على قصائد الرجل التى اعتقلتها قوات الأمن ذات مساء؟ ترى أين تكون أشعار يوسف صديق وما هو مصيرها؟

وازدادت محنة المرض على يوسف صديق وسافر إلى الاتحاد السوفيتى وهو يعانى مرض السكر وسل العظام، وتلقى وهو هناك نبأ وفاة الزعيم جمال عبد الناصر، وقطع الشاعر رحلة مرضه تاركا العلاج والأطباء ليشارك فى وداع رفيق عمره.. ولم يجد غير الشعر صديقا ومؤنسا له فى وداع صديقه:

أبـا الـثـوار هـل سـامـحـت دمـعـي

يـفـيض وصوت نـعيك مـلء سـمـعـى

جــزاك الــلــه عــنــا كــل خــيــر

ورواك الــرضــا مــن كــل نــبــع

ومن وقت لآخر كان الشعر يزور أحيانا يوسف صديق رغم المرض والمحن وسنوات المنفى الطويلة .. وكانت جذور الثورة فى أعماقه تتحرك من وقت لآخر لعل الإنسان يفتح للحرية بابا :

دعـوا الأقـلام وامـتشـقـوا الـحسامـا

فـرب الـسـيـف قـد حـمـل الـوسـامـا

وقــولــوا لــلــذي يــرجــو خــلاصــا

بـتـنـمـيق الـكـلام .. كـفـى كـلامـا

وفى مارس ١٩٧٥ رحل يوسف صديق بعد رحلة طويلة مع الألم والسجن والمعاناة وغدر الرفاق.

كان من الممكن جدا أن يكون يوسف صديق خليفة لمحمود سامى البارودى فى مملكة الشعر. إن القصائد التى بقيت من شعره، الذى اعتقلته سلطات الأمن فى ذلك الوقت تحمل سمات شاعر متميز يملك الإحساس المرهف والصياغة الجيدة وتربطه بالتراث علاقة قوية واضحة كل الوضوح فى شعره.

هذا ما تقوله تلك القصائد القليلة التى جمعها ابنه وفاء لذكرى والده فى كتيب صغير متواضع على غلافه كلمة لكاتبنا الكبير محمد حسنين هيكل عن يوسف صديق بعد قيام الثورة بشهر واحد فى مجلة آخر ساعة يقول فيها: «لقيته جالسا فى إحدى الشرفات فى مركز رئاسة قوات الجيش وفى عينيه صفاء غريب أشبه ما يكون بأحلام الشعراء».

الشيء الغريب أن الأستاذ هيكل رأى الشاعر يوسف صديق منذ اللحظة الأولى.. وكان الشعر هو أخر ما بقى منه.

كل ما أرجوه أن تطبع وزارة الثقافة هذا الكتيب الصغير بما بقى فيه من قصائد الرجل أو ما يمكن أن يظهر من أشعاره الأخرى لدى أسرته ومحبيه خاصة تلك التى مازالت رهن الاعتقال ولا يعرف أحد مصيرها إلا إذا كان قد صدر قرار بإعدامها.

فهل ضل يوسف صديق طريقه ذات ليلة وكان قدره أن يدفع الثمن غاليا بين السجون والمعتقلات والمنافى. وهل يمكن أن يكون هذا هو ثمن الدعوة للحرية حتى مع الثوار.

هذه كلمة وفاء لشاعر ثائر ضاع شعره.. وخذلته الثورة، ولا أدرى من الذى ظلم الآخر فى حياة يوسف صديق..

هل ظلم الثائر الشاعر أم ظلم الشاعر الثائر.

أم أن الثورة ظلمتهما معا.

المهم أن الذى بقى هو الشعر حتى وإن كان قليلا.

★ ★ ★

لقاء مع زكريا محيى الدين

كنت قد قررت ألا أعود إلى الحديث عن قضية كتابة تاريخ ثورة يوليو .. وكانت هناك أسباب كثيرة دفعتنى إلى ذلك لعل أهمها وأخطرها هذا التفاوت الكبير فى المواقف بين المؤيدين بشدة والرافضين بعنف ، حتى أن أحد الأصدقاء قال لى : «لماذا دخلت إلى عش الدبابير» ، ولا شك أن مثل هذا المناخ وهذا الأسلوب فى الحوار لا يصلح لطرح قضية تحتاج إلى قدر كبير من الأمانة والموضوعية .

ولكن حدثت مفاجأة جعلتنى أواصل اليوم الحديث عن تاريخ ثورة يوليو .. لقد اتصل بى الصديق المؤرخ الكبير د. يونان لبيب رزق يدعونى للقاء مع السيد زكريا محيى الدين فى مبنى مجلس قيادة الثورة، والذى يجرى إعداده الان ليكون متحفا للثورة حيث يوضح السيد زكريا محيى الدين تفاصيل الأحداث والأماكن فى هذا المبنى العتيق .

ولم أتردد فى قبول الدعوة .. وكانت لدىّ أسباب كثيرة .

أول هذه الأسباب أن قضية تاريخ ثورة يوليو ومن يكتبه قضية ملحة يجب أن تأخذ الاهتمام الكافى، وخاصة فى مناهج التعليم التى تسئ إلى تاريخ مصر لأنها لا تقدم للأجيال الجديدة حقائق التاريخ مجردة.

ومن هذه الأسباب أيضا أن السيد زكريا محيى الدين التزم الصمت منذ ترك السلطة فى نهاية الستينيات رغم أنه واحد من أهم وأخطر الضباط الأحرار الذين شاركوا فى الثورة وكان من أقرب رجالاتها للزعيم جمال عبد الناصر .

ويبقى سبب آخر، أن لدى بعض التساؤلات الحائرة التى تمنيت يوما لو أن واحدا من الضباط الأحرار كشف حقيقتها أو أزال الغبار عنها.

جلست بجوار السيد زكريا محيى الدين .. ودار فى رأسى تاريخ الرجل .

كان زميل عبد الناصر فى منقباد .. وسافر معه إلى السودان فى عام ١٩٤٠ .. وشارك فى حرب فلسطين وكان مكلفا بالاتصال بالقوة المحاصرة فى الفالوجا ونجح فى التسلل بين خيوط العدو إلى الفالوجا، وكان مدرسا لمادة التكتيك العسكرى فى كلية أركان الحرب، وبعد أن شارك فى ثورة يوليو عمل مديرا

للمخابرات الحربية عام ٥٢ ثم مديرا للمخابرات العامة ٥٣ .. ثم وزيرا للداخلية فى نفس العام .. ثم نائبا لرئيس الجمهورية وعضوا بمجلس الرئاسة عام ٦٢.. وكان رئيسا للجنة العليا لأموال محمد على .. واللجنة العليا للرقابة على الأداء الحكومى، وشارك فى جميع مؤتمرات القمة العربية والإفريقية وعدم الانحياز.

وفى عام ٦٥ كان نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء حتى استقال من الوزارة فى عام ٦٦ .. وفى ٩ يونية ٦٧ رفض زكريا محيى الدين أن يصبح رئيسا للجمهورية، ورغم أن الرجل كان من أقرب الناس إلى دائرة القرار فى مصر، إلا أنه التزم الصمت طوال حياته.

كانت أمامى مجموعة قضايا أريد أن أطرحها على الرجل ووجدتها فرصة أن أجد نفسى وجها لوجه مع واحد من أخطر وأهم رجالات ثورة يوليو.

- كانت القضية الأولى هى الروايات الكثيرة والمختلفة والمتناقضة أحياناً حول ما حدث ليلة ٢٣ يوليو .. أين كان جمال عبد الناصر .. أين كان أنور السادات .. وما هو الدور الحقيقى الذى لعبه يوسف صديق هذا الجندى المجهول الذى يقف وراء نجاح الثورة؟

– قال السيد زكريا محيى الدين : كان جمال عبد الناصر يصدر توجيهاته إلى الأفرع المختلفة فى القوات المسلحة والتى يوجد بها الضباط الأحرار .. كان لكل واحد منا دوره حسب التكليفات الصادرة لنا والمتفق عليها بيننا من قبل، وبعد ذلك انتقلنا جميعا إلى مقر قيادة الأركان بعد أن قام يوسف صديق بالاستيلاء عليه وألقى القبض على جميع قيادات الجيش الموالية للملك .

كانت التوجيهات قد صدرت إلى يوسف صديق بالتوجه بقوته العسكرية إلى مبنى قيادة الأركان فى ساعة زمنية محددة .. ولكنه ذهب قبل الموعد بساعتين، وكان هذا إنجازا كبيرا من يوسف صديق فقد كانت قيادة الأركان فى اجتماع بكل قاداتها لاتخاذ قرار بمواجهة ثورة الضباط الأحرار .. واقتحم يوسف صديق مكتب قائد الأركان بقواته وأطلق بعض الطلقات النارية من مدفعه الرشاش واستولى على قيادة الجيش .. ولقد أدينا التحية العسكرية إلى قائد الأركان ومساعديه من القادة قبل أن نلقى القبض عليهم ويتم ترحيلهم إلى السجن الحربى .

ويضيف السيد زكريا محيى الدين ...

كان أنور السادات مكلفا بقطع خطوط التليفونات عند الاستيلاء على مقر قيادة الجيش حتى يمنع الاتصال بين القادة وفروع القوات المسلحة .

ولكن السادات لم يحضر وكان فى هذه الليلة يشاهد فيلما فى إحدى دور السينما، وعندما عاد إلى بيته متأخرا لحق بنا فى مبنى القيادة وقد أوقفته حراسة المبنى حتى سمحنا له بالدخول .. واكتشفنا أن عدم قطع التليفون كان أفضل حيث بدأنا الاتصال بمواقع الجيش واتخذنا إجراءات السيطرة الكاملة على كل مواقع القوات المسلحة . وهنا فقط تأكد لنا نجاح الثورة .

كانت مطالبنا قليلة ولكن موافقة الملك فاروق على كل شىء أغرتنا بمزيد من المطالب حتى وصلنا إلى قرار إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية وترحيل الملك خارج البلاد .

- كانت القضية الثانية التى تشغلنى ونحن نجلس مع السيد زكريا محيى الدين هى علاقة الثورة باللواء محمد نجيب .. هناك من يرى أنه صاحب دور أساسى فيها.. بينما يرى البعض الآخر أن دوره كان هامشيا للغاية .. كيف تخلصت الثورة من ثلاثة من أبنائها مرة واحدة هم محمد نجيب .. ويوسف صديق .. وخالد محيى الدين .

قال السيد زكريا محيى الدين : لم يكن لمحمد نجيب دور أساسى فى الثورة .. لقد جئنا به كواجهة لهذه الثورة .. كان من الصعب علينا وجميعنا من الرتب العسكرية الصغيرة أن نظهرأمام الناس بدون رجل كبير فى السن والرتبة .. إن السن

شيء ضروري في مجتمعنا، وهي من مظاهر التقدير والاحترام .. وكانت هذه هي نقطة البداية في اختيارنا للواء محمد نجيب لكي يكون واجهة للثورة.. ولكن اختلاف الأجيال بعد ذلك وطريقة الحوار والتفكير ، كل ذلك ترك ظلالا بيننا وبين اللواء نجيب .. كنا شبابا أكثر حماسا واندفاعا بحكم السن والتجربة وكان من الصعب أن يستمر التعاون بيننا وبين نجيب .

في الأعوام الأولى من الثورة خاصة عاميها الأول والثاني كنا نناقش القرارات قبل إصدارها ونقوم بالتصويت عليها ..ولكن بعد ذلك اختفى مبدأ التصويت وأصبح القرار في النهاية لشخص واحد حتى ولو اختلفنا حول هذا القرار .

وعلى سبيل المثال فقد كان قانون تحديد الملكية الزراعية والإصلاح الزراعي من القوانين التي تم التصويت عليها ولم يكن بيننا خلاف حول ذلك . كما أن القرارات في بداية الثورة لم تكن تخضع لأفكار سابقة ، كنا نتعامل مع الظروف والأحداث التي نراها أمامنا وعلى ضوء هذا الواقع تكون القرارات والإجراءات التنفيذية .

من هذا المكان صدرت أهم القرارات في تاريخ مصر .. كان عبد الناصر ينام في إحدى حجرات هذا المبنى وكان نومه قليلا .. ومن هنا أيضا صدرت قرارات تأميم قناة السويس .. وحرب

السويس.. وخرج جثمان عبد الناصر من هنا بعد أن لقى ربه .. وهنا أيضا كانت محاكم الثورة التى تم فيهامحاكمة عهد ما قبل الثورة .. وشهدت هذه المحاكم محاكمة النحاس وفؤاد سراج الدين .. ثم بعد ذلك قضايا الإخوان المسلمين .

ولقد كان من الطبيعى أن تؤمن الثورة نفسها خاصة أن الأحزاب السياسية كان قد انتهى دورها بالفعل .

أما عن يوسف صديق والظروف التى أحاطت به فهو من أقرب الضباط الأحرار إلى نفسى وكنت أحبه جدا وكان صديقى .. كان إنسانا نقيا مجردا ولم تكن له مطامع فى أى شىء ..وكانت ظروفه الصحية صعبة للغاية فقد كان مصابا بسل العظام وكان شفافا رقيقا .. وقد أحاطت بحياته ظروف كثيرة لا أحب الحديث عنها .. ولكننا كنا نخشى على صورة الثورة وفكرها من توجهاته اليسارية.. ولم نكن نرغب فى أن تورط الثورة نفسها فى اتجاهات أيدلوجية .

– كانت القضية الثالثة التى دارت فى رأسى ونحن نتبادل الحديث مع السيد زكريا محيى الدين هى تجاوزات الثورة ، ورأيه فى هذه القضية .

قال : أنا لا أستطيع أن أتجاهل أو أنكر هذه التجاوزات ولكن الظروف فرضت علينا الكثير منها .. وإذا راجعنا تاريخ هذا

المبنى الذى نجلس فيه وهذه الحجرة بالذات كانت مكتب جمال عبد الناصر.. وقد اخترنا هذا المبنى فى بداية الثورة لكى يكون مقراً لنا لظروف أمنية حيث كان من السهل تأمين حراسته ونحن لا نختار أقدارنا .. ولكن الأقدار هى التى تختار .. ولو رجع بى العمر مرة أخرى للوراء لما اخترت شيئا غير ما حدث ، أنها الظروف التى فرضت علينا مواقف كثيرة ولم يكن أمامنا بديل عنها .. وما زلت أذكر مقولة النحاس باشا .. إن الثورة مثل وابور الزلط وليس من الحكمة أن يقف أحد أمامها .. ولا أنكر أن للثورة تجاوزات ولكن لها إيجابيات غيرت أشياء كثيرة فى مصر .

– كان الحديث قد طال وزاد عن الساعة ونصف الساعة وبقيت فى ذهنى قضية رابعة وأخيرة .. لماذا رفضت أن تكون رئيسا للجمهورية يوم ٩ يونية بعد أن أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر التنحى عن السلطة بعد نكسة ١٩٦٧ .

قال السيد زكريا محيى الدين: لم يخبرنى جمال عبد الناصر بهذا القرار على الإطلاق قبل أن يعلنه أمام الشعب ..وقد فوجئت بذلك مثل ملايين المصريين الذين يشاهدونه على شاشة التليفزيون.. وكان من الصعب جدا أن أصبح رئيسا للجمهورية وأتحمل أخطاء لم أشارك فيها من قريب أو بعيد ..

وصافحنا السيد زكريا محيى الدين ، د.يونان وأعضاء لجنة المتحف وأنا .. وسألته لماذا لم تكتب حكايتك مع الثورة؟

قال: هناك اعتبارات كثيرة تمنعنى .. بعضها شخصى .. وبعضها عام .. وربما يجىء الوقت الذى أتكلم فيه .. وأنا ضد أن يلغى كل مسئول تاريخ من سبقوه فى الحكم .. ويبدو أنها عادة فرعونية قديمة مازالت آثارها على معابدنا .

وما زلنا ننتظر شهادة السيد زكريا محيى الدين لأنها أكثر من خطيرة .

★ ★ ★

ولقاء مع حسين الشافعى

كانت أكوام التراب تحاصرنا ونحن نتجول فى طرقات مبنى قيادة مجلس الثورة ... كيف تركنا هذا المبنى الجميل يتحول إلى هذه الصورة القبيحة على شاطىء نيلنا العظيم .. أطلال تطاردها أطلال.. وصمت قاتل يحيط بكل شىء فى المكان .. كان فى الأصل مرسى لليخوت الملكية ولم يدخله الملك فاروق فقد تم إنشاؤه قبل قيام الثورة بشهور قليلة ... وبعد أن قامت ثوة يوليو أصبح أهم مكان فى مصر كلها.

كنت حزينا وأنا أشاهد الإهمال يرسم صورة قبيحة فوق أطلال مكان جميل .. ولا أعرف كيف وصل الحال بهذا المبنى إلى ما هو عليه الآن ؟!

فى هذا المكان التقيت مع السيد زكريا محيى الدين .. وحاولت أن أقنعه بأن يتكلم لأن لديه الكثير .. ونشرنا فى الأسبوع الماضى ما دار بيننا، وقد أثار تساؤلات كثيرة وردود أفعال واسعة فى عشرات الرسائل التى وصلتنا، وقلت للسيد زكريا محيى الدين عشية نشر اللقاء : ما زلنا ننتظر أن تقول كلمتك لأنها من حق أجيال ستجىء ومن حق تاريخ يجب أن نوفر له كل ظروف الأمانة والموضوعية.

وقد وعد ..

بعد أيام قليلة كنت أجلس مع السيد حسين الشافعى .. نائب رئيس الجمهورية فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأحد رموز ثورة يوليو ، كان وزيرا للشئون الاجتماعية والتخطيط والأوقاف، ونائبا لرئيس الجمهورية فى عام ١٩٦٧، وعضوا فى اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى ورئيسا للمجلس الأعلى للدفاع المدنى

وإذا كانت المشكلة في لقاء السيد زكريا محيى الدين أن الرجل تكلم بعد ثلاثين عاما من الصمت .. فإن المشكلة مع السيد حسين الشافعى أنه قال كلمته ومضى ..

ولأننى تابعت تقريبا كل ما قال السيد حسين الشافعى

وهو كثير، فقد كان من الضرورى أن أحدد معه بعض القضايا التى تحتاج إلى تأكيد أو توضيح .. أو إعادة نظر .

وكانت لجنة متحف ثوار يوليو تجلس مع السيد حسين الشافعى ويرأسها د. يونان لبيب رزق، وتضم نخبة من أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية بجانب المسئولين عن إدارة المتاحف فى زارة الثقافة.

كان الحديث عن محمد نجيب هو أول قضية أتوقف معها في لقاء السيد حسين الشافعى .. إن جميع الضباط الأحرار تقريبا قد اتفقوا فى رواياتهم على أن دور محمد نجيب كان دورا هامشيا وأن قائد الثورة الحقيقى هو الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .. وكانت شهادة السيد زكريا محيى الدين فى الأسبوع الماضى آخر تأكيد لهذه القضية .. وكان السؤال الذى دار فى رأسي إذا كان محمد نجيب وهو ضابط في رتبة لواء .. وأكبر سنا من كل أعضاء مجلس قيادة الثورة قد وافق على الانضمام إلى هذه الكتيبة من الثوار ... أليس فى ذلك موقف تاريخى للرجل ؟ .. وما هو مصير نجيب لو أن الثورة فشلت ... إن المؤكد أن الرجل قامر بموقفه وتاريخه وعمره مع هؤلاء الثوار وكان على استعداد لأن يدفع ثمن ذلك .. كيف نقول بعد ذلك إن دوره كان هامشيا .. فهل المقامرة بالحياة دور هامشى ؟..

قال السيد حسين الشافعي : لا خلاف على ذلك .. كان من الممكن أن يدفع محمد نجيب ثمن هذا الموقف تماما، وربما أكثر لأنه أكبر من حيث الرتبة والمسئولية وهذه نقطة لا يستطيع أحد أن يسلب محمد نجيب حقه التاريخى فيها ، إنه وافق أن يكون فى صدارة ثورة يمكن أن تنجح أو تفشل، ومعنى هذا أنه كان على قناعة تامة بأنه يستطيع أن يتحمل نتائج الفشل قبل النجاح .. وكان من الممكن جدا أن يكون ثمن ذلك غاليا .. وليس هناك أغلى من حياة الإنسان .

وإذا كنا لا نستطيع أن نسقط دور محمد نجيب حينما وافق على أن يكون فى صدارة هذه الثورة إلا أنه لا ينبغى أن نبالغ فى أهمية هذا الدور .. لقد اختلفنا مع محمد نجيب فى مناسبات كثيرة ، ربما كان أخطرها محاولات نجيب المستمرة للتقارب مع رموز عهد ما قبل الثورة .. كانت لنجيب بحكم موقعه علاقات قديمة مع بعض القيادات الحزبية، ولا شك أن هؤلاء قد تركوا أثرا فى فكر محمد نجيب . ومن هنا كان الخلاف بيننا .. وفى كثير من القضايا كنا نشعر أن محمد نجيب يحاول أن يجنح بالثروة إلى طرق أخرى .. والدليل على ذلك أننا وجدنا عبد القادر عودة وهو من قيادات الإخوان يقف بجوار نجيب وهو يلقى واحدة من خطبه عندما كان الخلاف بينه وبين اعضاء مجلس قيادة الثورة مشتعلا ..

وأستطيع أن أؤكد أن الأمر كان قد وصل إلى مفترق طرق إما نجيب .. أو مجلس قيادة الثورة .. والخطأ الأساسى الذى وقع فيه محمد نجيب بعد أن زادت شعبيته فى الشارع المصرى ، ، أنه تصور أنه قادر على تنحية مجلس قيادة الثورة على أساس عودة الجيش لمواقعه وتسليم السلطة للأحزاب القديمة تحت دعوى الديمقراطية. كنا قد اتفقنا: نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة على أن نناقش قضية الديمقراطية بعد ثلاث سنوات نكون فيها قد قمنا بتأمين الثورة من كل جوانبها وإجراء الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى قامت الثورة من أجلها .. ولكن نجيب كان يلح بعودة الأحزاب القديمة ومن هنا حدثت المواجهة التى انتهت بغياب محمد نجيب عن الساحة السياسية تماما .

ويضيف السيد حسين الشافعى : وإذا كنت مع موقف مجلس قيادة الثورة فى الخلاف مع محمد نجيب ودوره إلا أننى أعتقد أن معاملة نجيب بعد تركه السلطة كانت فيها تجاوزات كثيرة ، ولم يكن يستحق ذلك أبدا .. لقد كان خطأ نجيب الأساسى أنه كان يحاول أن يغازل التيارات والأحزاب السياسية من وراء ظهر مجلس قيادة الثورة .. وقد ساعده على ذلك اتساع شعبيته فى السنوات الأولي لقيام الثورة.

قلت للسيد حسين الشافعى: ما هو أول شرخ حدث فى مجلس وقيادة الثورة؟

إذا كان هناك اتفاق بينكم حول كل القضايا تقريبا بما فى ذلك قضية تأجيل الديمقراطية ثلاث سنوات .. متى اختلفتم ؟.

قال : جاء الخلاف بيننا بعد رحيل محمد نجيب من السلطة مباشرة .. اتفقنا على رحيله .. ثم اختلفنا تماما بعد رحيله .. ولم يكن الخلاف هذه المرة بسبب نجيب ، ولكن كان بسبب ترقية عبد الحكيم عامر إلى رتبة لواء متجاوزا بذلك كل أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وكان هناك عدد كبير من الضباط يسبق عبد الحكيم عامر فى الرتبة.. وفى التقاليد العسكرية نحن نحترم أقدمية اليوم الواحد .. فما بالك وقد أصبح عبد الحكيم عامر أعلى رتبة منا رغم أنه كان أقل رتبة من معظم أعضاء المجلس عندما قمنا بالثورة .

كانت ترقية عبد الحكيم عامر وتوليه مسئولية الجيش أكبر خلاف حدث بيننا .. بل إن هذا القرار هدد بعنف الموقف فى الجيش حيث شهد حالات من التمرد ، كان أعنفها وأقساها ما حدث فى سلاح الفرسان .. ويومها ذهب جمال عبد الناصر بنفسه والتقى بالضباط المتمردين ودار بينه وبينهم حوار استمر حتى الثالثة صباحا .. وفى هذا الحوار اتضحت كل الاتجاهات

السياسية حيث إن هؤلاء الضباط المتمردين كانوا يمثلون كل طوائف المجتمع المصرى من بقايا الملكية والأحزاب السياسية والتيارات الاجتماعية المختلفة .. وبعد أن انتهى لقاء عبد الناصر مع سلاح الفرسان .. جئت إلى هذا المكان - مجلس قيادة الثورة - وقضيت فيه خمسة عشر يوما أواصل الليل بالنهار.

وعقبت على كلام السيد حسين الشافعى قائلا : هناك أقدار غريبة فى مسيرة عبد الناصر وعلاقته بالمشير عبد الحكيم عامر .. أن يكون أول شرخ فى مجلس قيادة الثورة بسبب ترقية عامر .. وأن تكون اكبر ضربة فى تاريخ عبد الناصر أيضا بسبب عبد الحكيم عامر.. مصادفة غريبة فى تاريخ الرجلين .

قلت للسيد حسين الشافعى .. ولماذا كان قرار مجلس قيادة الثوة بتأجيل قضية الديمقراطية ثلاث سنوات .. لماذا جاءت هذه القضية فى البند السادس من أهداف ثورة يوليو رغم أن مصر بكل المقاييس كانت جديرة بتجربة ديمقراطية كاملة ؟.

قال : كانت لدينا قضايا أهم .. كانت قضية تحرير الإرادة المصرية هى أهم وأخطر قضايانا .. كان هناك الاحتلال الإنجليزى الذى استباح أرضنا وكنا نعتقد أن تحرير الإرادة هو أهم من أى شىء آخر بما فى ذلك قضية الديمقراطية .. وكنا نخاف من عودة الأحزاب السياسية لأنها قادرة بحكم تاريخها

فى الشارع المصرى وممارساتها السياسية أن تقلب موازين كثيرة .. كانت هناك أحزاب لها تأثيرها القوى وهى قادرة على أن تثير الجماهير ضد الثورة .. وقد كانت استقالة محمد نجيب فى عام ١٩٥٤ أخطر المواجهات التى عاشتها الثورة فى بدايتها.. كنا قد قدمنا محمد نجيب كرمز لهذه الثورة والتف الشعب حوله وأحبه وكان من الصعب جدا أن يختفى نجيب فجأة من الساحة السياسية .. وأنا اعتقد أن معركة نجيب واستقالته ثم رحيله من السلطة أهم وأخطر معركة خاضتها الثورة بعد سقوط الملك .

وقد بقيت ظلال محمد نجيب بعد ذلك حتى أن الإنجليز أثناء العدوان الثلاثى على مصر كانوا يفكرون فى إيجاد بديل للحكم عند سقوط عبد الناصر، وقد فكروا فى عودة محمد نجيب، ولم يكن ذلك بتنسيق مع الرجل حتى لا أظلمه ، ولكنه كان فى ظل سياسة البحث عن بديل مقبول للحكم فى الشارع المصرى .

كان من الصعب جدا أن تنفذ الثورة برامجها فى التغيير فى ظل الأحزاب القديمة أو فى ظل ديمقراطية يمكن أن تعيد هذه الأحزاب للسلطة مرة أخرى .

ويضيف السيد حسين الشافعى : وفى تقديرى أن تحرير الإرادة المصرية كان يعنى لدينا الكثير .. إن مصر دولة أساسية فى العالم .. ومهما كانت إنجازات الشعوب وتفوقها إلا أن التبعية

سقدها أهم مقومات وجودها وهى الإرادة الحرة .. وهذا ما كنا نسعى إليه ونريده. كان تحرير الإرادة أهم منجزات وأهداف ثورة يوليو .

قلت للسيد حسين الشافعى : وماذا عن المحاكمات ؟

قال : شهد هذا المبنى معظم محاكمات الثورة، وفى هذا القفص وقف رؤساء الأحزاب والساسة أثناء محاكماتهم فى بداية الثورة وقد كنت رئيسا للمحكمة فى بداية الثورة ويعد نكسة ٦٧ وقف فى هذا القفص ٥٢ متهما كان من بينهم صلاح نصر وكنت أنا رئيس المحكمة ويومها قال الناس إنها محاكمة الـ ٥٢ .. أى ثورة يوليو ٥٢.

بينما كنا نهبط على سلم مبنى مجلس قيادة الثورة .. قال أحد المرافقين إن تجديد هذا المبنى سوف يشمل إقامة جناح يضم تاريخ كل عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة الاثنى عشر.

وقال : إن الميزانية التى رصدتها الحكومة لترميم المبنى بلغت أربعين مليون جنيه .. ونظر السيد حسين الشافعى متعجبا وهو يسمع رقم الأربعين مليون جنيه .. وتعجبت أنا أيضا ..

★ ★ ★

التاريخ بين الوثائق .. والروايات

هناك فرق كبير بين تاريخ ترويه الحكايات والروايات والقصص .. وتاريخ تسجله الوثائق وتؤكده الحقائق .. ومن أكثر العيوب فى كتابة تاريخنا أنه اعتمد دائما على الروايات وأهمل الوثائق واستند إلى الحكايات وأسقط الحقائق .. ولهذا لم يكن غريبا أن نجد على جدران معابدنا الفرعونية أكثر من قصة وحكاية. وكان من السهل على كل حاكم أن يشطب تاريخ من سبقوه ويسجل اسمه .. ثم يأتى حاكم بعده ليعيد نفس الكرة .. هنا غابت الحقائق وانتصرت لغة الحكايات فى كتابة التاريخ .. ويبقى ذلك سمة من سمات تاريخ مصر منذ العصور القديمة حتى الآن .

وعندما دخلنا عش الدبابير وطالبنابتاريخ أمين وصادق حول أحداث ثورة يوليو وصلتنا ردود أفعال واسعة وللأسف

الشديد إنها جميعا وبلا استثناء اتسمت بالتشنج والرفض الكامل أو القبول المطلق .. وتاهت حقائق التاريخ حتى الآن وسط هذه السيل الهادر من الاتهامات وتوزيع الأدوار .. ورغم مشاركة اثنين من أهم الرموز التى شاركت فى أحداث ثورة يوليو وهما السيد زكريا محيى الدين والسيد حسين الشافعى وكلاهما كان نائبا لرئيس الجمهورية إلا أن هناك حقائق كثيرة ما زالت تحوم حولها ظلال كثيفة.

لقد اختلفت الروايات حول أحداث الثورة . كما اختلفت أيضا حول الصراعات التى دبت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى أيامه الأولى .. اختلفت الآراء أكثر حول الخلاف بين ثوار يوليو واللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر بعد قيام الثورة، ولأننا نعتمد على الحكايات حدثت تناقضات كثيرة فى معظم الكتابات والروايات التى تناولت تاريخ ثورة يوليو.

– وكان أبرز هذه التناقضات ما جاء فى الروايات حول أحداث الليلة الأولى من الثورة .. هنا جاءت أكثر من رواية .. هل كان الحسم على يد يوسف صديق حينما استولى بقوته العسكرية على مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة .. أم كان على يد قوات سلاح الفرسان .. أم جاء على يد قوات أخرى من المشاة؟ .. وما هى الأدوار الحقيقية ومن هم أصحابها ؟.

وقد يقول البعض وما فائدة ذلك الآن وقد نجحت الثورة ومضى على قيامها ما يقرب من نصف قرن من الزمان .. والشيء المؤكد أن تاريخ الثورات بكل تفاصيل أحداثه من حق التاريخ .. والتاريخ وحده .. ولهذا ليس من حق أحد أن يسلب أدوار الآخرين .

– من بين الخلافات أيضا دور محمد نجيب فى ثورة يوليو .. وهل كان دورا هامشيا أم كان دورا مؤثرا .. وإذا كانت الثورة قد اعترفت بأدوار كل المشاركين فيهاحتى من أبناء الصف الثانى . فلماذا نحرم محمد نجيب من حقه التاريخى فى هذه الثورة وهو ما بقى له .. ويكفيه سنوات النفى والتجاهل التى عاشها بعد أن ترك السلطة . إن هناك إجماعا على أن جمال عبد الناصر هو القائد الحقيقى لثورة يوليو ولكن أليس من حق محمد نجيب الرجل الذى قبل أن يدخل هذه المغامرة ويتحمل كل نتائجها نجاحا أو فشلا أن يأخذ مكانه ومكانته بين المشاركين فيها .. ولماذا كان هذه الرفض الجماعى لدورمحمد نجيب .. وهل يرجع ذلك لأسباب شخصية أم لأسباب كانت وراءها حسابات السلطة ومن يحكم ومن ينسحب ؟

– من أهم الخلافات التى لم تحسم أيضا الصراع حول قضية الديمقراطية .. والواضح من معظم الروايات أن مجلس

قيادة الثورة كان قد أجل هذه القضية لبعض الوقت حتى تستكمل الثورة شكلها وتؤمن نفسها .. ولكن هل كان الصراع الحقيقى مع محمد نجيب بسبب قضية الديمقراطية فعلا .. أم أنه كان فى الحقيقة صراعا حول من يحكم؟ .. وما هى الوثائق التى تثبت أن قضية الديمقراية كانت بالفعل من القضايا التى طرحتها الثورة فى أيامها الأولى .

وما هى حدود الخلاف حول قرارات مهمة مثل قانون الإصلاح الزراعى وتأميم ومصادرة أموال أسرة محمد على والمفاوضات مع الأحزاب السياسية القديمة وجماعات الإخوان المسلمين والشيوعيين والظروف العامة التى أحاطت بالشارع السياسى فى مصر فى ذلك الوقت

– ما هى أسباب غياب أسماء كبيرة بعد ذلك واختفائها تماما من الساحة وكان على رأس هؤلاء عبد اللطيف البغدادى ويوسف صديق وخالد محيى الدين ثم كمال الدين حسين .. ثم زكريا محيى الدين ، ما هى حقيقة هذا الغياب؟ هناك من يرى أن السبب فى إبعاد يوسف صديق هو توجهاته الفكرية وميله لليسار .. كذلك السيد خالد محيى الدين .. فإذا كان الخلاف مع هؤلاء خلاف فكر فماذا عن أسباب الخلاف مع رموز أخرى مثل

البغدادى وزكريا محيى الدين وهل كان لصعود نجم عبد الحكيم عامر علاقة بذلك .

– ماذا عن المحاكمات التى تمت طوال سنوات الثورة الأولى سواء انتهت بأحكام تعسفية أم بأحكام بالسجن .. وماهى الحقيقة فى ذلك كله .. لقد بقيت ظلال كثيرة حول هذه المحاكمات وخاصة أمام غياب أوراقها وقضاياها واتهاماتها.. باختصار شديد أنها قضايا ومحاكمات بلا وثائق .

وأمام هذه الخلافات الصارخة حول المواقف والأحداث والأشخاص بقيت بعض الأشياء غامضة أمام غياب الحقيقة .

بقى الصراع على السلطة فى مصر طوال سنوات الثورة لغزا محيرا لا يوجد له سند ولا وثيقة .. حتى مناقشات ومحاورات مجلس قيادة الثورة .. والأغرب من ذلك كله أن هناك حكاية تتردد لا أعرف مدى صحتها بأن جميع الوثائق الخاصة بمحاضر اجتماعات مجلس قيادة لثورة قد اختفت تماما وليس لها وجود الآن .

والأخطر من ذلك أن جميع محاضر جرد وحصر القصور الملكية وقصور أثرياء مصر قد احترقت ولا وجود لها أيضا .

وبجانب ضياع الوثائق أو احتراقها هناك أحداث مهمة لا نعرف عن وثائقها شيئا .

هل يعرف أحد فى مصر كلها ماذا حدث فى حرب اليمن وأين وثائق هذه الحرب .. هل يعرف أحد أين وثائق حرب ٦٧؟.. إن الوثائق التى تخص أطرافا أخرى موجودة وخاصة حرب السويس .. وثائق السلام مع الإسرائيليين معروفة للجميع. ولكن وثائقنا لا أحد يعرف عنها شيئا .. حتى مفاوضات السلام فى كامب ديفيد لا يعرف أحد عن أغلب وثائقها شيئا .

هناك أحداث مهمة وخطيرة كان لها تأثيرها فى مسيرتنا، كشعب ودولة، وبقيت أسرارها ألغازا خافية ابتداء بثروة أسرة محمد على وحركة المصادرة والتأميمات، وانتهاء بالانفتاح والخصخصة.. والسبب فى ذلك أننا حتى الآن لا نحترم حق الناس فى معرفة الحقائق، ومن هنا غاب دور الوثائق التى تمثل أهم مصادر التاريخ.

والشيء الغريب أن جميع الأحداث التى كانت فيها أطراف أخرى يمكن الحصول على وثائقها ليس من مصر ولكن من أطراف أخرى.

إن وثائق حرب السويس فى إنجلترا وفرنسا .. وقصة الصراع حول بناء السد العالى موجودة لدى المؤسسات المالية

فى أمريكا .. وقصة حركة عدم الانحياز موجودة فى الهند ويوجسلافيا.. وحرب ٦٧ موجودة لدى إسرائيل وأمريكا .. وقصة العلاقات المصرية السوفيتية موجودة لدى الكرملين .. ومن أراد أن يبحث فى هذه الموضوعات سوف يجد أنه من السهل عليه أن يحصل عليها طبقا للقوانين التى تحكم نشر الوثائق فى هذه الدول .. أما نحن فهذا الأمر مستحيل .

ولهذا لم يكن غريبا أن تختلف الروايات لأن أصحابها أشخاص .. وأن تتعدد الآراء لأنها ليست أكثر من اجتهادات .. وأن يقوم التاريخ على استنتاجات لا تستند إلى حقائق .. من هنا كان هذا التعارض الشديد فى الروايات والأحداث. وكان هذا الانقسام الحاد بين مؤيدين ومعارضين. والسبب فى ذلك كله هو غياب الحقيقة .. والحقيقة فى التاريخ هى الوثيقة .. وحين يتم الإفراج عما بقى من وثائق ثورة يوليو ووضعها بين أيد أمينة هنا فقط يمكن أن نكتب تاريخا صحيحا .

والشىء المؤسف أننا شوهنا تاريخنا كله: رموزه وأحداثه وأيامه ولم نترك نقطة مضيئة يمكن أن يلتف حولها أبناؤنا ليضعوا أقدامهم على الطريق الصحيح .. إن كل مرحلة صادرت

مـا قـبـلـهـا .. وكل صـاحب قـرار ألـغـى مـن سـبـقـه .. ويـقـيت عـلـى معابدنا بعض السطور المشوهة التى تحكى أحداثا لانعرف من هم أبطالها الحقيقيون .. وإذا كانت القوانين تحاكم من يسطو على بيت أو يسرق دكانا.. فكيف لا نحاسب من يسرقون أدوار الآخرين وتاريخهم.

★ ★ ★

تاريخ شعب .. أم تاريخ حكام ؟

عندما بدأت الكتابة عن تاريخ ثورة يوليو منذ أسابيع مضت لم أكن اتصور أن تكون لهذه القضية أصداء واسعة شاركت فيها الصحافة الحزبية فى مصر .. والصحف العربية سواء فى المنطقة العربية أو خارجها .. ويبدو أن القضية حركت الكثير من المياه الراكدة خاصة وأننا اعتدنا تسطيح الأشياء وتهميش القضايا أو الاقتراب منها حسب رؤانا الضيقة وتقديراتنا الشخصية .

وعندما كتبت عن ثورة يوليو وتاريخها كنت أضع أمامى ثلاثة محاور أساسية .

اننى لا أكتب تاريخا ولست متخصصا فيه وإن كنت أدعى

أنى قارئ جيد له، ولعل السبب فى.ذلك أننى لا أحب التعامل مع ظواهر القضايا ، ولكننى أحاول قدر جهدى أن أبحث عن الأسباب، ولعل ذلك ما يجعلنى أيضا أهتم بالجذور، وهنا أعود للتاريخ .. يضاف لهذا أن الحاضر ابن شرعى للأمس ولا يمكن لنا أن نتعامل مع الأحداث بأسلوب الكلمات المتقاطعة التى تنفصل تماما سطورها ومعانيها .. لأن الأحداث فى حقيقتها جمل جمعها كتاب ضخم اسمه التاريخ .

إننى واحد من أبناء ثورة يوليو .. من هنا فأنا مرتبط بهذه الثورة بالعمر والحلم والألم .. والثورة بمقاييس العمر كانت كل عمرنا.. وبمقاييس الحلم كانت أكبر أحلامنا .. وبمقاييس الألم .. فهى أعمق جراحنا .. وحينما اتناول قضية تاريخ الثورة فهى دعوة لانقاذ العمر وما بقى من أطلال الحلم حتى وإن كان فى ذلك الكثير من الألم.

إننى أعتقد عن يقين أن مصر ما زالت حتى الآن فى حاجة إلى أسس ثلاثة لا يمكن أبدا التخلى عنها حتى وإن بقيت فى ضميرنا حلما لعله يوما يرى النور .

أول هذه الأسس .. تاريخ صحيح منزه من الأغراض والمصالح، ولا يعقل أن تكون أول أمة صنعت التاريخ هى التى تفتقد أمانة التاريخ .. ولعل السبب فى ذلك أن حكم الفرد منذ

العصور الفرعونية القديمة جعل تاريخ مصر كله مجرد حكايات عن إفراد حكموا ويبقى دور الشعب المصرى دائما على هامش الأحداث .. ولو أننا توقفنا مثلا عند تاريخنا الحديث ابتداء من عصر محمد على حتى الآن فسوف نكتشف أن نقاط الضوء التى ظهر فيها دور الشعب كانت قليلة للغاية .. وأن تاريخ الحكام كان هو الأساس ..

الجانب الثانى الذى أرى أن مصر جديرة به .. هو قضية الديمقراطية بمفهومها الكامل والصحيح بعيدا عن الأحزاب المعلبة .. والشعارات الرنانة .. وما زلت اتصور أنه سيجىء الوقت الذى نصحح فيه مسارنا ونعود مرة أخرى لممارسة تجربة ديمقراطية حقيقية .

الجانب الثالث والأخير .. أن لدى قناعة كاملة أن مصر ليست دولة نامية .. وليست دولة فقيرة .. وليست دولة من دول الصف الثانى أو الثالث، وأننا بقدر تمسكنا بقدراتنا الحقيقية بقدر ما ننجح فى تحديد دورنا .. إن قدرات مصر الحضارية والثقافية والعلمية لا تضعها أبدا فى قائمة الدول النامية .. وقدرات مصر الاقتصادية تضعها فى مصاف الدول الغنية .. أما دورها فهو قضية لا خلاف عليها .. ولكن الاختلاف فى الظروف والمواقف .

هذه مقدمة ضرورية كنت حريصا على توضيحها قبل أن أتناول الرسالة الرقيقة التى بعث به الأستاذ ضياء الدين داود الأمين العام للحزب الناصرى.

وقد اتفق معى الاستاذ ضياء الدين داود على أن الأزمة الحقيقية فى كتابة التاريخ فى مصر أنه تاريخ أشخاص .. وكانت الصفحات التى تناولت دور الشعب المصرى قليلة جدا واقترب منها البعض على استحياء .. ولعل ذلك يرجع إلى أن التاريخ عندنا كتبه الحكام واطمأنوا عليه .. وقد أدى ذلك إلى تشويه الحقائق حيث وجدنا كل حاكم يشطب تاريخ من سبقوه ويعيد تسجيل كل شىء لحسابه .

ورغم هذا الشطط في الكتابة التاريخية إلا إننا كنا نجد بعض الذين خرجوا على هذا السياق .. وهذا ما فعله الجبرتى رغم أنه عاش فى عصر محمد على ولم يمنعه ذلك من أن يكتب الحقيقة فى أحيان كثيرة .. وهذا أيضا ما فعله الرافعى عندما كتب عن الخديو إسماعيل رغم أنه كتب فى ظل حكم الأسرة العلوية من أبناء إسماعيل .

ولم يمنعه ذلك من أن يدين إسماعيل فى مواقع كثيرة .

ولكن ربما اتفق معى الأستاذ ضياء الدين داود أن تاريخ الثورة ألغى ما كان قبلها .. ثم الغت الثوة نفسها ..

والأدلة على ذلك كثيرة ..

كان اسقاط تاريخ الأحزاب السياسية فى مصر قبل الثورة إهدارا لكل مقومات التجربة الليبرالية التى شهدتها مصر فى النصف الأول من هذا القرن ، ومهما قيل عن أخطائها إلا أنها كانت تجربة وليدة تركت آثارها على الحياة السياسية والثقافية فى مصر مع نهاية الأربعينيات ولعل ما وصل إليه مستوى الإبداع والحوار والثقافة والفكر في هذه الفترة يتجاوز ما نحن فيه الآن من حيث القيمة والتأثير والدور. إن مصر ما زالت حتى الآن تعيش على رصيد رموزها فى هذه الفترة الخصبة .

ولعل الأستاذ ضياء الدين داود يوافقنى على أن الثورة تجاهلت تماما دور الزعامات السياسية فى مصر قبل الثورة ابتداء بسعد زغلول مرورا على النحاس باشا، ولم تسلط أضواءها تقريبا إلا على أحمد عرابى وأسباب ذلك واضحة ومعروفة .

من هنا بدأت ثورة يوليو أيضا فى شطب أدوار أبنائها .. حدث ذلك مع محمد نجيب .. وحدث أيضا مع أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين انسحبوا أمثال يوسف صديق والبغدادى وخالد محيى الدين .. ثم زكريا محيى الدين ..

وللأسف الشديد أن الذى حدث مع هؤلاء حدث مع تاريخ عبد الناصر نفسه بعد ذلك .. ومهما كانت التجاوزات والمآخذ

على فترة حكم عبد الناصر إلا أن الأمانة تقتضى أن تضع الرجل فى مكانه الصحيح من حيث الدور والإنجازات .

وانقسمنا بعد ذلك إلى طوائف وأحزاب .. هناك من يدافع عن محمد نجيب ومن يدافع عن عبد الناصر .. ومن يدافع عن السادات رغم أننا ينبغى أن ندافع عن الحقيقة أيا كان صاحبها.

ولاشك أننى أتفق تماما مع الأستاذ ضياء الدين داود فى أن تاريخ الثورة هو تاريخ شعب قبل أن يكون تاريخ أفراد .. ومهما كانت قيمة الأفراد ودورهم إلا أن الشعوب هى التى تبنى الإنجازات العظيمة وتحمى أحلام رموزها .

ولهذا كان ينبغى أن نتعامل مع تاريخ ثورة يوليو على أساس أنه تاريخ مصر وليس تاريخ عبد الناصر أو السادات أو محمد نجيب أو سعد زغلول أو النحاس .. إن تنقية الكتابة التاريخية من الأهواء والأغراض والمصالح هى نقطة البداية ، لأن المؤرخ راهب يجب أن يتخلص من كل غبار النزوات والشطط والرؤى الضيقة، ويهب نفسه لقيمة عظيمة اسمها الحقيقة، وهى أساس الكتابة التاريخية .

ويتوقف الأستاذ ضياء الدين داود عند ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل وكيف أنه اعتمد دائما على الوثائق والحقائق سواء حصل عليها من مصر أم من الخارج ..

وهنا أقول إن الأستاذ هيكل حصل على هذه الوثائق بصفته الشخصية ولأنه محمد حسنين هيكل .. وهو قادر على أن يحصل عليها من اطراف أخرى خارج مصر بحكم علاقاته وصداقاته وإمكانياته .. وأنا أعلم أن الأستاذ هيكل يدفع من حر ماله عشرات الآلاف من الجنيهات الإسترلينية للحصول على الوثائق من إنجلترا وفرنسا وأمريكا .. هذه واحدة .. أما الثانية فقد كتبت فى بداية هذه المقالات وقلت أن جمال عبد الناصر كان محظوظا بوفاء الاستاذ هيكل لذكرى زعيم سياسى كبير .. لقد تحمل الأستاذ هيكل الكثير في دفاعه عن عبد الناصر وخاض معارك ضارية في سبيل ذلك ، ولم يكن الأستاذ هيكل يدافع عن تاريخ عبد الناصر فقط ولكنه كان فى الحقيقة يدافع أيضا عن تاريخه .. وفى تقديرى أنه من الصعب جدا ان نتحدث عن عبد الناصر بعيدا عن هيكل أو أن نتحدث عن هيكل بعيدا عن عبد الناصر.

ولهذا فأنا أعتقد أن الأستاذ ضياء الدين داود يوافقنى على أن ما يكتبه الأستاذ هيكل يمثل حالة خاصة وفريدة ، فليس كل الكتاب لديهم قدرات هيكل .. وليس لديهم ايضا ما هو قادر عليه.

اننا حينما نطالب بتوفير الوثائق للمؤرخين فإننا نضع الاسس البديهية للكتابة التاريخية .. من هنا فإن الأستاذ ضياء

الدين داود يتفق معى فى أننا فى العالم العربى نكتم كثيرا من الأسرار ، وهذا عيب خطير يجب أن نتخلص منه ، إن من حق كل باحث جاد وكل مؤرخ يبحث عن الحقيقة أن يجد بين يديه حقائق الأحداث .

وفى اليوم الذى نجد فيه بين أيدى أبنائنا فى المدارس كتابا فى التاريخ يتناول الأحداث والأشخاص والمواقف بكل الأمانة والموضوعية ... يومها لن نجد فريقا منهم يدافع عن العصر الملكى .. وفريقا آخر يدافع عن محمد نجيب .. وفريقا ثالثا يحاول إلغاء تاريخ عبد الناصر .. أو إسقاط دور أنور السادات .. باختصار شديد سوف نشهد أجيالا جديدة تخلصت من آفات زماننا الذى شوه الرموز .. وأهدر الحقائق واستباح أدوار الرجال ..

من حق أجيال جديدة أن تقرأ تاريخا أمينا ينصف الموتى من تسلط الأحياء .. ويحمى الأحياء من نشوة السلطان وبريق السلطة ، ونقرأ فى دفاتر أبنائنا الصغار أسماء رموزنا التى مهما اختلفنا حول ادوارها إلا أنها قدمت لهذا الوطن كل ما كان لديها من عطاء . وأخيرا لعل الأستاذ ضياء الدين داود يوافقنى على أن لعنة الفراعنة الذين كانوا يشطبون تاريخ بعضهم البعض ما زالت تراثا عريقا يحكم تاريخنا حتى الآن حكاما .. ومحكومين.

★ ★ ★

الثورة .. بين الأخطاء والإنجازات

ماذا تفعل إذا وجدت أمامك قضية بلا شهود .. ومتهما بلا ادعاء .. ومنصة بلا قاض .. وماذا ستفعل إذا تضاربت أمامك أقوال الشهود وقفز أحد المتهمين من قفص العدالة وجلس فوق منصة القضاء وجعل نفسه قاضيا ..واختلطت الأدوار فى المحكمة فلم يعد القضاة قضاة .. ولا المتهمون متهمين .. وتداخلت الصور والأدوار وبدأت الأيدى تتشابك والأعصاب تثور.. والكراسى تتطاير فوق الرءوس. ونظرت حولك فى ساحة العدالة فلم تجد غير الضجر والضجيج، لم تعد قادرا علي أن تعيد الانضباط للمحكمة .. ولم تعد قادرا على أن تخرج سليما دون أن يسقط على رأسك حجر من هنا أو هناك .. وفى كل الحالات يجب أن تستمر المحاكمة ولا تحزن إذا وجدت نفسك مدانا فى شىء لم تشارك فيه .

هذا ما كان يدور فى ذهنى والأستاذ أمين هويدى يتحدث معى عبر الهاتف حديثا طويلا أقل ما يوصف به أنه حديث أمين. ونسى الرجل مناصبه السابقة كوزير للحربية ورئيس للمخابرات ولم يجمع شخص واحد المنصبين فى وقت واحد غير أمين هويدى عقب نكسة ١٩٦٧ .

كان الرجل واضحا وهو يقول: لقد طرحت قضية لن تحسم أبدا.. إن كتابة التاريخ مسئولية ومهمة صعبة للغاية فى الظروف العادية. ويصبح الأمر أكثر صعوبة إذا اختلطت الأدوار وأصبح من حق البعض أن يعطى لنفسه حقوقا وأدوارا تتجاوز الحقيقة بكثير. بل إن البعض أهدر كل الحقائق، هذا باختصار شديد ما حدث مع تاريخ ثورة يوليو.

إذا كنا نتحدث عن الوثائق .. فيجب أولا أن نحدد ما هى الوثيقة .. وما هو مصدرها وما الذى يضمن أن كل ما يصل إلينا هو الوثيقة الحقيقية .. إن سجلات المعارك والحروب تمزق وتعاد كتابتها مرة أخرى، وقد حدث ذلك فى بلاد وعصور مختلفة .. وما أكثر الشواهد على ذلك فى التاريخ الحديث والقديم معا .

تتحدث عن الأدوار والقضايا والأشخاص .. وهنا أسأل: من الذى يسبق الآخر.. القضية أم الشخص.. أم أن القضية فى حقيقتها تحتاج أولا إلى شخص يؤمن بها.. وماذا تفعل القضية

بدون الأشخاص .. تبقى حبرا على ورق. فمن سبق الآخر فى تاريخ ثورة يوليو الأشخاص أم القضايا.. إن القضايا كانت جميعها موجودة.. ولكن من الذى أخرجها للنور.

ويضيف السيد أمين هويدى:

وتتساءل أيضا عن الأدوار .. وماذا تقول عن سرقة الأدوار.. كيف يمكن أن يصبح المتهم شاهدا.. بل قاضيا يجلس على منصة القضاء.. هناك أفراد صنعوا التاريخ بقراراتهم.. ولا أعتقد أن هناك قرارات تاريخية جماعية.. هل يمكن مثلا أن يقال إن قرار تأميم قناة السويس كان قرارا جماعيا أصدره مجلس قيادة الثورة.. الحقيقة أنه قرار شخص واحد اسمه جمال عبد الناصر.. وعندما حدثت النكسة وجدنا من يحملها له وحده رغم أن هناك من شارك فيها حتى ولو بالصمت.. من حقى كمسئول أن أناقش صاحب القرار.. وأن أرفض القرار.. وأن أنسحب إذا لزم الأمر. وكل درجة من هذه الدرجات تختلف من شخص لآخر.. ولكن عندما أفقد القدرة تماما على أن أناقش أو أرفض أو انسحب فليس العيب فى صاحب القرار ولكن العيب فى الشخص.

إننى أتساءل أحيانا. أين كان هؤلاء الذين يتحدثون الآن عن أدوارهم التاريخية، وإذا خرج أصحاب الأدوار الحقيقيون ليقولوا كلمتهم حتى وإن أغضبت تنهال عليهم السهام من كل جانب ولا يملكون فى هذه الحالة إلا أن يعودوا لصمتهم القديم.

إن الإنسان يستطيع أن يحصل على أى وثيقة فى الخارج بدولار واحد وهى تباع فى أماكن عديدة ما دام القانون قد أمر بنشرها.. هل تقارير السفارات فى الخارج مثلا وثائق.. إنها ليست أكثر من وجهات نظر، وقد تتجاوز الحقيقة وقد تأخذ جانبا منها.. إن تحديد كلمة وثيقة مهمة صعبة للغاية.. من هنا فأنا أرى أنك طرحت قضية صعبة للغاية قد لا تصل فيها إلى حل.

هذا بعض ما قال الأستاذ أمين هويدى فى حديثه التليفونى معى.. وقد شعرت من كلامه أنه مثلى ومثل كثيرين مهموم بقضية تاريخ مصر فى نصف القرن الأخير الذى غاب فيه الكثير من الحقائق.

وأمام هذا كله تبدو قضية كتابة تاريخ ثورة يوليو مهمة قاسية إن لم تكن مستحيلة.. وذلك لأسباب كثيرة منها:

- إن هناك شكا كبيرا فى امكانية ظهور الوثائق وإذا كان ذلك أمرا ممكنا فى يوم من الأيام فماذا يقال عن احتمالات العبث فى هذه الوثائق أو تشويه البعض منها.. وإذا كنا عاجزين عن تحديد معنى الوثيقة أمام أوراق كثيرة لا تدخل ضمن هذا التصنيف ولا ينطبق عليها فماذا نفعل أمام غياب أهم أركان الكتابة التاريخية وهو الوثيقة.

عندما يقول وزير الحربية السابق ورئيس المخابرات أن

الأوراق يمكن أن تكتب من جديد وأن الوثائق قابلة للتغيير وأن ما تصورناه وثيقة بين أيدينا ربما كان نوعا من الاجتهاد أو إبداء الرأى أو المشورة فما هى العناصر الأخرى التى يمكن أن نعتمد عليها غير الوثيقة.

* إن اختلاط الأدوار أمامنا جعل المهمة أكثر من مستحيلة.. إن أصحاب القرار ماتوا ومعهم الحقيقة.. والشهود اختلفوا لأن لهم مصالح .. والشركاء حاول كل منهم أن ينسب لنفسه شيئا ربما لم يكن شريكا فيه. والدليل على ذلك مثلا أن يصبح الجميع شركاء فى قرار تاريخى مثل تأميم قناة السويس بينما تصبح النكسة من نصيب شخص واحد بعد أن تنكر كل الشركاء.

* إننا لا يمكن أن نفصل تاريخ الشخص عن مواقفه حتى ولو دفع ثمن هذه المواقف، والفرق بين إنسان وآخر هو تلك المسافة بين شخص يقف شامخا على قدميه ويدفع الثمن.. بينما يركع الآخر تحت الأقدام لكى يأخذ الثمن.. وإذا كان البعض يدعى لنفسه أدوارا ومواقف الآن فلماذا لم تظهر هذه المواقف فى حينها .. لماذا نحاول أن نظهر شجعانا بعد أن يختفى الغبار وتهدأ المعارك.. لماذا ظهرت البطولات بعد اختفاء أصحابها الحقيقيين. ولماذا يدعى البعض الآن أنه رفض وشخط

وضرب وفى الحقيقة أنه لم يفعل شيئا أكثر من الصمت.. والصمت المهين.. إن الصمت أحيانا يصبح جريمة لا تغتفر.. وإذا كان من السهل على البعض الآن أن يدين وأن يستنكر الأحداث والقرارات.. فالسؤال: وأين كنتم والنار تشتعل.

* من الخطأ الفاحش أن نتصور أن كل شيء فى نصف القرن الأخير كان حصيلة جهد أشخاص حكموا أو شاركوا فى الحكم، وبعد ذلك تظهر مواكب الشعب مثل القطيع.. إن فى ذلك امتهانا لنا حكاما ومحكومين.. ومن هنا فإن الخطأ الأكبر أن نصور أنفسنا مغيبين، وإن هناك كائنات خفية كانت تحركنا.. فالأكرم والأفضل أن نعترف بأننا شاركنا فى كل شيء حتى ولو بالصمت.. كما أننا أيضا شاركنا فى الإنجازات حتى بالهتاف.. وكان ذلك أضعف الإيمان.

فإذا كان البعض يقول ببساطة: وماذا كنا نفعل.. فإن الرد الطبيعى أن نقول له: كان ينبغى أن نفعل ما فعله الآخرون وما أكثر النماذج.. هناك أسماء كثيرة اعترضت ورفضت ودفعت الثمن ابتداء بحلمى مراد والجريتلى والعمرى وانتهاء بإسماعيل فهمى ومحمد إبراهيم كامل.

إن كتابة تاريخ ثورة يوليو الآن فى ظل غياب أصحاب الأدوار الأساسية واختفاء أو التشكيك فى مصداقية الوثائق

يتطلب أسلوبا جديدا فى البحث، ولا أعرف من أين يبدأ ذلك وما هى العناصر التى يمكن أن نستند إليها فى كتابة أحداث التاريخ؟ خاصة أن الشهود اختلفوا والشركاء تجاوزوا.. وربما كذبوا؛ ولهذا لا ينبغى أن نسقط نصف قرن من تاريخنا أمام هذه الأسباب وأن نعمل بكل الوسائل العلمية لجمع ما تبقى من تاريخ هذه المرحلة.

وربما يصبح من الضرورى هنا أن نتعامل مع الأحداث والروايات والقصص بحذر شديد، وأن يكون الشك هو طريقنا لليقين وهذا يعنى أن تتم مراجعة جادة وافية لكل ما كتب الشهود والشركاء والبعض من أصحاب القرار.

. وهنا يمكن أن تسقط تلال من الورق كتبها الشهود والشركاء وبعض أصحاب القرار، وكانت أبعد ما تكون عن الحقيقة.

إن أهم دروس التاريخ ألا تكرر الشعوب أخطاءها.

وفى تقديرى أن كتابة تاريخ ثورة يوليو هو الضمان الوحيد لعدم تكرار أخطائها وأخطائنا.

وفى نفس الوقت لا ينبغى أن ننسى إنجازاتها تحت أى ظرف من الظروف؛ لأن الأمانة التاريخية تقتضى أن نرصد الأضواء كما نرصد الظلال.

ثوار يوليو .. وصراع السلطة

كلما تصورنا أننا نقترب من شواطئ الحقيقة لاحت فى الأفق أمواج عاتية سرعان ما أخذت معها كل ما كنا قد جمعنا من الأدلة والبراهين لنجد أنفسنا مرة أخرى أمام رحلة بحث جديدة عن شاطئ جديد ربما وصلنا من خلاله إلى شىء من اليقين.

هذا ما كنت ومازلت أشعر به تجاه تاريخ ثورة يوليو.. ولم يكن هذا شعورى وحدى ولكنه كان شعور أبناء جيلى هؤلاء الذين شاهدوا الأحداث تجرى حولهم كل يوم وهم لا يعرفون ما وراء السطور.. وما خلف النيران.. وما تخبئه الأعاصير.. ولهذا بقيت أحداث وتواريخ أهم سنوات عمرنا بحارا بلا شواطئ.. وأحداثا بلا أدلة.. وتاريخا بلا وثائق.. وشكا دائما يبحث عن يقين.

وفى الأسبوع الماضى خرجت علينا شهادتان من اثنين من الضباط الأحرار كل منهما كانت مفاجأة .. كانت الشهادة الأولى للسيد محمود عبد اللطيف حجازى حول المواجهة التى تمت بين مجلس قيادة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر وضباط سلاح الفرسان حول قضية الديمقراطية.

وفى الشهادة حكى السيد حجازى ما دار من مناقشات عاصفة حول قضية الديمقراطية التى انتهت برحيل محمد نجيب عن السلطة وإبعاد العناصر الرئيسية التى شاركت فى هذا الاجتماع.. ويمكن أن يقال إن ما حدث فى سلاح الفرسان كان أول انقسام داخل تنظيم الضباط الأحرار بعد الثورة.. بل يمكن أن يقال إنه كان ثورة على الثورة نفسها حينما بدأت تجنح بعيدا عن واحد من أهدافها الستة وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة، هذا البند الأخير الذى بقى حلما ولم يتحقق.

أما الشهادة الثانية فكانت من السيد محمد صلاح إبراهيم سعدة وهو أيضا من الضباط الأحرار وهو أول من يشك فى دور يوسف صديق ليلة قيام الثورة فقد أجمعت كل الأراء تقريبا على أن يوسف صديق صاحب الدور الأكبر فى نجاح الثورة حتى وإن كان جنوده كما قال السيد سعدة من الطباخين والترزية.

واليوم أمامنا شهادة على درجة كبيرة من الأهمية لأنها

تحمل توقيع واحد من كتابنا الكبار هو الأستاذ أحمد حمروش، وقد وهب الرجل قلمه سنوات عديدة لتاريخ ثورة يوليو .. وقد احترمنا دائما فيه هذا الانتماء الأصيل لرفقة السلاح ودفاعه عن الثورة فى كل مراحل حياته، حتى وإن اختلفت معه.. أو اختلف معها. ولم يمنعه ذلك من أن يقترب من حقول الألغام عندما كتب مذكرات محمد نجيب.

ومن هنا يكتسب حديث الأستاذ حمروش أهمية خاصة فى هذه القضية بوصفه أيضا واحدا من الضباط الأحرار.

والآن أستطيع أن أدعى أن بعض ملامح الصورة تتضح بالتدريج.. وسوف تتضح أكثر ما دمنا نحاول البحث عن الحقيقة.. ورغم كثافة الظلال وغياب الأدلة.. واختلاف الرأى إلا أننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض الملامح الأساسية التى حملتها أيام الثورة الأولى.

* أول هذه الملامح .. أن الثورة لم تكن تحمل أفكارا واضحة من البداية فلم تكن هناك قضايا واضحة ترسخت فى عقول الضباط الأحرار، ولم يكن ذلك أمرا هينا على شباب فى بداية حياتهم العسكرية، ولعل ذلك ما يبرر أن جميع الإجراءات التى اتخذتها الثورة فى مراحلها الأولى كانت مجرد ردود أفعال.. ولم يكن هناك فكر واضح فى أذهان ثوار يوليو أكثر من

رفضهم للواقع المصرى باختلاف مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم تكن لديهم تصورات واضحة عن كيفية معالجة هذا الواقع.. كما أنهم فيما يبدو كانوا ينظرون إلى هذا الواقع من خلال مواقفهم الخاصة، ولهذا افتقدوا تلك الأفكار المحورية التى يجتمع حولها الثوار عادة.. ولعل السبب فى ذلك هو التفاوت الكبير بين مكوناتهم فكريا واجتماعيا وإنسانيا.

كان بينهم شباب من أصحاب الانتماءات الفكرية أمثال خالد محيى الدين ويوسف صديق، وكان بينهم من ينتمون إلى عائلات مصرية غنية و معروفة أمثال عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين.. وكان بينهم من اقترب من جماعة الإخوان المسلمين فى فترة من حياته أمثال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسين الشافعى.. وهذا يعنى أنهم كانوا رفاق سلاح ولم يكونوا رفاق فكر.. ولعل ذلك ما كان سببا فى تلك الصراعات الدامية التى دارت بينهم بعد ذلك حول كراسى السلطة.

ولقد توقفت عند كلمة قالها السيد زكريا محيى الدين إن قبول الملك فاروق مطالبنا كان يغرينا بتقديم مطالب أخرى.. وهذا يعنى أن مطالب الضباط الأحرار ربما كانت لن تتجاوز حدود إصلاح الأوضاع فى الجيش وتحسين مستوى العاملين فيه، ولم يكن هدفها هذا التغيير الشامل الذى حدث فى مصر

ابتداء بإسقاط الملك وترحيله وانتهاء بإعلان الجمهورية وإلغاء الملكية.

ومن هنا وجد شباب الثوار أنفسهم أمام وطن كبير حملت لهم الأقدار وربما المصادفة مسئولية حكمه، وهم فى الحقيقة غير مؤهلين بحكم السن والتجربة والخبرة لكى يخوضوا تجربة فى الحكم بهذه الضخامة. إن البلد الذى أصبحوا حكاما له يملك تراثا طويلا فى الحكم ويضم مؤسسات تشريعية وتنفيذية لها رصيدها وتجاربها الثرية.. كما أنه شهد تجربة ليبرالية تحمل بشائر طيبة للمستقبل تساندها صحافة وأحزاب ومناخ ثقافى يجعل من مصر تجربة رائدة بكل المقاييس فى هذا الزمن.

ووجد ثوار يوليو أنفسهم ذات ليلة يحكمون أقدم دول العالم تاريخا.. وأكبر دولة عربية وواحدة من الدول المحورية بكل ثقلها السياسى إقليميا وعالميا. وبجانب هذا كله فإن هذه الدولة كانت تعيش تجربة حضارية متفردة عن المنطقة كلها منذ ما يقرب من قرن من الزمان اقتربت فيها من روح العصر بكل نماذجه الحضارية ابتداء بدار الأوبرا وانتهاء بجامعة القاهرة مع جيش عصرى متطور وحياة ثقافية رفيعة فى فنونها راقية فى أذواقها.. مترفعة فى غايتها. ومع هذا الثراء الحضارى فى الدولة بكل مؤسساتها كانت التجارب والخبرات المحدودة فى سلطة القرار.

ومن هنا كان هذا التحدى الصارخ من سلطة القرار ورفضه الشديد لكل مقومات الدولة. دون مراعاة لما ينبغى أن يبقى.. وما يجب أن يزول.. وبدت الرغبة فى التغيير فى بعض الأحيان رغبة فى تدمير كل شىء ابتداء بالناس وانتهاء بالأشياء.. ولعل السبب فى ذلك كله هو غياب الجانب الفكرى فى بدايات الثورة مما جعلها تتعامل مع الأحداث والمواقف بصورة عشوائية فى أحيان كثيرة ينقصها الفهم والوعى والحكمة.

وكانت الأدلة التى تثبت هذا الاستنتاج كثيرة :

* سقطت أجيال كاملة أبعدتها الثورة تماما رغم أنها قدمت عطاء سخيا لهذا الوطن فى كل مجالات الحياة.. وإذا كان هذا الإجراء له ما يبرره فى العمل السياسى فماذا يقال عن مجالات أخرى فى الاقتصاد والعمل العام والأجهزة الإدارية.. وتم استبعاد هذه الأجيال وهى فى كامل لياقتها الذهنية والفكرية وقدرتها على العطاء.. وفرضت ظروف إبعاد هؤلاء أن تحل مكانهم وجوه جديدة، وللأسف الشديد أن هذه الوجوه التى سميت فى ذلك الوقت أهل الثقة.. كان الكثيرون منهم يفتقدون القدرات والمواهب مما جعلهم عبئا على العمل العام.. وهنا انتشرت جيوش أهل الثقة وتم استبعاد أهل الخبرة.. وشملت المحاكمات آلاف البشر وطالت الأبرياء وغير الأبرياء، ولهذا

يخطئ من يتصور أن التغيير هو بالضرورة نحو الأفضل، إنه فى أحيان كثيرة يحملنا للوراء.

* تم تخريب تراث مصر وقصورها وبيوت أثريائها فى هجمة شرسة لا أحد يعرف حتى الآن أين ذهبت.. وإلى أى الأطراف تسربت.. ولعل هذا ما يؤكده الأستاذ أحمد حمروش حين يقول فى رسالته اليوم أن اختفاء كشوف مصادرة القصور الملكية وغير الملكية جريمة يجب أن يحاسب المسئولون عنها.. ولكن أين هؤلاء المسئولون.. وأين ذهبت هذه الأشياء؟ هذا جزء من الوثائق التى نتمنى أن تظهر فى يوم الأيام.

والأغرب من ذلك هذه الهمجية التى تعاملنا بها عندما تحولت القصور إلى مكاتب وإدارات للسجل المدنى والمدارس والجمعيات التعاونية دون تقدير واع لقيمتها التاريخية والحضارية. وقامت لجان الحراسات والمصادرة بأكبر عملية نهب لتراث مصر فى فترة قصيرة كان كل شىء فيها قد اختفى .. حدث هذا فى مصر أم الدنيا بينما بقيت كل ثروات روسيا حتى الآن رغم أن ثورة يوليو كانت ثورة بيضاء وكانت ثورة روسيا بلون الدم.

* كان أخطر الإجراءات التى شهدتها البلاد فى أيام الثورة الأولى هو إغلاق أبواب الديمقراطية وهو أخطر اجراء فى تاريخ

مصر الحديث، حيث جاءت بعده توابع كثيرة ابتداء بانتهاك حقوق الإنسان المصرى وانتهاء باستباحة ممتلكات الناس مرورا على مصادرة كل شيء ابتداء بالفكر وانتهاء بالممتلكات.

كان الخلاف حول قضية الديمقراطية فى مصر هو بداية الانقسام الحاد بين ثوار يوليو، ولو أن أنصار الديمقراطية فى هذا الانقسام انتصروا لكان لمصر شأن آخر فى ظل تجربة ديمقراطية كانت تستحقها بجدارة.

لا نستطيع أن نسقط صدق نيات الضباط الأحرار عندما قاموا بثورة يوليو من حيث الأهداف والغاية.. ولكن ما حدث بعد ذلك كان مجرد صراع على السلطة سرعان ما ألقى بنا إلى متاهات مراكز القوى والنفوذ والسجون، والمعتقلات والاتحاد الاشتراكى حينا والقومى حينا آخر. والانتهازيين فى كل الأحيان.

* النقطة الثانية التى يتوقف عندها الإنسان وهو يتأمل الأحداث ويقرأ الشواهد أن المصادفة لعبت دورا كبيرا فى نجاح ثورة يوليو.. ولولا الساعتان اللتان سبق بهما يوسف صديق زملاءه واستولى على قيادة الجيش لكانت هناك أحداث أخرى .. ساعتان من الزمن غيرتا مسيرة الزمن والتاريخ.

ولعل هذا هو السبب فى اختلاف الروايات حول الأدوار ومن سبق الآخر.. ومن كان الأحق بجنى الثمار.

* أما النقطة الأخيرة التى توقفت عندها محاولا رصدها من البداية فهى قصة الصراع على السلطة، ويبدو أنه بدأ مبكرا ومع الساعات الأولى لنجاح الثورة.

ولهذا كان من الضرورى أن يختفى محمد نجيب بكل ما وصل إليه من شعبية فى الشارع المصرى. وقصة اختفاء لنجيب مازالت حتى الآن مثار شكوك كثيرة؛ لأن الرجل لم يكن يستحق كل هذا الذى لحق به وأصابة ابتداء بخروجه من السلطة وانتهاء بما تعرض له بعد ذلك.

وكان من الضرورى أن يختفى خالد محيى الدين ويوسف صديق لأنهما أصحاب فكر، ولم تكن أولويات الثورة تعطى أهمية كبيرة لهذا الجانب.. وإن بقيت بعد ذلك تضعه فى آخر القائمة.

ثم بعد ذلك اختفى البغدادى.. وكمال الدين حسين.. وفى مرحلة لاحقة اختفى زكريا محيى الدين.. ولم يبق فى الساحة غير أنور السادات وعبد الحكيم عامر.. وانتهت قصة عامر مع نكسة ٦٧ ليرث أنور السادات ثورة يوليو كلها رغم أنه كان أبعد الثوار عن مناطق الصراع، وربما كان ذلك تأكيدا لذكائه الشديد

حيث بقى حياته كلها تقريبا بعيدا عن مرمى نيران الصراع بين رفاق السلاح حتى جاءته الفرصة مع رحيل عبد الناصر.

من هنا يمكن أن يقال إن الثورة أكلت أبناءها واحدا واحدا .. اجتمعوا فى البداية على محمد نجيب وشاركوا فى عزله.. ثم بعد ذلك كان مسلسل سقوط الآخرين.. ولم يتعلم أحد منهم الحكمة من رأس الذئب الطائر.

ولاشك أن الرواية التى حكاها الأستاذ محمود عبد اللطيف حجازى حول ما دار فى سلاح الفرسان تؤكد بداية الصراع على السلطة فى مصر بين قادة ثورة يوليو، بمعنى آخر كانت بداية انقلاب الثوار على بعضهم .. وربما كانت ثورة على الثورة نفسها.. ولكن الأولى نجحت والثانية أخفقت وإن بقيت دعوة رجال سلاح الفرسان بعودة الحكم للشعب وإعادة الجيش إلى ثكناته نقطة ضوء لن يغفلها التاريخ لجزء من العسكرية المصرية طالبت يوما بديمقراطية حقيقية فى مصر.

وما بين المصادقة التى جعلت يوسف صديق يدخل بقواته قيادة الجيش لتنجح الثورة.. والمصادفة التى جعلت ثوار يوليو ينقسمون ويختار جزء منهم مسئولية أن يحكم.. تتابعت حلقات التاريخ والأحداث، واختفت وجوه وظهرت وجوه أخرى، وحاولت الثورة فى كل مراحلها تقريبا أن تلعب بكل التيارات وأن تضربها

ببعضها البعض.. وسخرت اليسار حينا وأبعدته.. وغازلت الإخوان المسلمين أحيانا وسجنتهم.. ووضعت أهل الثقة فى أعلى الأماكن واسقطت أهل الخبرة إلى أسفل سافلين.. ويبقى هذا السيناريو العجيب تتناقله الأجيال جيل بعد جيل، وأمام غياب الديمقراطية وهى ميزان عدل للشعوب كان من السهل أن تتعثر الخطى وتتوه معالم الطريق وتفقد مصر الكثير من جوانب وجهها المشرق المضىء أمام صراعات دامية دفعت ثمنها عمرا وبناء ودورا.

ويقيت الديمقراطية حتى الآن أغلى أحلامنا.

ويبقى صراع السلطة وأهل الثقة وأهل الخبرة أسوأ أمراضنا.

★ ★ ★

ثورة يوليو .. ودروس للمستقبل

إذا كان من الخطأ الشديد أن يقول البعض إن ثورة يوليو كانت بلا أخطاء.. فمن الظلم أيضا أن نقول إنها كانت بلا إنجازات.. وما دمنا نتعامل مع بشر من لحم ودم فينبغى أن تكون أحكامنا من هذا المنطلق.. لأن البشر أضواء وظلال.. وحسنات وسيئات.. ولهذا يجب أن تخضع الأحكام لدرجة من الموضوعية بحيث نقف من هذه الثورة موقفا عادلا يحسب ما لها.. ويحسب ما عليها.. إن البعض يرى أن طرح هذه القضية لن يفيد فى شىء.. وأن الوثائق الضائعة لن تعود.. وأن الأوراق التى اختفت لن ترى النور مرة أخرى.. وأن الصامتين لن يتكلموا .. ولاشك أن طرح هذه القضية أفاد فى أكثر من جانب:

* إن عددا كبيرا من الضباط الأحرار تحدث فى هذا الحوار.. منهم من يتحدث لأول مرة مثل السيد زكريا محيى الدين وإن كنا

نتمنى أن يقول الرجل ما عنده وهو كثير.. وهناك أيضا ضباط الصف الثانى الذين شاركوا فى الثورة وكشفوا أشياء كثيرة لم تكن معروفة أو على الأقل كانت حولها ظلال كثيفة.

* إننا طوال السنوات الماضية وقعنا فى مجموعة من المسلمات التى ترسخت حتى أصبحت حقائق ثابتة لا يجرؤ أحد على الحديث عنها.. لكن طرح هذه القضية كان فرصة لإزاحة الغبار عن أشياء كثيرة من بينها دور محمد نجيب فى قيام الثورة ودور يوسف صديق فى نجاحها وما حدث من صراعات بين أجنحة الجيش المختلفة فى سلاح الفرسان وما حدث ليلة ٢٣ يوليو وحقيقة ترشيح السيد زكريا محيى الدين رئيسا للجمهورية فى خطاب عبد الناصر بالتنحى وأن زكريا محيى الدين لم يكن يعلم بذلك.. لقد دفع طرح هذه القضية بموضوعات كثيرة لا نقول إنها كشفت الحقائق ولكن يمكن أن يقال إنها اقتربت منها.

* كانت شهادات بعض الضباط الأحرار مفاجأة لنا حيث كشف هؤلاء عن مواجهات لم يتحدث عنها أحد من قبل وتنشر لأول مرة.. ولاشك أن هذه الشهادات التى جاءت من عناصر شاركت فى الأحداث يمكن أن تضيف الكثير لكل باحث جاد يحاول البحث عن الحقيقة..

* كان فتح هذه القضية فرصة لإيجاد صيغة متوازنة فى الحوار بين أنصار ثورة يوليو وأعدائها.. ولهذا وجدنا أكثر من وجهة نظر وأكثر من رأى من مختلف الاتجاهات وهناك من أدان ثورة يوليو من ابنائها المخلصين لها والمشاركين فيها.. وهناك من دافع عنها من المؤمنين بفكرها.. وهذا يعنى أننا نستطيع أن نختلف وأن نتصارع بالحجة من خلال حوار مترفع بعيدا عن الاتهامات والشتائم لأننا فى النهاية نبحث عن الحقيقة سواء أدانت البعض أو انصفت البعض الآخر.

لقد كانت هذه القضية فرصة لتقديم نموذج رفيع لحوار شامل شاركت فيه جميع الأطراف دون أسفاف أو ابتذال أو ترخص.. خاصة أن خلافاتنا السياسية عادة ما تجنح بنا إلى مناطق لا تليق فى أسلوب الحوار.

* إننا بفتح هذه القضية نعطى فرصة لأطراف أخرى من الباحثين والمؤرخين الجادين الصادقين وأساتذة الجامعات لكى يبدأوا رحلة البحث عن حقيقة ثورة يوليو لكى نضعها فى مكانها الصحيح من تاريخنا المعاصر دون تجاوز فى الدفاع أو تجاوز فى الهجوم.

ويبقى بعد ذلك كله إنجازات ثورة يوليو وأخطاءها أيضا أمانة فى أعناقنا بحيث نعطيها مالها.. ونحسب ما عليها.

* لا نستطيع أبدا أن نسقط من تاريخ محمد نجيب أنه أول رئيس جمهورية لمصر وهذا حق تاريخى له.. ولا نستطيع أيضا أن نحرم الرجل من حقه فى هذه الثورة وأنه كان من الممكن أن يدفع حياته ثمنا لموقف اختاره يوما عندما جاء على رأس محاولة تمرد عسكرى هى بلغة العسكريين خيانة عظمى، وكان من الممكن أن يدفع حياته ثمنا لها.. من الظلم الشديد أن نحرم محمد نجيب من حقه التاريخى فى هذه الثورة.

* لا نستطيع أبدا أن نسقط دور عبد الناصر وزعامته وتاريخه ابتداء بالسد العالى الذى مازال حتى الآن أحد مفاخر مصر وانتهاء بالدور السياسى الذى قام به يوما فى سياسة عدم الانحياز وتحرير شعوب أفريقيا.. ومهما كانت سلبيات هذا الدور إلا أن إيجابياته تفوق بكثير سلبياته.

لا نستطيع أن نتجاهل تأميم قناة السويس وخروج طبقة متعلمة من أبناء الفلاحين والعمال تشارك الآن فى بناء مصر.. لا نستطيع أن نسقط دوره فى إخراج الإنجليز وتحرير الإرادة المصرية.

لا يمكن أن ننكر ذلك كله فى تاريخ الرجل.

* وبجانب هذا فلا يوجد عاقل يمكن أن يحرم أنور السادات من حقه التاريخى فى قرار حرب أكتوبر لأن هذا الحدث

علامة تاريخية فى مسيرة العسكرية المصرية وليس فى تاريخ السادات وحده.

لا يمكن أن ننكر دور السادات فى فتح أبواب الاقتصاد المصرى من خلال قراءة واعية للمستقبل والتى انتهى فيها تماما الفكر الاشتراكى ليدخل العالم مرحلة جديدة تحتاج إلى صيغة مختلفة فى التعاون بين الشعوب.

* ولا نستطيع أيضا أن نسقط دور ثورة يوليو فى دعم وحدة الصف العربى وفى قضية الصراع العربى الإسرائيلى طوال نصف قرن من الزمان.. هذه بعض الخطوط العامة التى إنجزتها الثورة.. ربما كان هناك ضحايا.. وهناك أيضا انكسارات .. ولكن من قال إن مسيرة الشعوب يمكن أن تمضى على وتيرة واحدة ؟!

وليس المهم الآن أن نبكى على ما مضى.. ولكن المهم أن نستوعب دروس الماضى ونتعلم منها لكى تكون مرشدا لنا فى مسيرتنا نحو المستقبل.. لم يكن الهدف من إثارة هذه القضية نبش القبور أو حساب من لا يملكون حق الرد.. أو معاقبة أشخاص صاروا الآن فى رحاب من يملك العقاب والثواب.. ولكن الهدف هو أن تتعلم الأجيال الجديدة من أخطائنا وأن تلقى نظرة نحو الماضى لكى تأخذ منه دورسا للمستقبل.

★ ★ ★

وماذا يبقى من ثورة يوليو ؟

بعد أيام قليلة يكون قد مضى على قيام ثورة يوليو سبعة وأربعون عاما ورغم مرور هذا الزمن الطويل بكل أحداثه وشخصياته إلا أن الثورة بقيت حتى الآن أخطر الأحداث التى عاشتها مصر فى هذا القرن ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تلك الآثار العميقة التى خلفتها الثورة سواء كانت بالسلب أو بالإيجاب كما أن جيل الثورة بقى حتى الآن صاحب الكلمة الأولى فى مسيرة الأحداث حتى ولو لم يكن طرفا فيها.. وإذا كان من حق كل جيل أن يعتز بتاريخه ويحرص عليه فليس من حقه أن يصادر حركة الزمن وتطور الحياة.. من هنا يصبح من الضرورى الآن أن نستقبل قرنا جديدا سيطل علينا بعد أقل من نصف عام ولدينا تصور كامل لمسيرة المستقبل أما الماضى وفيه بالطبع ثورة يوليو فيجب أن يأخذ مكانا عزيزا فى دفاتر

أيامنا.. ونترك كتابته وتسجيل أحداثه لأجيال ستجيء ربما كانت أكثر إنصافا وإدراكا وأمانة ووعيا ولهذا يجب أن نضع ما بقى وما سيظهر من وثائق الثورة بين أيدى الأجيال القادمة لتقول كلمتها.

إن الشيء الغريب الذى يلفت النظر أن ثورة يوليو مازالت حتى الآن تطل من خلف كل الأشياء فى حياتنا ابتداء بمعاركنا التى كثيرا ما كانت الثورة أهم أسبابها وانتهاء بمشاعر من الخوف والحزن معا، كثيرا ما تزورنا رغم تقدم سنوات العمر وتعثر خطى الزمن.

ولهذا بقيت أشياء كثيرة فى حياتنا من ثورة يوليو:

بقيت قوانين الطوارئ.. وبقايا من الشرعية الثورية.. والاتحاد الاشتراكى ممثلا فى الحزب الوطنى.. والتقسيمات الشكلية فى مجلس الشعب بين العمال والفلاحين.

وبقيت قوانين كثيرة لم تعد تتناسب مع سياسة الدولة ورغبتها فى التغيير ابتداء بالقوانين الاقتصادية وانتهاء بالمناخ السياسى العام.

بقيت تلك الانقسامات الحادة التى تركتها الثورة بين فئات الشعب من تيارات حركتها الأفكار.. وتيارات أخرى خلفتها

المصالح.. وانقسمنا فى معارك دموية بين أبناء الثورة وأعدائها.. أو بمعنى آخر بين المضارين منها والمستفيدين بها بين التقدميين وغير التقدميين.. بين الرجعيين والاشتراكيين.. بين أهل الخبرة وأهل الثقة.. والأخطر من ذلك كله.. أننا أصبحنا أخيرا مسلمين ومسيحيين ونسينا الهلال والصليب حينما تعانقا يوما تحت علم أخضر بسيط.. ثم تدفقت دماء طاهرة على تراب سيناء.. ولم تفرق هذه الدماء بين أبناء الوطن الواحد سواء كانوا أقباطا أو مسلمين.

بقيت شروخ كثيرة فى نفوسنا أعتقد أن الزمن كفيل بها ولكن يجب أولا أن تصدق النوايا وتصفو النفوس ونضع ثورة يوليو فى مكانها حدثا من أحداث تاريخنا وليست كل تاريخنا .. وأن نختلف حولها كما نختلف على كل شئون حياتنا دون تزيد أو جحود أو مصادرة.

والسؤال الآن ماذا نحن فاعلون مع تلك الآثار التى خلفتها ثورة يوليو.. كيف نحمى إنجازاتها .. وكيف نبرأ من جراحها..

إن نقطة البداية فى تقديرى أن نترك الأجيال الجديدة ترى ثورة يوليو بعيونها وليس بعيون من شاركوا فيها أو استفادوا منها أو لفحتهم نيرانها.. إن من حق أجيال جديدة أى ترى الأحداث بعيدا عن تلك المؤثرات التى شوهت ملامح الصورة.. لقد

مضى على ثورة يوليو الآن ما يقرب من خمسين عاما.. أى أن أمامنا طابورا طويلا يضم أجيالا خمسة جاءت بعد الثورة - وللأسف الشديد - أن الكلمة الوحيدة مازالت حتى الآن للجيل الأول الذى قام بهذه الثورة أو بقطاع كبير انتفع منها بعد ذلك أو قطاع أكثر أضير بسببها.

لقد كان من الضرورى أن نتوقف من سنوات عند نقطة معينة ونقول يجب أن نبدأ مرحلة أخرى لأن ثورة يوليو يجب أن تدخل التاريخ.. وقد يرى البعض أن العلاقة بين الأمس واليوم لا تزول.. وإذا كنا نؤمن بالتواصل بين الأحداث فإن هذا التواصل لا يعنى أبدا أن يصبح الزمن والأحداث حكرا على جيل لا يرى فى الكون غير نفسه أو ماضى يفرض وصايته على الحاضر والمستقبل حتى ولو كان هذا الحدث فى حجم ثورة يوليو من حيث الأهمية والتأثير.

ولا يعقل أن نستقبل قرنا جديدا ونحن ما زالنا نعيد ذكريات الأمس الذى لن يعود.. وهو بمقاييس أخرى لا يصلح أبدا لزمان قادم.

لقد حكمت ثورة يوليو تاريخ مصر المعاصر من خلال فترتين أساسيتين، هما فترة حكم عبد الناصر.. وفترة حكم السادات.. وإذا كان البعض يرى أن عبد الناصر مات فى ٥ يونيو

٦٧ فهناك أيضا من يرى أن السادات مات فى ٥ سبتمبر ٨١ وما بين النكسة وسجن المعارضة المصرية بين عهدين بقيت بعض آثار ثور ة يوليو حصارا دائما على العقل المصرى فى حركته وتطوره وتعامله مع الأحداث.

وعندما سأل أحد الصحفيين الرئيس حسنى مبارك فى بداية توليه السلطة فى أى طريق ستمضى .. هل عبد الناصر.. أما السادات.. قال له الرئيس مبارك: إن اسمى محمد حسنى مبارك.. كان سؤال الصحفى يعكس تفسيرات لما يحدث فى مصر منذ قيام الثورة أن تكون معى أو ضدى.. أو بمعنى آخر إما أن نكون ناصريين.. أو ساداتيين رغم أننا فى الحقيقة يجب دائما أن نكون مصريين.

والسؤال الذى يتردد أحيانا هل مازالت مصر تعيش فى ظل الشرعية الثورية.. أم أنها بالفعل دخلت منطقة أخرى هى أقرب إلى الشرعية الدستورية.

ولكى أكون منصفا فسوف أتوقف عند بعض الملامح التى يمكن أن تجيب على هذا السؤال:

* كان أول قرار أصدره الرئيس مبارك فى بداية حكمه هو الإفراج عن أكثر من ١٥٠٠ مسجون سياسى هم تقريبا كل المعارضة السياسية فى مصر باختلاف اتجاهاتها من

الشيوعيين والأخوان المسلمين والوفديين والناصريين وكبار الكتاب والمفكرين المنتمين منهم وغير المنتمين.. وهؤلاء هم الذين سجنهم الرئيس السادات فى ليلة واحدة فى شهر سبتمبر ٨١ وأيا كانت الدوافع التى يحاول البعض بها تبرير هذا الإجراء إلا أن ما حدث فى سبتمبر كان أخطر الأحداث السلبية فى فترة حكم السادات خاصة أن الرجل كان قد فتح الأبواب وكان من الصعب أن يغلقها جميعا مرة واحدة.

وكان خروج المعارضة فى بداية حكم مبارك اعترافا واضحا من الدولة والقيادة السياسية بأن هذه المعارضة صاحبة دور ورسالة وأن مكانها بين الناس وليس فى المعتقلات والسجون.

* وكانت المواجهة الثانية هى قضية الإرهاب.. أن للإرهاب أسبابا كثيرة ربما تحملت ثورة يوليو جزءًا كبيرًا من مسئوليته عندما ألقت فى السجون والمعتقلات آلاف المعارضين فى الخمسينات والستينيات وعندما وزعت المطاوى والسكاكين على طلاب الجامعات لتصفية بعضهم بعضا فى السبعينيات .. وكان الثمن باهظا.. وواجه الشعب المصرى مع القيادة السياسية معركة الإرهاب.. ورغم الخسائر الكبيرة التى تحملناها إلا أن الظاهرة تراجعت كثيرا فى خطورتها وتهديدها لأمن واستقرار

مصر والأهم من ذلك كله أن درس الإرهاب فتح عيوننا على سلبيات كثيرة فى المناخ السياسى والثقافى والدينى وجعلنا نتنبه لأول مرة إلى حجم الفراغ فى ذلك كله.

وهنا تراجعت أيضا ظاهرة أخرى هى محاولة الدولة ضرب الاتجاهات السياسية بعضها ببعض.. حدث ذلك فى الخمسينيات والستينيات حينما استخدمت الدولة اليسار لضرب الإخوان المسلمين.. ثم استخدمت الإخوان المسلمين لضرب الشيوعيين .. وفى النهاية ألقت بهم جميعًا فى السجون ..

ولقد حاول البعض استغلال معركة الدولة مع الإرهاب لتحقيق مكاسب سريعة .. ولكن الدولة كانت قد استوعبت الدروس القديمة ولم تعد تحاول اللعب فى هذه المنطقة التى أضرت كثيرًا بفئات الشعب المختلفة.

ولم تحاول القيادة السياسية الدخول فى هذه المنطقة على الإطلاق لإدراكها وحسها الوطنى أن تلك المعارك والتصفيات أضرت بنا كثيرًا ..

* وجاءت بعد ذلك معارك الصحافة .. ولابد أن نعترف بأن الصحافة المصرية لم تشهد منذ قيام ثورة يوليو مرحلة من مراحل حريتها مثل التى تعيشها الآن .. وما كنا نكتب هذا الذى نكتبه الآن فى أى عصر آخر .. هذه كلمة حق لابد أن تقال.

وفى ظل حرية الصحافة التى حرص الرئيس مبارك على حمايتها وتأصيلها كانت المعركة الشهيرة حول قانون الصحافة التى انتهت بانتصار كبير لحرية الصحافة ..

وفى ظل هذا المناخ لم يكن غريبا أن تخوض صحيفة الشعب معركة دامية مع وزير الداخلية السابق اللواء حسن الألفى.. ولا تحاول القيادة السياسية أن تتدخل وينتهى الأمر للقضاء .

وبين أيدى القضاء الآن قضية خطيرة بين الدكتور يوسف والى وهو نائب رئيس وزراء ووزير فى السلطة وجريدة الشعب أيضا.. وقد دارت معارك دامية بين الصحافة والحكومة ولم تحاول القيادة السياسية التدخل فى كل هذه الأمور وكان القضاء العادل هو الملاذ والحكم كان هذا للإنصاف شيئا جديدًا على العلاقة بين الدولة والصحافة لأن السلطة كانت تحرص على حماية المسئولين فيها حتى ولو كانوا على خطأ ..

* من جانب آخر كانت تجربة الانفتاح الاقتصادى قد بدأت فى عهد الرئيس السادات بينما كان القطاع العام يعيش مرحلة من مراحل تراجعه أمام تخلف وسائل الإنتاج والديون الخارجية والداخلية .. وبدأت الدولة سياسة الإصلاح الاقتصادى فى عهد الرئيس مبارك واستطاعت أن تعبر بها بأقل الخسائر

على المستوى الاجتماعى وتغيرت عشرات القوانين التى كانت تفيد حرية رأس المال وتحد من حركته وبدأ برنامج الخصخصة – ونتمنى أن يحقق أهدافه – بدخول مصر لقرن جديد على أسس اقتصادية جديدة أكثر فهما وإدراكا لطبيعة المتغيرات الاقتصادية فى العالم .

* ومع هذا كله كان التطور الخطير فى استكمال البنية الأساسية فى مصر التى كانت قد وصلت إلى أسوأ حالاتها .. وكان رجال الأعمال يذهبون إلى عواصم أخرى قريبة للتحدث فى التليفون أو إرسال تلكس أو إبرام صفقة .. وتجاوزت مصر كل هذه المشكلات ووضعت طريقها بالفعل على أبواب مرحلة جديدة من البناء.

لقد كانت معركة إعادة البناء فى الداخل هى أهم وأخطر إنجازات فترة حكم مبارك وفى تقديرى أن نقطة البداية التى انطلقت منها هذه الفترة هى الديمقراطية التى تجسدت فى اعتراف الدولة– لأول مرة – منذ قيام ثورة يوليو بالمعارضة كجزء أساسى فى الممارسة السياسية.

إن كل الإنجازات مهما كانت عظيمة تبدو هزيلة فى ظل غياب حرية المواطن وإحساسه بالأمن .. وكل الشعارات البراقة لا تزيل لحظة خوف .. أو إحساس بالمهانة .. وكل ما قرأنا من

أهداف ثورة يوليو وهى جزء عزيز من حياتنا تلاشى أمام تعذيب مواطن أو الاعتداء على حرمة بيت أو إنسان .

من هنا نأتى إلى جوهر القضية وهو أن الشرعية الثورية التى حكمت بها ثورة يوليو مصر ينبغى ألا يكون لها مكان الآن.. وأننا نتجه بالفعل إلى شرعية دستورية يجب أن نكملها بحيث توفر الضمانات لكل الأطراف حكاما ومحكومين ..

إننا الآن على أبواب مرحلة جديدة وقرن جديد ومع هذا كله فترة جديدة من حكم الرئيس مبارك .. ولابد أن نضع نهاية لكل خلافاتنا السابقة ومعاركنا حول ما بقى من ثورة يوليو .. وما ينبغى أن يزول ..

وهناك قضايا كثيرة يجب أن نحسمها .. إن هناك تعارضا بين ما تريده الدولة الآن ممثلة فى القيادة السياسية وما يفرضه ذلك الإرث القديم الذى فرضته علينا ثورة يوليو..

* إن سياسة الإصلاح الاقتصادى تعنى الاقتصاد الحر .. أو اقتصاد السوق .. وأن تكون هناك حرية كاملة لحركة رؤوس الأموال والإنتاج والاستيراد والتصدير .. أن تكون هناك سوق للمال وأسهم وسندات .. وأن تكون هناك قوانين تحمى كل هذه السياسات .. فى الجانب الآخر نجد الإرث القديم الذى تركته ثورة

يوليو من بقايا قوانين المصادرات والتأميمات والاعتداء على ملكية الأفراد وإلغاء دور القطاع الخاص تمامًا ..

إن الدولة هنا تحاول رسم مستقبل جديد للاقتصاد المصرى بفكر وأسلوب مختلفين ولكن ما زال هناك كثير من العقبات التى تحول دون تحقيق هذا الهدف ولعل أخطر هذه العقبات أن الحرية الاقتصادية لا تنفصل أبدا عن الحرية السياسية . ولا يمكن أن يكون هناك اقتصاد حر فى ظل قوانين استثنائية، من هنا يصبح من الضرورى أن يسير الإصلاح الاقتصادى متوازيا مع الإصلاح السياسى .. إن الضمانات السياسية هى التى تحمى رؤوس الأموال وليس الضمانات الاقتصادية وحدها.

والذى يصدر القانون اليوم يستطيع أن يلغيه غدا أو يأتى من يلغيه .. ولكن الضمانات السياسية هى التى تمنح القانون قدسية خاصة وحصانة لا يلغيها ولا يمنحها أحد .. من هنا يجب أن يجتمع فكر الاقتصاد الحر مع العقل الحر مع الإنسان الحر.. إن الضمانات التى ترتبط بوجود أشخاص لا نضمن استمرارها .. وهذا ما يمثل حتى الآن نوعا من عدم الثقة فى المناخ العام .. إن الخطوات التى قطعناها فى هذا الطريق قد اقتربت بنا إلى مشارف مرحلة جديدة تتوافر فيها كل الظروف لتجربة

ديمقراطية كاملة تليق بمصر تاريخًا وشعبًا وقيادة بحيث نوفر ضمانات الاقتصاد الحر .. وأيضا الإنسان الحر ..

* إن هناك إرثا آخر تركته لنا ثورة يوليو يتمثل فى مجموعة من القوانين والإجراءات الاستثنائية مثل قانون الطوارئ والمحاكم العسكرية والمدعى الاشتراكى .. وربما كانت هذه الإجر اءات مطلوبة فى ظروف ما فى بداية حكم الرئيس مبارك عندما تسلم السلطة فى لحظة دامية ، كما أن توابع ظاهرة الإرهاب ربما فرضت ذلك فرضا ولكن هذه القوانين والإجراءات لن يكون لها بقاء على الدوام ولابد أن يأتى وقت مناسب تتغير فيه.

* إن هناك بعض المتاريس التى وضعتها ثورة يوليو ومازالت حتى الآن تمثل عبئا ثقيلا على كاهلنا شعبا وقيادة .. من هذه المتاريس بعض القيم التى تحكم العمل السياسى ومازالت تترك بصماتها على الحزب الوطنى لأن الوجوه التى صاغت تجربة الاتحاد الاشتراكى مازالت قابعة فيه .. وهنا يكون التناقض الشديد بين تجربة تسعى للديمقراطية ، بينما تترك نفسها لبقايا جذور شمولية .. وفكر يسعى للتحرر والانطلاق وفكر آخر تكبله الشعارات ..

ومن توابع ذلك كله ما نعانى منه حتى الآن من بقايا أهل

الثقة وأهل الخبرة وبقايا التنظيمات الشمولية القديمة .. ونسبة الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين ولا هم عمال ولا هم فلاحون ..

ولهذا ينبغى أن تشهد الفترة القادمة انطلاقة أكبر وأوسع فى فتح المجال لأحزاب سياسية جديدة .. إن تجربة القيادة السياسية التى فتحت باب المعتقلات والسجون وأعطت المعارضة موقعها فى الشارع المصرى لابد أن تستكملها بمناخ سياسى جديد يفتح الباب لتجربة حزبية بعيدا عن وصاية الحزب الوطنى وبقايا شعارات الاتحاد الاشتراكى.

* نأتى بعد ذلك إلى حرية الصحافة ولست فى حاجة إلى تأكيد ما قلته من قبل من أن الصحافة المصرية تشهد الآن مرحلة من أزهى مراحلها مع الحرية .. ولاشك أن تدعيم هذا الدور وتأصيله سوف يخدم فى النهاية تجربة مصر فى البناء والتطور .. سوف تكون هناك أخطاء بين أهل المهنة .. وسوف تكون هناك تجاوزات .. ولكن المزيد من الحرية هو أفضل علاج لأمراضها .. ولاشك أن دعم حرية الصحافة فى إصداراتها ودورها سوف ينعكس على المناخ العام فى مصر سياسيا واقتصاديا وفكريا. وقد تظهر فى الأفق بعض السلبيات التى ينبغى ألا ننزعج منها كثيرا.. سوف يقول البعض إنه ارتداد عن مبادئ ثورة يوليو ..

وسوف نقول لهم إنه تنفيذ لآخر بنودها التى لم تتحقق وهو بندها السادس عن توفير حياة ديمقراطية سليمة .. ربما تحقق الهدف بعد سنوات طويلة ولكن المهم أن تعود لمصر تجربة ديمقراطية حقيقية تليق بها ..

سوف تظهر فى مسيرة التغيير شوائب كثيرة فى الأحزاب .. ورجال الأعمال والصحافة .. والحكومة أيضًا .. ولكن العمل والإنجاز هما الطريق الوحيد للتخلص من كل الشوائب .. إن مياه النهر المتدفقة هى الشيء الوحيد القادر على تطهير مجراه ..

فى الظلام وحده تنتشر الخفافيش .. وينتشر الفساد .. وتضيع حقوق الناس .. ولكن فى ظل حياة حزبية سليمة .. وصحافة واعية.. وسلطة تشريعية منتخبة انتخابا صحيحًا.. وحكومة تدرك مسئولياتها .. فى ظل هذا كله يمكن أن نطمئن على مستقبل أبنائنا بحيث لا يعود زوار الفجر مرة أخرى .. وبحيث يصبح الإنسان آمنًا على بيته وماله وحياته ..

فى ظل حرية حقيقية يمكن أن نطارد الفساد ونسقط المفسدين وكلما ارتفعت الأضواء انسحبت من الأفق أشباح الخوف والتسلط.

إن مصر وهى تدخل قرنًا جديدًا يجب أن تتخلص أولاً من ميراث ثقيل أرهق كاهلها زمنا طويلاً .. ويبقى من ثورة يوليو

رصيد من الإنجازات لن ننساه .. ويبقى أيضًا عبء من الأخطاء نسأل الله أن يعيننا عليه .. وفى كل الحالات هى جزء عزيز من أيامنا لسنا نادمين على كل ما كان فيه .. ولكن ينبغى ألا تقف شعارات ثورة يوليو سدا فى طريقنا نحو المستقبل أو تحكمنا شعاراتها من القبور أو تمثل وصاية أبدية علينا ..

وإذا كان الرئيس مبارك قد بدأ فترة حكمه الأولى بالإفراج عن المعارضة المصرية بكل رموزها فإننا نتمنى أن ندخل معه فترة جديدة فى ظل تجربة ديمقراطية نريد لها المزيد من الانطلاق فى أحزابها وصحافتها وقوانينها ومناخها السياسى لأن الديمقراطية هى الضمان الوحيد لاستقرار مصر وأمنها ونهضتها .. وهذا ما يؤمن به الرئيس مبارك وما ننتظر تواصله وتعميقه ونحن نستقبل معه قرنا جديدًا من الزمان.

* * *

شهود على الثورة

ماذا حدث فى سلاح الفرسان ؟

محمود عبد اللطيف حجازى
من الضباط الأحرار

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قرأت تحقيقك فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٦/٦ عن لقائكم والسيد حسين الشافعى. ودعنى أولا أتفق معك على أن ما يكتب فى جريدة الأهرام يؤخذ على أنه الحقيقة؛ نظرا لما اشتهر عنها من الحيدة والتحقيق . أيضا دعنا نتفق على أن ما يكتب ولا يتم تصحيحه فى حالة كونه خطأ سيؤخذ بعد ذلك بعين الاعتبار عند كتابة تاريخ هذه الحقبة .

وعليه رأيت أنه لزاما على أن أكتب إليك تصحيحًا لبعض ما جاء بهذا التحقيق حتى لا يؤخذ علي أنه حقيقة وهو غير ذلك.

جاء فى المقال «أن قرار عبد الكيم عامر هدد بعنف الموقف فى الجيش حيث شهد حالات من التمرد كان أعنفها وأقساها ما حدث فى سلاح الفرسان . ويومها ذهب جمال عبد الناصر بنفسه والتقى بالضباط المتمردين ودار بينه وبينهم حوار استمر حتى الثالثة صباحا . وفى هذا الحوار اتضحت كل الاتجاهات السياسية حيث إن هؤلاء الضباط المتمردين كانوا يمثلون كل طوائف المجتمع المصرى من بقايا الملكية والأحزاب السياسية والتيارات الاجتماعية المختلفة. وبعد أن انتهى لقاء عبد الناصر جئت إلى هذا المكان. مجلس قيادة الثورة وقضيت فيه خمسة عشر يوما أواصل الليل والنهار» وتعليقا على هذا القول أقول أنه حدث فعلا تذمر شديد لانتهاك نظام الأقدمين من جميع ضباط الجيش من اشترك منهم فى الثورة ومن لم يشترك. لأن نظام الأقدمية من العمد الأصيلة للعسكرية المصرية . وفعلاً كانت ثورة ضباط سلاح الفرسان أقوى وأشد لتمركزهم فى معسكر واحد، وتمت مناقشة هذا الموضوع فى اجتماع للضباط عقد بدار العرض السينمائى بالسلاح . وليس إطلاقا فى اجتماع الميس الأخضر الذى حضره جمال عبد الناصر . وفات سيادته أن يقول لك أنه هو الذى تولى تهدئة وتسكين هذه الثورة، وإفهام ضباط سلاح الفرسان بأن هذا قرار سياسى لتأمين الثورة .

ومعنى ذلك أنه كان فى جانب القرار وليس ضده كما جاء فى تحقيقكم، ولم يكن موضوع ترقية عبد الحكيم عامر هو الموضوع الأهم . ولكن الموضوع الأهم ... كان ما ظهر على بعض القيادات من انحراف بل انجراف أدعوك إلى مطالعته فى صفحة ٢٧٠ و ٢٧١ من كتاب خالد محيى الدين (الآن أتكلم) . عندما تعرض لأحداث الاجتماع الذى أشار إليه حسين الشافعى فى التحقيق لأن جمال عبد الناصر لم يحضر للسلاح إلا مرة واحدة لحضور اجتماع الميس الأخضر .

لهذا أرجو أن تأذن لى فى سرد أحداث هذا الاجتماع، وأتحدى أن يناقضنى فى مقولتى أحد حيث كان لى عظيم الشرف فى أن أكون أحد من دعوا لهذا الاجتماع، وأيضًا ممن تكلموا بصراحة شديدة ومواجهة أشد لعبد الناصر كلفتنى ما كلفت غيرى من ضباط السلاح الكثير والكثير الذى ما زلنا نعانى منه.

وقبل أن أذكر لك وقائع هذا الاجتماع - اجتماع الميس الأخضر - أود أن أعقب على تعبير جاء فى أقوال السيد حسين الشافعى وهو تعبير جارح ما كنت أود أن يصدر عنه. وهو قوله عنا - الضباط المتمردون - التمرد يا سيدى يكون على سلطة وطنية صالحة نقية ولأغراض شخصية من المتمردين . أما عندما تقف مجموعة ممن حملوا عبء الثورة بالكامل ليلة ٢٣

يوليو وأن يكون مطلبهم عودة الدستور والحياة النيابية فكان يجب أن يسميهم سيادته الضباط الوطنيون. أيضا ما كان يجمل بسيادته أن يتكلم لغة السلطة ولغة المتشبثين بالمراكز والمغانم فيقول عنا أو عن بعضنا «بقايا الملكية والأحزاب السياسية... إلخ» إلى آخر هذه التعبيرات الجاهزة للقذف فى كل من حاول الحد من السلطة الشمولية المطلقة التى كانت قد بدت بشائرها.

أليست هذه السلطة هى التى روجت لمقولة أن الشعب لم يكن جاهزا لحكم نفسه ...

وأنتم يا رجال مجلس قيادة الثورة الذين أرسلتكم العناية الإلهية لحكم هذا الشعب وتعليمه !!! وكانت النتيجة القهر والعسف مما أفقد الإنسان المصرى إحساسه بأنه ليس له شيء فى هذا البلد ففقد الولاء والإنتماء فكانت الهزائم والسخائم .

أعود إلى وقائع اجتماع الميس الأخضر الذى تم للمطالبة بعودة الدستور وليس كما قال السيد حسين الشافعى أنه تم لمناقشة موضوع عبد الحكيم عامر فى محاولة من سيادته فى تقزيم والتهوين من شأن هذا الاجتماع .

جاءنى الصديق المرحوم الملازم وقتئذ أحمد على الحصرى عصر يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٤ فى مكان تدريبنا بطريق الفيوم الصحراوى وأخطرنى بأن.هناك شائعة تقول أن مجلس

قيادة الثورة سيتخلى عن اختصاصاته ويتركوا الحكم بالكامل لمحمد نجيب . ونظرا لعدم قبولنا لهذا الرأى عدت معه مساءً إلى سلاح الفرسان بكوبرى القبة حيث تقابلنا مع بعض الزملاء أذكر منهم ما لم تخنى ذاكرتى .. اليوزباشى سامى ترك، واليوزباشى عبد الفتاح على أحمد وعبد الله فهمى وفتحى الناقة والملازمين أحمد حمودة وأحمد المصرى وفاروق الأنصارى - وتوجهنا لمقابلة حسين الشافعى بمجلس قيادة الثورة، ولم نتمكن من مقابلته لوجوده فى اجتماع للمجلس . ولكن وجدنا مجموعة من أسلحة الجيش المختلفة ووسطهم صلاح سالم واقفا فوق كرسى ينهى حديثا لم نحضره يقول نصا بقدر ما أمسكت الذاكرة «والآن يا إخوان إما أن نبقى معه كما نحن - يقصد نجيب - وهذا محال.. تصفيق، وإما أن نترك له الحكم ليحكم حكم الدكتاتور المفرد ونعود نحن لمنازلنا .. صراخ واستنكار . وإما يذهب هو ويتركنا لننطلق فى آفاق العمل والتقدم و... تصفيق وهرج ومبروك .. خلصنا منه .. وتعليقات بذيئة . ثم انفضوا . وبقينا نحن فى حالة استغراب واستعجاب شديدين بالطريقة التى يدار بها مثل هذا الأمر الخطير .

ولما طال مكوثنا حضر لنا أركان حرب المبنى يسأل عن سبب تخلفنا فقلنا له «لنا اثنين يمثلونا فى المجلس فى

الاجتماع إما أن ينزل لنا أحدهم ليحمل رأينا ويناقشه فى المجلس أو يتفضلوا لنرسل غيرهم». وكما انفض السامر عاد الضباط ثانية للقاعة واستبدلوا صلاح سالم بأخيه جمال سالم المعروف بشراسته ظنا منهم أنه قادر على كبحنا، ولكن كانت النتيجة مواجهه له منى ثم من الأخ أحمد المصرى خرج على أثرها غاضبا وصعد إلى المجلس . ثم حضر لنا خالد محيى الدين وأفادنا أن رأيا مماثلا لرأينا يناقش بالمجلس - وهو عودة الدستور - وعند ذلك ولثقتنا فى خالد وحسين وكذلك ثروت عكاشة غادرنا المبنى بإعلان نتيجة محمد نجيب . وطوال اليوم تعرضنا لنقد شديد من كافة ضباط السلاح ظنا منهم أننا كنا ضمن من أعطوا الرأى بخلع نجيب . فأفهمناهم أننا لم نكن مدعوين للاجتماع ولكن هيهات .

فى مساء ذات اليوم وعند توجهنا لمنازلنا عرجنا على أحد المحال للعشاء، وكنا أحمد المصرى وفاروق الأنصارى وأنا . وعلى هذا العشاء تقرر دعوة سلاح الفرسان لأخذ رأى الضباط فى الاستمرار فى الحكم العسكرى أم العودة إلى الحكم النيابى ثم عمل محضر بنتائج الاجتماع ورفعها إلى مجلس قيادة الثورة . على أن أقوم أنا بدعوة ضباط الدبابات وأحمد المصرى دعوة ضباط السيارات المدرعة وفاروق الأنصارى باقى الوحدات

الإدارية، ويكون الإجتماع بالميس الأخضر الساعة السابعة مساء يوم ١٩٥٤/٢/٢٦. وتم الاجتماع فى موعده . وطلبنا من اليوزباشى محمد سامى ترك الاتصال بحسين الشافعى مدير السلاح لحضور الاجتماع . فاعتذر وطلب حضور مندوبين عن الضباط إلى منزله وحدد العدد بعشرة ضباط ورفض الضباط هذا العرض وبدأ الاجتماع وكانت أولى فقراته كلمة من أحمد المصرى ذكر فيها ما أكده التاريخ من فساد الحكم العسكرى المطلق، وأنه يودى بالبلاد، وإن كان يخلق زعماء كما حدث مع نابليون فى فرنسا وهتلر فى ألمانيا .. إلخ . وأنهى حديثه وقمت لآخذ الرأى على واحد من الخيارين: الحكم الديمقراطى أو الحكم العسكرى، وللتاريخ ولشرف ضباط سلاح الفرسان فى ذلك الوقت كانوا جميعا وعلى إطلاقهم فى جانب العودة إلى الدستور والحياة النيابية.

ولكن كانت أنظارهم متجهة إلى باب الميس الواقع خلفى مباشرة، فاستدرت .. لأجد جمال عبد الناصر .. لا أكتمك فقد انتابنى وقتها حالة من الاستغراب الشديد، سريعا ما ذهبت لأسأله «انت هنا من إمتى» فرد: من ساعة ومد يده يمينا ويسارا مقلدا حركتى عند أخذ رأى السادة الضباط الوطنيين الأشراف فقلت له : «طيب يا أفندم الرأى واضح أمامك. اتفضل» وأدخلناه

الميس وجلس، فعلى ذلك يكون الرأى قد أخذ بمنتهى الهدوء والعقلانية، وكذلك فى مواجهة جمال عبد الناصر وأيضا وهو مهم جدا أن عبد الناصر طوال الاجتماع لم يتلق منا لفظا خارجا. فأين التمرد .. عجبا.

ويدأ الاجتماع ولكن وكلنا يعلم كان لعبد الناصر سطوة شخصية وتأثير شديد وحضور لا ينكر . وإذا بالضباط الذين كانوا يشتعلون حماسا قد جلسوا وكأنهم سيتلقون محاضرة من أحد الأساتذة . وكان هذا هو الجو الذى ينتظره عبد الناصر فيطلق شعارين وكلمتين حماسيتين وينفض الاجتماع . إلا أن ذلك لم ينطل علينا وما لهذا تجشمنا مخاطرة الدعوة للاجتماع . فقمت وقلت له «يا أفندم إن كنت فى حاجة لهذا الحشد من الضباط الذين حضروا معك وأنك محتاج لهم لحمايتك فيمكننا تقديم الضيافة واعتبار أن الاجتماع انتهى . أما إن كنت حريصا على مناقشتنا ومعرفة مطالبنا فنرجو صرفهم حتى نتحدث معك بكامل حريتنا» فاشتعل حماس الضباط وانحل الطلسم وهاجوا وتبادلوا الكلمات الجارحة مع هذه المجموعة لأنه كان منها من هو متهم بسرقة «صرة المحمل» هكذا قال له أحد ضباطنا . وهنا صاح السيد حسين الشافعى «دول ضيوفنا» ولكن هيهات . فرفع عبد الناصر يده فسكت الجميع وقال «شوفوا

لهم ميس تانى يقعدوا فيه» واستمر الاجتماع حتى الثالثة صباحا ولك أذكر بعض ما أتذكر:

- رأى: يعطى مجلس قيادة الثورة أماكن فى مجلسى النواب والشيوخ حتى لا تصدر قوانين أو تشريعات فى غيبة قيادات الثورة .

- رأى: من يريد العمل السياسى، عليه أن يترك الخدمة العسكرية ليتفرغ للعمل السياسى، وأيضا ليظل الجيش بمنأى عن السياسة .

- رأى: إن كان يداخلكم الخوف من عودة الأحزاب بمساوئها فنحن موجودون وجاهزون لحماية البلد منهم .

- رأى: مين قال إن البلد مش جاهزة تحكم نفسها . يعنى نستورد حكام واللا نبدأ فى العمل الديمقراطى مع مراجعة كل فترة لتصحيح ما يظهر من فساد أو أخطاء . ولكن بشكل دستورى يتفق عليه .

- مصادمات: عندما قلت له نحن لا نصلح للحكم حيث توقف تعليمنا العام عند التوجيهية قال نحن معنا بكالوريوس فقلت له بكالوريوس فى تخصص ضيق لا يصلح لمزاولة الحكم فى هذه الفترة . فقال يعنى مستخسرين فينا نبقى وزراء بعد اللى عملناه فقلت إحنا عملنا ثورة والثوار لا يؤجرون .

عندما عدد بعض الزملاء بعض الانحرافات لبعض الرموز الثورية قلت له: ماذا نقول للشعب؟ فصاح مغضبا ثائرا: أنت مين فوضك تتكلم باسم الشعب؟ فقلت له: نحن برلمان هذا الشعب لم لا يكون له برلمان، إلى آخر محادثة طويلة تنتهى بقولى: نحن على أبواب ديكتاتورية عسكرية .

وفى الحقيقة كان كل متكلم لا يراعى غير صالح مصر وكان الجميع متخوفين من الانزلاق إلى أن تتفرد مجموعة أو شخص بالحكم . وعند نهاية الاجتماع ولما لم يجد منا غير الإصرار على الدستور قال «طيب والله بفوت على ماهر الصبح، أنا مكلفه هو أو السنهورى بلجنة الدستور أستعجلهم» . قال له أحمد المصرى: يا فندم الدستور جاهز ولكنهم غير واجدين منكم رغبة فلو سيادتك كلمتهم الدستور هيكون عندك فى أقل من أسبوع».

وتم الاتفاق بأن جمال عبد الناصر سيراجع على باشا صباح اليوم، وقام ليبارح الميس وهنا قام زميل سودانى إن لم أكن مخطئا فهو نور الدين وزير الشئون الاجتماعية فى السودان فى ذلك الوقت وكان من مشجعى ومؤيدى الوحدة مع مصر. قال الزميل السودانى «انتم اتكلمتم عن مصر وما اتكلمتوش عن السودان».

جمال : يعنى إيه يا نور .

نور : يعنى حزب الأمة والإنجليز بيقولوا إنتم شيلتم محمد نجيب علشان أمه سودانى قولوا بنعبد أشخاص بنعبد أصنام قولوا اللى تقولوا إنما إحنا بنحب محمد نجيب وإذا كنتم عاوزين تقارب مع السودان يبقى لازم محمد نجيب يرجع .

جمال : أنا فى دى عضو مجلس . ما أقدرش آخد قرار لوحدى . مجلس قيادة الثورة فى حالة اجتماع لحد ما ارجع لهم. وأنا سأقوم بعرض الكلام على المجلس . انتم كمان تظلوا هنا لحين عودتى لكم برأى المجلس .

وغادر جمال عبد الناصر ويرفقته حسين الشافعى .

وفى الخامسة صباح يوم ١٩٥٤/٢/٢٧ عاد جمال عبد الناصر ومعه خالد محيى الدين وطلب الاجتماع فى مكان بعيد عن الصف والعساكر، فأدخلناه حجرة المكتبة بذات الميس وبدأ قوله «المجلس قرر القرارات التالية ولن يرجع فى قرارات :

أولاً : عودة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية

ثانيـًا : نحن لا نثق فى قدرة محمد نجيب لهذا سيكون خالد معه رئيسا للحكومة.

ثالثـًا : هنخرج وناخد معاشاتنا وسنظل فى بيوتنا .

رابعـًا : نحن فى خدمة خالد دون أن نتولى وظائف عامة

خامسًا : الاجتماع فى سلاحكم ورئيس الحكومة من سلاحكم قد يظن باقى ضباط الجيش أن هذا تم نتيجة ضغط معين منكم، ولهذا أنا طالب مندوبى الأسلحة لإفهامهم أن هذه القرارات أخذها المجلس بكامل حريته .

اتفضلوا شوفوا حد يروح مع خالد يشوف رأى نجيب فى كده إيه ... وغادرنا فى عصبية شديدة . وحاولت وغيرى أن نثنيه عن ذلك لعدم تصورنا أن يكون هناك حكومة دون أعضاء مجلس الثورة وجمال أيضا، وكذلك لأن هذه النقلة دون ترتيب قد يكون لها تأثير شعبى مضاد . وأن مثل هذه الأمور يجب الترتيب له بإحكام. ورغم أن هذه القرارات جاءت ملبية لأكثر مما كنا نأمل.

وقلت وغيرى لخالد: هذا «بلف» أى خدعة، فقال خالد «رغم ثقتى فيكم إلا ن ثقتى بزملائى أعضاء المجلس أكبر . وأن أى بلد تحكم عسكريا يلزمها قرنين لتعود للحكم المدنى . وهذه فرصة مصر للخروج من الحكم العسكرى . وأن أى واحد منكم يمكنه بعد ستة شهور –إن لم أسلم البلد لحكومة ديمقراطية – أن يأتى لمكتبى ويضربنى بالنار» وغادرنا أيضا ومعه بعض الضباط إلى منزل محمد نجيب .

ما تلا ذلك من أحداث لن أخوض فيه فقد كان مهزلة بكل

المقاييس . ولكنى ذكرت بعض ما تم فى الميس الأخضر . لعله يوضح موقف ضباط سلاح الفرسان، ولعله يكون كافيا لوقف السيل الذى لا ينقطع فى توجيه الاتهامات لنا وفى يقينى أن من يقول بغير ما ذكرت إما جاهل يردد ما نقل إليه من غيره أو محاول للتقليل من شأن هذه المواقف التى كلفت الكثيرين مستقبلهم واستقرار عائلاتهم من عام ١٩٥٤ حتى الآن . وذلك ليعطى نفسه مبررا لعدم انضوائه تحت لواء الدستور .

أو لم يجد فى نفسه القدرة على مواجهة عبد الناصر فيحاول التقليل من شأن هذه الومضة الوطنية الخالصة لوجه الله ووجه مصر .

ما كنت أرجو أن أواجه أحدا أو أراجع صديقا أحببته طوال عمرى رغم كل شىء إلا أن حبى لبناتى وأحفادى أكبر . فموقفى فى عام ١٩٥٤ هو الميراث الوحيد الذى أتركه لهم. فلا تحرمونى منه كما حرمتمونى وحرمتم غيرى من عمل أحببته وعشقته وهو الجندية التى أهلت نفسى لها .

★ ★ ★

موقف سلاح المدفعية

محمد أبو اليسر الأنصارى

من الضباط الأحرار

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

تحياتى واحترامى وشكرى على إتاحة هذه الفرصة أمامنا للتكلم بعد مرور حوالى نصف قرن على قيام الثورة .

ذكر الأخ محمود عبد اللطيف حجازى تحت عنوان «هذا ما حدث فى سلاح الفرسان» موقف سلاحه من الحكم العسكرى وتخوفه من ديكتاتورية مشابهة لديكتاتورية هتلر ونابليون . وأنا لا أعترض على كلمة واحدة مما قال لأنه ذكر الحقائق بصدق . كما أننى عرفت شخصيا موقف الأخ أحمد المصرى الذى كان من المتزعمين لحركة المدرعات وعدم قبوله لتصرفات عبد الناصر .

وأرجو أن أبين فيما سأكتب موقفا آخر مختلفا تمامًا وهو موقف سلاح المدفعية الذى كان لى شرف الانتماء إليه، وخاصة أننى عينت بعد الثورة أركان حرب السلاح بمجرد تخرجى من كلية أركان الحرب وعشت كل الأحداث باتصالى بكمال حسين رحمه الله، حيث كان مدرسا بكلية أركان حرب السلاح، بمجرد تخرجى من كلية أركان حرب أثناء وجودى بها علاوة على أنه كان رئيسا للمجموعة أو «الخلية» التى ضمت من الضباط الأحرار محمد طلعت خيرى وزير الشباب السابق ومحمد سعد الدين زايد محافظ القاهرة ووزير الإسكان السابق، والمرحومين جلال محمد زكى رئيس مجلس إدارة شركة المعمورة السابق وعماد رشدى محافظ بور سعيد السابق وأنور على ثابت، وكنا نجتمع مع كمال حسين قبل الثورة فى منزل أحدنا ثم قدمنا بعد الثورة إلى عبد الحيكم عامر الذى حدد لنا يوما ثابتا من كل أسبوع للاجتماع به فى منزله. وفى أحد هذه الاجتماعت قال لنا بالحرف الواحد «عندنا مشكلة عوزة حل والمشكلة دى اسمها محمد نجيب» وكنا نعلم ما يفعله محمد نجيب. ولكن عبد الحكيم أكد لنا اتصاله بالإخوان وبالشيوعيين وبكل من يتقرب إليه حتى يجمع حوله أكبر عدد من المؤيدين لينتصر على عبد الناصر. وكان التخلص منه صعبًا بعد أن أحبه الشعب وبدأت

مظاهر الفُرقة واختلاف الآراء عن نجيب وعبد الناصر تتسع فى الوحدات . وكان من رأى المدفعية- عدا بعض المعارضة البسيطة التى لم ترق إلى الدعوة إلى اجتماعات وعمل محاضر ورفعها إلى مجلس الثورة، بل كانت معارضة موضوعية تقبلت رأى الأغلبية التى كانت تقودها مجموعة كمال حسين - كان من رأى المدفعية هذا الرأى الذى تتزعمه مجموعة كمال حسين - وهو أن الثورة، قامت ونجحت بزعامة عبد الناصر وأنه لا مجال لتكتلات أو اجتماعات أو تكوين برلمانات من الوحدات العسكرية يكون لها الولاية على قرارات مجلس الثورة وأن أى ثورة مهما أخطأت يجب أن تستمر وتصحح أخطاءها. وكما قال الأخ خالد محيى الدين الذى كان الكل يحترمه ويحبه لمواقفه الصادقة ووطنيته إن أى بلد تحكم عسكريا يلزمها قرنان من الزمان لتعود للحكم المدنى . وكان فى ذهن عبد الناصر دائما ما حدث فى سوريا من انقلابات متتالية بعد انقلاب حسنى الزعيم، وهو ما كان يخشى حدوثه فى مصر إذا حصل تنازع على السلطة وانقسام فى القوات المسلحة . لقد كان عبد الناصر وطنيا مخلصا ولا يختلف على ذلك أحد أو ينكر أنه كان يمتلك كل مقومات الزعامة والقيادة وعلينا تحمل ديكتاتوريته مؤقتا .... وفى اجتماع عاجل قبل أحداث المودعات اجتمع بنا عبد الناصر

وكمال حسين مع باقى الضباط الأحرار بالمدفعية فى منزل سعد زايد وكان كمال حسين قد أوضح لمجموعته سبب الاجتماع والمطلوب الوصول إليه من إجراءات بعد المناقشات التى كانت سيديرها عبد الناصر والغرض منها إيجاد حل لإبعاد محمد نجيب. ولما أطلع كمال حسين جمال عبد الناصر على أنه قد صارحنا بالخطة قال له عبد الناصر بالحرف الواحد «هو انت يا كمال حاتفضل كده على طول ما تعرفشى تتلائم؟» فقد كانت الخطة تعتمد على فبركة مظاهرات يتولى ترتيبها أحمد طعيمة مع زعماء العمال. فتخرج العمال مطالبة بعبد الناصر وبمجلس الثورة. وترسل الوحدات العسكرية تأييدها . وكانت الفبركة من وجهة نظر عبد الناصر مشروعة فى هذه الحالة لتمهيد الطريق للتخلص من محمد نجيب . وخرجت المظاهرات تهتف. وفى اليوم التالى كتب أحمد أبو الفتح بجريدة المصرى مقالاً فى الصفحة الأولى عنوانه «مؤامرة على الحرية» هاجم فيه الثورة وعبد الناصر والديكتاتورية والحكم العسكرى، ثم غادر مصر بالطبع بسرعة إلى الخارج . وأُعلنت إقالة محمد نجيب وحدث انقسام بالقوات المسلحة وبأوساط الشعب فأعيد نجيب على مضض ولكن عبد الناصر لم يهدأ وكذلك مجموعتنا . وبعد اجتماع الفرسان الذى تحدث عنه الأخ محمود حجازى بالتفصيل طلبنا

صلاح نصر للاجتماع بمبنى القيادة بكوبرى القبة حيث كان مجلس الثورة مجتمعًا لاتخاذ قراره فيما ناقشه عبد الناصر وخالد محيى الدين مع ضباط الفرسان، وكان الضباط الأحرار من مدفعية ومشاة يملأون الطرقات خارج غرفة الاجتماع فى انتظار النتيجة. وخرج إلينا صلاح سالم فأطلعنا بهدوء شديد على قرارات المجلس التى لم تخرج عما تم فى سلاح الفرسان وهى :

١ – محمد نجيب رئيسا للجمهورية .

٢ – خالد محيى الدين رئيسا للحكومة .

٣ – خروج أعضاء الثورة على المعاش وعدم شغلهم أى وظائف عامة.

٤ – إجراء انتخابات عامة فى ظرف أسبوع من تشكيل الوزارة ليصبح الحكم جمهوريا نيابيا .

كان للقرارات وقع الصاعقة علينا .. هل يعنى هذا أن الثورة قررت القضاء على نفسها بنفسها ؟ وماذا لو عادت الأحزاب ثانية من خلال الانتخابات ؟ هل ستقوم الحكومة بمساعدة سلاح الفرسان فى تزوير الانتخابات لإبعاد غير الصالح عن البرلمان المنتظر ؟ هل ستتوالى الانقلابات كما كان يخشى عبد الناصر ؟ وهل ستتخلى القوات المسلحة عن واجبها الأساسى وتتفرغ لمراقبة

الحكومة الجديدة والبرلمان المنتخب؟ عندما اندفعنا داخل غرفة الاجتماع لم يكن «منظر» أعضاء مجلس الثورة يدل على أن هناك فبركة أو بلف. وتعالى الصياح والاحتجاج .. الكل يتكلم والكل يعترض وعبد الناصر يحاول السيطرة علينا دون جدوى . كان عبد اللطيف بغدادى يبكى فى ركن من الغرفة بعيدا عن زمام الموجودين . وربيع عبد الغنى رحمه الله من أحرار المدفعية يصيح متهما الكل بالخيانة والتخلى عن مسئولياته فيتلقى صفعة هائلة على وجهه من جمال سالم . وفى عصبية نزع عبد الحكيم عامر علامات رتبته العسكرية من على كتفيه صائحا «أنا لن أقبل أن أكون قائدا عاما لقوات داخلة مع بعض حرب أهليه ؟ وكان ذلك ردًا على ما توعد به ضباط المدفعية بمقاومة سلاح الفرسان بالقوة . وقد حاول بعض المتحمسين الاعتداء على خالد محيى الدين الذى رأى أن يقبل رئاسة الحكومة إنقاذًا للموقف وهو مرغم . وفجأة دخل الغرفة أحمد أنور قائد الشرطة العسكرية وأخرجنا منها بحزم وبإشارات معينة فهمنا منها أن هناك ترتيبا معينا . وبمجرد خروجنا قام بإقفال باب الغرفة من الخارج بالمفتاح على أعضاء مجلس الثورة وعين حرسًا على الباب لمنع الدخول أو الخروج منها. وكان هذا الترتيب قد تم بناءً على توجيه من صلاح نصر الذى حملنا بصفتنا الصف الثانى

مسئولية تولى القيادة وفرض رأينا بالقوة على سلاح الفرسان وتم توزيع المهمات .. تولى صلاح نصر توجيه ضباط المشاة وكان واجبى التوجه إلى إدارة المدفعية لاتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة أى تحركات للمدرعات. عاد الضباط إلى وحداتهم وتوجهت أنا إلى إدارة المدفعية بألماظة بعد أن اتفقت مع طلعت خيرى على أن يكون هو الوحيد الذى يتصل بى تليفونيا من القيادة للحصول على أى معلومات عن الموقف . قمت بالاتصال بجميع وحدات المدفعية بالقاهرة والإسكندرية وشرحت لهم الموقف باختصار وحذرتهم من تنفيذ أى أوامر صادرة من شخص غيرى أنا . وقمت بالاتصال باللواء محمد حسين رحمه الله مدير السلاح راجيا منه عدم الحضور منعا لإحراجه أو تعرضه لأى مواقف هو فى غنى عنها . كما تم تأمين جميع الطرق المحتمل استخدامها بواسطة المدرعات. وذلك بمدافعنا المضادة للدبابات. وقد تولى هذه العملية يوسف زين من الأحرار رحمه الله، كما تولى فؤاد صالح أيضا تأمين إدارة المدفعية ضد أى هجوم خاصة عندما اتصل بى طلعت خيرى وأبلغنى بأن محمد نجيب فى طريقه إلىّ تحت الحراسة للتحفظ عليه بمعرفتى . وقد وصل محمد نجيب فعلا مع كمال رفعت فرافقته إلى مكتب مدير المدفعية وطلبت منه بأدب شديد

استدعانى تليفونيا إذا احتاج شيئا. واقفلت عليه باب المكتب لأننى كنت وحدى بالإدارة وفضلت ذلك منعًا من أى مشاكل تترتب على تعيين حراسة عليه أو إبقاء أحد معه داخل المكتب. بعد فترة اتصل بى اللواء محمد إبراهيم رئيس الأركان رحمه الله وطلب معلومات عن مواقع المدافع المضادة للدبابات فاعتذرت. وتكرر ذلك مع اللواء على عامر قائد القيادة المشتركة طالبا منه الاتصال عن طريق طلعت خيرى ففوجئت بعبد الحكيم يطلب منى تنفيذ أوامر اللواء محمد إبراهيم وطمأننى، وبعدها اتصل بى كمال حسين وطلب هو المعلومات بعد أن أخبرنى أن الموضوع قد انتهى على خير وأن عبد الحكيم فى طريقه إلى سلاح الفرسان لمواجهة المجتمعين به مستغلا موقف المدفعية والمشاة الموالية لعبد الناصر وأن هناك من سيحضر لاستلام محمد نجيب والعودة به لمنزله .

ولقد غادر محمد نجيب الإدارة فعلا ولا أذكر من الذى استلمه منى ولكنه قبل أن يغادر رمقنى بنظرة طويلة تقول: لماذا؟ وكدت أجاويه «أسأل نفسك» . استقرت الأمور وعاد مجلس الثورة لمباشرة سلطاته وحددت إقامة محمد نجيب وزار وحدات المدفعية جمال عبد الناصر برفقة كمال حسين للشكر والتقدير على وقفة مارس كما أسماها . وأنا اليوم أسأل نفسى: هل كانت

مصر ستصل إلى ما وصلت إليه اليوم من تنمية وحرية وديمقراطية وقوة عسكرية على أعلى مستوى من التسليح والتنظيم والتدريب إذا كان سلاح الفرسان قد نجح في إملاء شروطه ؟ وإذا كان مجلس الثورة قد تنحى وعادت الحياة النيابية دون دراسة أو تخطيط فكم انقلابًا كان سيحدث ؟ لقد كان هناك أخطاء ولكن رب ضارة نافعة، فأخطاء كل عهد كانت سببًا في تلافيها وإصلاحها في العهد الذي يليه، ها هي مصر الآن قد أصبحت قوة عظمى بالمنطقة فمن الذي كان على حق في مارس ٥٤ هل هو سلاح الفرسان أم هو سلاح المدفعية.. أم هو ما حدث في كليهما معًا .

مع خالص تحياتي أرجو أن تتقبلوا شكري وتقديري

★ ★ ★

من هم قادة الثورة ؟

محمد صلاح ابراهيم سعده

من الضباط الأحرار

تعقيب على لقاء الأستاذ فاروق جويدة مع السيد / زكريا محيى الدين المنشور بجريدة الأهرام ٣٠ مايو ١٩٩٩.

ما بينى وبين زكريا محيى الدين عضو مجلس قيادة ثورة يوليو الخالدة أكبر بكثير من اختلاف فى تفاصيل الأحداث التى مضى عليها قرابة نصف قرن من الزمان ساهمت ولا شك فيما نحن بصدده .

فالسيد / زكريا محيى الدين أحد ثلاثة وضعوا خطة ثورة يوليو مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، ثم إن زكريا هو الذى أنيط به الإشراف على تنفيذ الخطة التي وضعوها.

ورغم أننى والسيد/ زكريا من ضباط المشاة إلا أنى لم أكن أعرفه ولم أكن قد التقيت به أبدا إلا ظهر يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ فى منزل صلاح نصر بحضور عبد الحكيم عامر حيث أخبرنا زكريا بتأجيل الثورة لمدة ٢٤ ساعة لاستكمال بعض الترتيبات – كما قال سيادته – .

وكنت مع صلاح نصر مسئول عن الكتيبة ١٣ مشاة المسئولة عن تنفيذ المهام الثورية المنوطة بسلاح المشاة بأكمله، ومعها – كما ظهر بعد ذلك – مقدمة كتيبة مدافع ماكينة بقيادة البكباشى يوسف منصور صديق – ومقدمة الكتيبة كما هو معروف قوة إدارية غير محاربة مسلحة بالبنادق من ستين جنديا – عُلم فيما بعد أنها خصصت لمعاونة القوة الرئيسية المكلفة باحتلال إدارة الجيش من الكتيبة ١٣ مشاة وهى عبارة عن سرية محاربة كاملة التسليح بقيادة اليوزباشى عمر محمود على، وجدير بالذكر أن السيد / زكريا قال إنه وهو مدير عمليات الثورة المشرف على التنفيذ قال – إنه كان يعتبر نفسه القائد الخفى للكتيبة ١٣ نظرا لأن نجاح الثورة مرهون أولا وآخرا بنجاح الكتيبة فى تنفيذ المهام الموكولة إليها والبديل لعدم نجاح الكتيبة هو المشانق .

وكان السيد / زكريا يمتلك عربة أوستن صغيرة تركها بمقر الكتيبة ليلة الثورة . ولم يتسلمها إلا مساء ٢٧ يوليو ٥٢ عندما عدنا من الإسكندرية بعد خلع الملك .

وعندما أتى لاستلامها عرضت عليه أتِن يشرب شيئا رفض قائلا – من ٢٢ حتى الآن لم أَنَمْ – كانت هذه مقدمة لابد منها وإن جاءت مطولة لتكون مدخلا للتعليق على ما طرحه السيد / فاروق جويدة على سيادته مما اسماه – قضايا –

أول القضايا ما يخص السيد يوسف صديق والاستيلاء على مبنى رئاسة الاركان – إدارة الجيش – كان مخصصا لاحتلال مبنى رئاسة الجيش سرية مشاة كاملة التسليح من الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة اليوزباشى عمر محمود على . وعند وصولها لساحة المبنى اصطدمت بقوة أخرى وكادت تشتبك معها لولا وجود عبد الحكيم عامر الذى فض الاشتباك وصحح الأوضاع، وللحقيقة فلم نكن على علم بأن هناك قوة أخرى من خارج الكتيبة ١٣ للمعاونة فى أية مهمة من المهام التى كلفت بها الكتيبة . حيث إن حراسة المبنى عبارة عن داورية من ستة أفراد وعندئذ قامت قوات ا ليوزباشى عمر محمود على (سرية مشاة كاملة التسليح) وقوة يوسف منصور صديق (ستون عسكرى خدمات إدارية طباخين وترزية وقوفاكجية .. إلخ، وهى

مسلحة بالبنادق وهى قوات غير محاربة ولا يعتد بها وهى تخصص لاستلام العسكر والمهمات).

واقتحمت قوات عمر وقوة يوسف بقيادة أقدم ضابط هو البكباشى يوسف منصور صديق وليس اليوزباشى عمر محمود على كما تقضى بذلك القواعد والأصول العسكرية . وليس هذا تقليلا من شأن يوسف صديق وضباطه وجنوده ودوره ولكن إحقاقا للحق وذلك بإعطاء كل صاحب حق حقه خصوصا وأنه قيل كلام كثير عن هذا الموضوع لأغراض خاصة ولو عُرض هذا القول على السيد زكريا لأقره وأكده لأنه الحقيقة .

وثانى القضايا هى ما يخص أنور السادات ولا أحب أن أتحدث فيها حيث إن أنور السادات يحتاج فى الحديث عنه إلى مجلدات كلها لا تشرفه .

وثالث القضايا هى عن محمد نجيب وقد كان لى بالذات دور فى كشف مخطط تعاون محمد نجيب مع الإخوان المسلمين والشيوعيين والوفديين لضرب الثوة، وكان ذلك عن طريق صديق وزميل هو المرحوم صلاح عبد الحفيظ وكان شيوعيا من أتباع يوسف صديق – وهذا ما أكده السيد / عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته اليومية عن خلاف محمد نجيب مع الثورة والتى جاءت فى ٨٢ صفحة من المذكرات .

ورابعًا وأخير والخاصة برفض السيد/ زكريا لرئاسة الجمهورية بعد تنحى الرئيس جمال عبد الناصر، ولقد كنت موجودا ساعتها وكانت الإذاعة جاهزة ليعلن زكريا رفضه لرئاسة الجمهورية ولا أعتقد أن الأسباب التى كان سيبنى عليها قراره ليس من بينها السبب الذى ذكره سيادته حيث إن أى حاكم جديد إنما يأتى لتصحيح أخطاء لم يشارك فيها من قريب أو بعيد وإلا ما أتى. وبهذه المناسبة فإن الجماهير كانت ستفتك بالسيد/ محمد فائق حيث حسبته زكريا محيى الدين . وأنا شخصيا شاهدته فى منزل الرئيس عندما أتى وملابسه ممزقة. فكل الشعب المصرى والشعوب العربية وزكريا محيى الدين كانوا يرفضون تنحى القائد .

★ ★ ★

كلمة من أسرة محمد نجيب

حسن القشلان

المحامى

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..... أما بعد :

نحن أسرة اللواء / محمد نجيب يوسف نجيب القشلان

أول رئيس لجمهورية مصر العربية

نتابع ما تسطره بالصفحة المتخصصة : «من يكتب تاريخ ثورة يوليو» ولقد أسعدنا أسلوبكم الشيق فى الحوار مع أبطال ثورة يوليو ١٩٥٢ . ونحن نضع لكم ولكل من يريد كتابة تاريخ الثورة الأسس التى سمعناها من عميد عائلتنا اللواء / محمد نجيب .. وهذه الأسس هى تقريبا جميع ما سطره اللواء / محمد نجيب بكتابه «مصير مصر» والذى سطره يوم اعتقاله عام ١٩٥٤ وتمت مصادرته عام ١٩٥٥ . ويعد هذا الكتاب إحدى وثائق ثورة يوليو لمعرفة ما

قاله اللواء / محمد نجيب . فقد امتلأ هذا الكتاب بالحقائق . ونسوق منها ما سمعناه من عميد عائلتنا بعض هذه الحقائق التى يستحيل تكذيبها .

وقبد أن نبدأ فى سرد هذه الحقائق نؤكد : أن هناك إجماع سواء من ضباط مجلس قيادة الثورة أو ضباط المؤسسة التنفيذية للضباط الأحرار على شجاعة محمد نجيب وأنه صادق ١٠٠ ٪ وإلى حضراتكم بعض هذه الحقائق :-

١ - تم ضم نجيب إلى الضباط الأحرار عام ١٩٤٨ :

(ص٢١) يقول اللواء / محمد نجيب : بدأ ارتباطه بالضباط الأحرار عندما حضر إليه الصاغ محمد عبد الحكيم عامر أحد الضباط أركان حربه والذين خدموا تحت قيادته لزيارته وهو مصاب بإصابته القاتلة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وهو طريح الفراش بمستشفى العجوزة الحربى وبتكرار الزيارة بدأ فى مصارحته أن هناك مجموعة من الضباط يطلبون منك المشورة فيما حدث فى هزيمة الجيش المصرى فى فلسطين وكيفية إزالة هذا العار وفى زيارات بعد ذلك كان معه جمال عبد الناصر ثم زيارات أخرى كان معه صلاح سالم . ويقول اللواء / محمد نجيب : وبشفائه تماما كانت زيارة هؤلاء له إما فى مكتبه أو فى منزله لمناقشة كل ما يتعلق بهذا العمل السرى وإصدار توجيهاتى لهم .

٢ - محمد نجيب صار رئيسا للضباط الأحرار جميعا اعتبارا من ٦ يناير ١٩٥٢ :

(ص ٢٣) يقول اللواء / محمد نجيب التحقت بالضباط الأحرار عام ١٩٤٨ وصرت رئيسا لهم فى ٦ يناير ١٩٥٢ أثر نتيجة انتخابات نادى الضباط التى أدهشت الجميع وكان لزاما من الخروج من دائرة الأحلام الوردية .. الأحلام التى كانت صعبة ويستحيل تنفيذها .. كان لزاما من التحرك : فقد سقط جميع مرشحى الملك والسراى ، وتم انتخاب جميع مرشحى الضباط الأحرار ونال محمد نجيب فى التصويت لمنصب رئيس النادى ٣٣٤ صوتا بينما الأعضاء الثلاثة مرشحى السراى الذين نافسوه ٥٨ صوتا فقط .

٣ - هزيمة ١٩٤٨ جزئية قوية للقيام بالثورة ونتيجة انتخابات رئاسة النادى بكل هذه الثقة من كل هذا الجمع كتحد صريح للملك والسراى تجبر الإنسان بأن يضحى بنفسه :

عميد عائلتنا ضمن الضباط الأحرار منذ ١٩٤٨ والانضمام للضباط الأحرار بقصد إزالة عار الهزيمة إلا أن محمد نجيب يعتبر يوم ٦ يناير ١٩٥٢ هو نقطة تحول لم تكن موجودة إذ تحول ضباط الجيش للإحاطة به علانية وفى تحدى صريح للملك بإعطائه كل هذا الحب والثقة وهو ما دفعه لأن يتقدم لتولى القيادة الفعلية للضباط الأحرار ، خاصة أنه قد تم عرض القيادة على كل من عزيز باشا المصرى وفؤاد باشا صادق ورفضا القيام بمثل هذا العمل لما به من

خطورة وتعريضهما لعقوبة الإعدام . اعتبارا من يوم ١٩٥٢/١/٦ كان اللواء / محمد نجيب رئيسا وجمال عبد الناصر سكرتيرا لرئاسة الضباط الأحرار وصلاح سالم مسئولا عن الدعاية واتفقوا على تقديم ميعاد الثورة ليكون ١٩٥٢/٨/٥ بدلا من الميعاد المضروب من قبل «مع خروج آخر جندى بريطانى من مصر» ١٩٥٦ طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ .

٤ – مجلس قيادة الثورة تم تشكيله من عشرة فقط حتى عشية ليلة القيام بالثورة وهم :

(١) محمد نجيب	(٢) جمال عبد الناصر
(٣) محمد عبد الحيكم عامر	(٤) صلاح سالم
(٥) كمال الدين حسين	(٦) محمد أنور السادات
(٧) عبد اللطيف البغدادى	(٨) جمال سالم
(٩) خالد محيى الدين	(١٠) حسن إبراهيم السيد

باقى الضباط الأحرار الذين يشكلون اللجنة التنفيذية وعددهم ٣٠٠ ضابطا فى سِرّيَةٍ تامة مطلقة تضمهم من ٦٥ إلى ٧٥ خلية لا تزيد الخلية الواحدة عن خمسة ضباط ولا تقل عن ثلاثة ، والخلية الأولى لا تعرف الخلية رقم ٢ نهائيا فما البال بالخلية ٧٥ وذلك حتى إذا انكشف أمر خلية لا تكتشف باقى الخلايا. وضباط الخلية

لا يعرفون من مجلس قيادة الثوة سوى عضو واحد فقط . ومعرفة الخلايا ببعضها وبرئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة لم تتم إلا من سعت ٢٣٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ ومعنى ذلك :-

أن الحديث فى أسرار الثورة سواء من جميع ضباط الخلايا أو ممن يريد كتابة التاريخ لا يجب أن يبدأ إلا من سعت ٢٣٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ ويؤخذ تاريخ تكوين وتشكيل الضباط الأحرار مما قاله العشرة السابق سرد أسمائهم شخصيا وليس من السمع ولكل كتابه ومذكراته ولمحمد نجيب ما كتبه بخط يده «بقلم محمد نجيب - مصير مصر» يضاف لذلك جريدة الوقائع المصرية حتى اعتقال اللواء / محمد نجيب وبها بعض الشيء للاستعانة به .

والقول الخطأ : أن يحكى ال ٣٠٠ ضابط الأبطال أعضاء المؤسسة التنفيذية تاريخ الحركة فيما قبل ١٩٥٢/٧/٢٢ .

على سبيل المثال : البطل / محمد صلاح إبراهيم سعدة : يقرر أن زكريا محيى الدين أحد ثلاثة وضعوا خطة ثورة يوليو مع جمال عبد الناصر : يقول اللواء / محمد نجيب : إن زكريا محيى الدين من أكفأ من قاموا بتنفيذ الخطة - وليس التخطيط فى المرحلة الأولى من قيام الثورة - ولكنه اشترك بعد ذلك فى التخطيط لمحاصرة قصرى المنتزه ورأس التين وخلع الملك عن العرش بالإسكندرية . إذ تاريخ ضم كل من يوسف صديق منصور وزكريا محيى الدين إلى مجلس

قيادة الثورة هو سعت ٢٣٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ ولذلك قصة . بالرغم من أن زكريا محيى الدين كان عضوا وممن فازوا على مرشحى الملك بنادى الضباط ومعه البطل / حسن إبراهيم السيد لا يعرف كل منهما صلة الآخر بالضباط الأحرار . وتلك السرية هى التى أدت إلى النجاح. وما ينطبق على زكريا محيى الدين ينطبق على حسين الشافعى وعبد المنعم إبراهيم ويحز فى نفسى : أن البطل حسين الشافعى يقوم بالشهادة على هامشية دور محمد نجيب وهو لا يدرى حتى اليوم أن محمد نجيب وجمال عبد الناصر ومحمد عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين هم الذين قاموا بتصعيده يوم ١٩٥٢/٧/١٩ : لرتبته ... ولعدم وجود أى نشاط ظاهر له ... ومعلوماته تنحصر فى الخلية التى يتبعها فقط حتى سعت ٢٣٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ وما قبل ذلك نلتمس منه عدم تشويه اسم القائد الذى قام بتحريكه من الخلية التى يتبعها إلى مجلس قيادة الثورة .. ويكون مثله فى ذلك فى المعلومات مثل الأبطال الـ ٣٠٠ فى المعلومات عن صلة محمد نجيب بالضباط الأحرار .

٥ – تطور الأحداث اعتبارا من يوم الثلاثاء ١٥ /٧/ ١٩٥٢ :

(١) يوم الثلاثاء ١٩٥٢/٧/١٥ تم حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش والذى يسيطر عليه الضباط الأحرار : محمد نجيب مدير النادى وباقى الأعضاء من مجلس قيادة الثوة والبعض من المؤسسة التنفيذية .

(٢) يوم الخميس ١٩٥٢/٧/١٧ تم استدعاء اللواء / محمد نجيب إلى فيلا وزير الداخلية محمد هاشم باشا وهو زوج كريمة حسين باشا سرى رئيس الوزراء وذلك بعد منتصف الليل صباح الجمعة ٧/١٨ ليبلغ محمد نجيب بلاغ سريع من رئيس الوزراء حسين باشا سرى :

(أ) رفض الملك تعينكم وزيرا للحربية والتى ظل محتفظا بها بالإضافة لوزارة الداخلية بيد محمد هاشم باشا .

(ب) أن الوزارة سوف تقدما ستقالتها .

(جـ) قدم المصيبة الكبرى كشف به أسماء ١٢ ضابطا من الضباط الأحرار منهم ٥ خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة و٧ سبعة من المؤسسة التنفيذية للضباط الأحرار، ومخطط الثورة بالكامل الذى سيبدأ يوم ١٩٥٢/٨/٥ كل ما فعله اللواء / محمد نجيب هو الإنكار قدر ما استطاع . وكان رد محمد هاشم باشا لو لم يكن بى من الوطنية ما تم اطلاعكم .. وكان الوضع الطبيعى «السجون» الأمر الذى يلزم التصرف «تداروا نفسكم» . وبالرغم من إنكار اللواء / محمد نجيب ، إلا أنه بهت من المفاجأة .

(د) صباح يوم الجمعة ١٨ يوليو قام محمد نجيب بتبليغ سكرتير اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار بنتيجة اللقاء مع محمد هاشم باشا وقام بطمأنة جمال عبد الناصر على وطنية حسين باشا سرى ومحمد هاشم باشا وزير الداخلية . وطلب اجتماع صباح السبت باكر للتصرف .

(هـ) توجه كل من جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين إلى منزل ثروت عكاشة حيث قاموا ثلاثتهم بصلاة الجمعة فى شرفة ثروت عكاشة بمنزله بالعباسية .

(و) صباح السبت ١٩/٧/١٩٥٢ آخر اجتماع وأخطر اجتماع لمجلس قيادة الثورة حضره كل من :

(١) محمد نجيب (٢) جمال عبد الناصر

(٣) محمد عبد الحكيم عامر (٤) حسن إبراهيم السيد

(٥) كمال الدين حسين

ولم يحضر الخمسة الباقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة حفاظا على السرية .

قرارات اجتماع يوم ١٩/٧/١٩٥٢ :

(١) تقديم ميعاد القيام بالثورة ليكون سعت ١٠٠ يوم ٢٣/٧/١٩٥٢

بدلا من ١٩٥٢/٨/٥ إذ لا يمكن الحفاظ على السرية لأكثر من ذلك بعد أن انكشف المخطط للثورة .

(٢) الأعضاء الخمسة التى أدلى بها محمد هاشم باشا وزير الداخلية – هم :–

(أ) محمد نجيب (ب) محمد عبد الحكيم عامر

(جـ) محمد أنور السادات (د) صلاح سالم

(هـ) جمال سالم

إذ كان نشاط هؤلاء بارزا بما سهل مراقبتهم والتأكد من انتمائهم لعمل سرى مشترك بينهم ، وهناك سبعة من أعضاء المؤسسة التنفيذية للضباط الأحرار الـ ٣٠٠ ضابطا لا نذكرهم .

القرارات حيالهم :

عدا محمد نجيب . يتم هروبهم خارج مصر فى أسرع وقت ومنذ هذه اللحظة حتى لا يتم القبض عليهم حيث سافروا بالفعل إلى سيناء والعريش ورفح بحجة السيطرة على القوات هناك وكانت الأوامر لديهم بالعودة سعت ٢٠٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٢ للانضمام إلى زملائهم فى نفس الواجبات المكلفين بها (ص ٦٧ – ١٩).

(٣) من القرارات فى هذا الاجتماع : (ص ٦٦ - السطر ١٩)

يتم تصعيد الآتى أسماؤهم بعد من اللجنة التنفيذية الـ ٣٠٠ إلى مجلس قيادة الثورة الـ ١٠ ليكون مجلس قيادة الثوة ١٤ بدلا من عشرة اعتبار من مساء يوم ١٩٥٢/٧/٢ وهم :

١ - القائمقام / يوسف صديق منصور.

٢ - البكباشى / حسين الشافعى .

٣ - الصاغ / زكريا محيى الدين .

٤ - الصاغ / عبد المنعم إبراهيم . (ص٦٧ - السطر ٢٢)

٦ - عاد كل من : ١ - محمد عبد الحكيم عامر.

٢ - محمد أنور السادات . (ص ٦٧ - السطر ٢٠)

ولم يعد كل من : الشقيقان : (١) صلاح سالم (٢) جمال سالم إذ عادا يوم ١٩٥٢/٧/٢٤ ولا أذكر السبب الذى قاله اللواء/ محمد نجيب عن تأخرهما .

٧ - فى عصر يوم الثلاثاء ١٩٥٢/٧/٢٢ توجه محمد نجيب إلى نادى التجديف لمجرد استطلاع الشكل العام فى الدولة داخل النادى لما به من شخصيات حيث أخبره أحد الصحفيين أنه قد أحيل إلى المعاش .

وكان تعليقه الصامت : ليس فى الأمر خطورة كلها عشر ساعات وأكون قائدا عاما للقوات المسلحة .

٨ – اللواء / على نجيب شقيق اللواء / محمد نجيب له دور خفى فى التعجيل بالثورة إذ كان مسئولا عن أمن العاصمة ولم يدر بما أبلغ به شقيقه بحسن نية :

(١) سعت ٢١٢٠ اتصلت حرم اللواء/ على نجيب بشقيقه اللواء / محمد نجيب لتخبره بانزعاج ؛ أن اللواء / حسين فريد رئيس هيئة الأركان قد قام باستدعاء اللواء / على بصورة غير طبيعية وأنه لم يكد يصل حتى استدعوه وأنه لم يتناول غدائه أو عشائه .

(٢) قام اللواء / محمد نجيب بالاتصال بالقيادة بكُبرى القبة وسؤال شقيقه عن أسباب انزعاج زوجته وإذ باللواء / على نجيب يخبره بأن القيادة هنا متوهجة وممتلئة بالضباط الذين تم استدعائهم وأنهم فى انتظار وصول اللواء / حسين فريد ومعه الأسماء التى سيتم القبض عيها من الضباط المناوئين للملك والسراى. وغالبا ما سيتم القبض عليهم بعد سعت ٢٤٠٠ اليوم/ سَبَّبَ ذلك انزعاجا لدى اللواء محمد نجيب كيف يقوم بتحريك القوات وليس هناك من تواجد لجمال عبد الناصر ليقوم بتبليغه لتبليغ القوات (ص٦٨).

(٣) شاءت إرادة الله أن تنجح الثورة وأن يتم القبض على القيادة قبل قيامها بالقبض على رجال الثورة . إذ تصادف قدوم أحد الضباط الأحرار لمنزل اللواء / محمد نجيب لتحذيره :

(أ) أنه قد أحيل إلى المعاش .

(ب) أنه مقبوض عليه بين لحظة وضحاها .

حيث قرر له اللواء / محمد نجيب أنه يعلم كل ذلك ولكن يلزم البحث عن جمال عبد الناصر (وجمال عبد الناصر كان فى هذا التوقيت ومنذ الساعة التاسعة فى عربة سوداء على باب معسكر سلاح الفرسان منتظرًا سعت ١٠٠ ومعه محمد عبد الحكيم عامر) وفى حالة عدم الاتصال به يتم تبليغ غرفة عمليات الضباط الأحرار بتقديم ميعاد الثورة بالتحرك منذ هذه اللحظة وسوف تستغرق القوات ساعة على الأقل فى تجهيز ما لم تكن قد أعدته للتحرك، المهم أن تقوم الثورة قبل الساعة ٢٤٠٠ وإلاً تم القضاء علينا جميعًا . (ص ٦٧ السطر ١١) .

(٤) وبالفعل قامت عمليات الضباط الأحرار دون انتظار للبحث عن جمال عبد الناصر بإرسال التكليفات بسرعة التحرك. وهكذا يقرر بطل ثورة ٢٣ يوليو اللواء / محمد نجيب: (ص ٦٨) «كنت مضطرا إلى تقديم ميعاد الثورة إذ وشى بنا إلى السراى ضابط ارتاب فى نياتنا».

١٠ – جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يعترضان قوات يوسف صديق منصور إذ كان يتبع خلية رفعت السعيد ولكن تم تصعيده لرتبته وقوة تأثيره فى القيادة والقبض على كبار الضباط بكبرى القبة – حيث قام بالقبض على كل من جمال عبد الناصر ومحمد عبد الحكيم عامر وهما يرتديان القميص والبنطال – وهما أول من تم القبض عليهما – ثم قام يوسف صديق بتكبيلهما داخل إحدى العربات – واستسلما – ثم قام بالدخول إلى القيادة حيث كان النجاح والانتصار المؤكد للثورة بالقبض على جميع الضباط بالقيادة، وقدمهم يوسف صديق منصور وجبة العشاء للضباط الأحرار، وكان ضمنهم بالطبع اللواء/ على نجيب يوسف نجيب القشلان شقيق اللواء/ محمد نجيب: «كادت الثورة تفشل بالاعتراض الذى تم ولكنها إرادة الله إذ صمت كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واستسلما ليوسف صديق منصور تماما والذى قام بعد ذلك بالقبض على الضباط الذين تم استدعائهم للقبض على الضباط الأحرار حيث أخذهم (بريطة فى المعلم جملة واحدة)».

١٠ – النجاح الثانى كان لزكريا محيى الدين بالقبض على كبار ضباط القوات المسلحة:

قام زكريا محيى الدين بتنفيذ الخطة التى وضعت له بكفاءة تامة

ونجاح باهر. وفى تقديرى أن جميع الضباط الأحرار أبطال سواء كانوا من مجلس قيادة الثورة أو من المؤسسة التنفيذية الـ ٣٠٠ ضابطا. ولكن بالترتيب للبطولة:

١ – محمد نجيب ٢ – يوسف صديق منصور

٣ – زكريا محيى الدين ٤ – عبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم السيد.

٥ – خالد محيى الدين وكمال الدين حسين.

٦ – حسين الشافعى وعبد المنعم إبراهيم.

٧ – جميع ضباط المؤسسة التنفيدية للضباط الأحرار الـ ٣٠٠.

٨ – جمال عبد الناصر ومحمد عبد الحكيم عامر إذ كان مقبوضا عليهما.

٩ – محمد أنور السادات إذ حضر من السينما بعد احتلال القيادة.

١٠ – صلاح سالم وجمال سالم إذ كانا يسيطران على القوات بالعريش ولم يعودان لمصر إلى يوم ١٩٥٢/٧/٢٤.

١١ – محمد نجيب يرد على الوزارة وأحمد نجيب الهلالى:

أبلغت التحريات على الفور إلى كل من وزير الداخلية وأحمد نجيب الهلالى بالإسكندرية حيث قاموا بالاتصال باللواء / محمد نجيب لوقف هذا الانقلاب .. وأنكر فى أول الأمر إذ لم تكن

الثورة قد استتبت بعد وحيال طلب تعيينه وزيرا للحربية فقد قرروا بمواقفة الملك.. وبالسيطرة على الموقف لم يعد هناك مجال للتجاهل.

كانت الاتصالات بمحمد نجيب على النحو التالى:

١ - أحمد مرتضى المراغى سعت ٢٤٠٠ فى توسل لمحمد نجيب أن يضع حدا لهذا الأمر.

٢ - فريد زعلول وزير الدعاية سعت ١٥٠٠ يوم ٢٣ / ٧ يطلب وقف الانقلاب خشية تدخل الإنجليز.

٣ - أحمد نجيب الهلالى يعد محمد نجيب بأن يكون وزيرا للحربية فى سبيل وقف الانقلاب.

٤ - أحمد مرتضى المراغى يطلب محمد نجيب مرة أخرى ويطلب منه الحضور إلى الإسكندرية.. حيث قام محمد نجيب باستدعائه للقاهرة وحضر بالفعل صباحا ٢٣ / ٧ إلا أن الضباط الأحرار أخفوا حضوره عن محمد نجيب إذ كانوا يعرفون الهدف من هذا اللقاء: تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية فى سبيل وقف الثورة.. وأخبروا المراغى: أن محمد نجيب هو القائد العام للقوات المسلحة وبرتبة الفريق وليس فى حاجة لمنصب أقل مما هو فيه.

١٢ - محمد نجيب كان فى اتصال مستمر بالقيادة للاطئنمان على نجاح الثورة.

كان أول اتصال لمحمد نجيب بالقيادة سعت ٢٣٠٠ يوم ١٩٥٢/٧/٢٣ وتم إبلاغه أنه قد تم السيطرة على القيادة وجارى تنفيذ الاعتقالات للضباط الذين كانوا بها.

اتصل به جمال حماد سعت ١٤٥٠ يوم ٢٣ / ٧/ ١٩٥٢ ليخبره بنجاح المرحلة الأولى والسيطرة قد تمت تماما على القيادة.

المهم كلما تم السؤال عن جمال عبد الناصر والمفروض أن يكون أول المتواجدين بالقيادة باعتباره الرجل الثانى بعد محمد نجيب تكون الإجابة لم يصل بعد. ولم يكن أحد يدرى أنه مقيد ومحمد عبد الحكيم عامر خارج القيادة على بعد خطوات.. إلى أن اتصل جمال عبد الناضر سعت ٣٣٥ بمحمد نجيب ليبلغه بأن عربات فى الطريق إليك لنقلك إلى القيادة حيث توجه محمد نجيب بعربته إلى القيادة إلا أنه التقى بطابور العربات فى الطريق ترك عربته واستقل احدى العربات الميرى.

١٣ – تكليفات:

١ – محمد أنور السادات ليلقى البيان الذى أعده محمد نجيب بالإذاعة.

٢ – على صبرى يتوجه إلى السفارة الأمريكية لتبليغهم بأن الهدف من الانقلاب داخلى والأجانب فى أمان.

١٣ – محمد أنور السادات وكمال الدين حسين لعلى ماهر لعرض توليه الوزارة. ثم انتقال محمد نجيب لطمأنة الضباط الذين تم القبض عليهم بالأمس، ثم انتقال محمد نجيب لتهنئة على ماهر بقبوله تولى الوزارة الجديدة.

١٤ – محمد نجيب ينتقل إلى الإسكندرية بالطائرة ويلحق به ستة من أعضاء مجلس الثورة بالقطار بالإسكندرية تم وضع خطة محاصرة قصرى رأس التين والمنتزه إلى أن تم خلع الملك عن العرش وتوديعه بمعرفة محمد نجيب وجمال سالم وإسماعيل فريد وآخرين لا نذكرهم.

١٥ – بدأت مهام الثورة بقانون الإصلاح الزراعى واستقر الرأى بعد ١٨ ساعة عاصفة على ٢٠٠ فدان ثم ١٠٠ بحد أقصى للأبناء: وكان من رأى جمال عبد الناصر ومعه آخرين أن يكون ٥٠ فدانا ولم تحقق له ذلك إلا فى عام ١٩٦٤ إذ نزل فعلا بالملكية إلى ٥٠ فدانا وللأبناء بحد أقصى ٥٠ فدانا.

١٦ – تصفية يوسف صديق منصور: تم الضغط نفسيا على يوسف صديق منصور حيث تقدم باستقالته فى أول يناير ١٩٥٣ أى بعد خمسة أشهر وعدة أيام وهو البطل رقم ٢ فى الثورة بحجة أنه يسارى.. وهى حجة واهية لوجود يساريين حتى اليوم من

الضباط الأحرار وتولوا مناصب هامة.. ومنهم من قام بتكليف من جمال عبد الناصر بالاتصال بهنرى كوريل اليسارى الصهيونى.

الحقيقة أن التصفية كانت بسبب القبض على كل من جمال عبد الناصر ومحمد عبد الحكيم عامر طوال فترة تنفيذ المرحلة الأولى من الثورة وحرمانهما من هذا الشرف. إذ اشتركا فى التخطيط ومنعهما يوسف صديق من التنفيذ وإلا أن يقوم هو بالقبض عليهما خطأ.

١٧ - الصراع على السلطة وبعد تولى محمد نجيب لرئاسة الجمهورية نحيل فيه إلى مقال الضابط الحر / محمود عبد اللطيف حجازى كأخطر وثيقة عن الصراع على السلطة.

★ ★ ★

من يكتب تاريخ ثورة يوليو ؟

د. محمود جامع

السيد الأستاذ فاروق جويدة ،،،

قرأت رسالة الوزير السابق سامى شرف لكم حول تخليد ذكرى الرئيس الراحل عبد الناصر بالمحافظة على تراث منزله حسب القانون الصادر مسبقًا من الدولة .. كما قرأت فى ذات المقال أن الدكتورة هدى عبد الناصر تقوم بجهد ملموس من خلال وحدة أبحاث بالأهرام لجمع تراث ثورة يوليو أيام حكم عبد الناصر .. كما قرأت معالجتكم لهذا الموضوع .. وكيف طرقته بأسلوب موضوعى هادف .. وذكى ومهذب ..

وأحب أن تسمح لى سيادتكم .. أن أعبر عن رأيى كمواطن مصرى بسيط عاش هموم وطنه .. فى تلك الحقبة من تاريخ مصر ..

فأقول – بداية .. إن التاريخ ملك للمصريين .. لكل المصريين .. حكامًا، ومحكومين.. ولابد من البحث بكل جدية وأمانة عن كل الحقائق عن هذه المرحلة الحساسة من تاريخ مصر .. بسلبياتها ، وإيجابياتها .. خاصة وأن كثيراً من شهود هذه المرحلة.. والذين شاركوا فى صنع القرار .. أو كانوا شهودا لقربهم .. معظم هؤلاء على قيد الحياة .. ومنهم من تكلم .. وكتب مذكرات .. أو حلقات .. أو مقالات.. ومنهم من تحدث .. ولايزال .. فى حلقات تليفزيونية فى بعض القنوات الفضائية .. ومنهم من صمت .. ولم يكتب ، أو يتكلم .. عن عمد.. أو غير عمد .. وأصدقكم القول – يا أخى العزيز – أننى تقابلت أخيراً مع كثيرين منهم .. وتحاورت معهم .. وذكر لى معظمهم.. بعض الحقائق الدامية والمذهلة .. عن أسرار تلك المرحلة فى حكم عبد الناصر .. يحبون عبد الناصر من قلوبهم .. ومن أصفيائه .. وخلانه.. ومنهم من كبار المسئولين .. بل أقول أحد الرجال الثوانى لعبد الناصر .. الذى طلب منى على – استحياء – بعد جلسة صافية ممتعة .. أراد الله – عز وجل – أن يخرج عن صمته .. ويتكلم بتلقائية صريحة .. وأخرج لى من قلبه وعقله .. كثيراً من الحقائق المذهلة .. التى لا يعرفها المؤرخون .. وطلب منى بعد ذلك أن أكتم هذه الأسرار ولا أنشرها .. (أخى فاروق .. نحن لا يهمنا المنزل الذى كان يقيم فيه عبد الناصر.. أو السرير الذى كان ينام عليه .. ولا

غرفة مكتبه .. أو طعامه .. أو ملبسه .. ونحوله إلى متحف .. أو مزار .. ولكن الذى يهمنا .. أفعاله.. وإيجابياته .. وسلبياته..

إننا نريد صياغة أمينة لتاريخ هذه المرحلة .. تدرس فى المدارس لأبنائنا الطلاب .. ويقرؤها ويتناولها أفراد شعبنا.. بمختلف نوعياتهم.. وطبقاتهم .. لتكون عبرة للأجيال .. كل الأجيال.. حكاما ومحكومين ..

ولابد من الاستعانة بوثائق المحاكمات التى تمت فى عهد عبد الناصر، وعهد السادات لبعض المسئولين الذين حكم عليهم بالسجن، أو الإعدام وفيهم نواب رئيس جمهورية وقائد عام القوات المسلحة ورئيس جهاز المخابرات ووزير الداخلية.

وكذلك التحقيقات التى تمت بشأن انحراف أجهزة المخابرات، وقضايا التعذيب ومذبحة القضاء والمصاريف السرية وعمولات السلاح والمشتريات الخاصة برئاسة الجمهورية والقوات المسلحة ، وسرقة خزينة سفارة الكويت بما فيها من مجوهرات وأموال ، وسرقة مجوهرات لومومبا، وسرقة أموال سفارة المغرب، وقسم السيطرة بواسطة الجنس والممثلات والفنانات فى جهاز المخابرات ، وسرقات الأموال والذهب فى حرب اليمن، ومصاريف الدعاية للوحدة مع السودان ، وتهريب الذهب إلى تيتو فى يوجوسلافيا ، وأسرار هزيمة يونيو ١٩٦٧، والوحدة مع سوريا .. وأزمة مارس .. وتمثيلية حادث المنشية .. وخلاف ذلك ..

أخى .. صدقنى .. نحن لا نريد أن ننببش فى قبور .. أو نبحث أو نقلب فى فضائح ومخاز.. ولكننا نريد أن نقيم فترة حكم غالية فى تاريخ مصر .. ونقيم أول حاكم مصرى صميم .. وهل نجحنا فى حكم أنفسنا بأنفسنا. ونريد أن نتجرد من عواطفنا .. وأحقادنا .. ونريد أن نكون كرجل القضاء العادل المنصف .. الذى يحكم بضميره المتجرد الصافى .. نريد محكمة للتاريخ من هؤلاء القضاة لتحكم على عبد الناصر .. بما له .. وما عليه . نريد محكمة تعطى لكل مظلوم أو معذب أو مطرود أو مقتول .. فى هذا العهد .. حقه..

وبذلك كله نلقى الضوء .. بكل أمانة .. وبكل موضوعية .. وبكل أدب أمام الله عز وجل .. على عبد الناصر وعهده .. ونرجو أن يتم ذلك سريعاً .. وبدون تأخير.

أخى .. معذرة فقد أردت أن أعبر عن رأيى بكل هدوء وبكل موضوعية .. والله المستعان .. ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد..

★ ★ ★

تحطيم الرموز

حسين كروم

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

أحسنت عندما فتحت بموضوعية موضوع ثورة يوليو وقادتها وتاريخها وتاريخهم . وظاهرة ميلنا لتحطيم زعاماتنا الوطنية فى الكتب التى يتم تدريسها للطلاب فى المدارس . وهى مرض يجب أن تنأى الدولة عنه . فلا تدرس لطلابها إلا الحقائق المجردة حتى لا يكون للنظام القائم مصلحة فى تشويه أو طمس مراحل سابقة عليه.. وأما المعارك والخصومات فأمام الجميع متسع فيها خارج المدارس والجامعات فى مئات وآلاف الكتب التى تحمل وجهات نظر كتابها وتعكس انتماءاتهم ومصالحهم وخصوماتهم .. كما أحسنت بتعبيرك بحس وطنى مرهف عن ضرورة المحافظة على تراث البلاد المعمارى. ومطالبتك أن تقيم الدولة على حسابها المتحف الخاص

بالزعيم خالد الذكر جمال عبد الناصر . وإن كنت أتمنى أن تطالب أيضا بإنصاف آخر للزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس باشا .

واسمح لى أن أعبر عن دهشتى لتلك الجرأة التى كتب بها الدكتور محمود جامع . فى رسالته إليك بقوله لك : عن بعض من لم يتكلموا حتى الآن ويدلوا بشهاداتهم : «تقابلت أخيرا مع كثيرين منهم وتحاورت معهم . وذكر لى معظمهم بعض الحقائق الدامية والمذهلة عن أسرار تلك المرحلة فى حكم عبد الناصر . ومنهم من هم يحبون عبد الناصر من قلوبهم ومن أصفيائه وخلانه ومنهم من كبار المسئولين . بل أقول أحد الرجال الثوانى لعبد الناصر الذى طلب منى على استحياء - بعد جلسة صافية ممتعة أراد الله -عز وجل - أن يخرج عن صمته ويتكلم بتلقائية صريحة وأخرج لى من قلبه وعقله كثيرا من الحقائق المذهلة التى لا يعرفها المؤرخون. وطلب منى بعد ذلك أن أكتم هذه الأسرار ولا أنشرها أو أذيعها احتراما منه لعبد الناصر الذى يحبه بعمق ويحترمه بشدة ».

والذى نعلمه أن الجميع تقريبا - باستثناء زكريا محيى الدين- أطال الله عمره تكلموا وحكوا عن ذكرياتهم فى كتب ومقالات وحوارات ومناقشات موجودة ومثبتة . ولم يقتصر الأمر على أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو فقط وإنما على الصفين الثانى والثالث. ووزراء ومسئولين. ورجال مخابرات ومباحث وقوات مسلحة.

واسمح لى يا زميلى أن أسألك لتجيب. هل هذه الأحداث الدامية والمذهلة التى وقعت فى بلادنا لا يعرفها إلا عبد الناصر والشخص الآخر الذى حكى عنه د. جامع. ولم يحس بها أحد آخر من الشعب أو المسئولين . وأين وقعت إذن ما دام كل من شارك فى المسئولية لا يعلم شيئا عن حقائق دامية ومذهلة حسب تعبيره ؟ هل هذا كلام يقال لأناس لهم عقول وتفهم وتميز ؟ وطبعا .. فلو أراد الدكتور جامع أن نزيح الستار عن هذه الحقائق . فلن يذكر أسماء من ذكروها له لأن الطرف الآخر وهو عبد الناصر متوفى . فلن يرد عليه أحد !

والأمر الآخر الذى أدهشنى من جرأة الدكتور محمود جامع أنه يطالب ببحث ونشر الحقائق عن أحداث منشورة فى مئات الكتب بالفعل . ولفت نظرى –وأعتقد أنه لفت نظرك أيضا – مطالبته بنشر التحقيقات التى أجريت عن عمولات السلاح . وهو مالم نسمع به أو نقرأ عنه . فأى عمولات سلاح والاتفاقات كانت بين حكومة مصرية وحكومة سوفيتية تملك مصانع الأسلحة.. ولفت نظرى، ومن المؤكد أنه لفت نظرك أيضا، تساؤله عن تهريب الذهب إلى تيتو فى يوغسلافيا. وهى القضية التى أثارتها منذ أشهر وبإلحاح جريدة الوفد حول رصيد مصر من الذهب عندما قامت الثورة ... ونشرت حكايات وروايات عجيبة عنه . وردت الحكومة على لسان رئيسها الدكتور كمال الجنزورى وفى مجلس الشعب وبالأرقام والتواريخ .

عن هـذه الـروايـات مـؤكـدا . أن الـرصـيـد مـوجـود والـكـمـيـات الـتـى تـم الـتـصـرف فـيـهـا لـزيـادة نصيب مصـر فـى مـؤسـسـات مـالـيـة دولـيـة . ولأسباب اقتصادية . فإما أنه لا يصدق بيانات الحكومة. وعنده الأسرار الحقيقية وحده . وإما أنه لم يقرأ ما نشر على مدى أشهر عديدة فى الصحفات الأولى والداخلية للوفد والصحف الأخرى .

وأخيرا أتـمـنـى أن تـواصـل فـتـح الـبـاب لـلـمـنـاقـشـات فـى هـذا الموضوع . لأنه لن يغلق بطبيعة الحال على الأقل لنعرف أسرارا جديدة أدلى بها قادة ومسئولون مجهولون للدكتور جامع وحده عن أموات لن يردوا.

★ ★ ★

الثورات من المحرمات

حسن دوح

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

لقد أتحت لى فرصة الكتابة تعقيبا على ما كتبته عن رغبتك فى إقامة معرض أو متحف لتخليد ذكرى عبد الناصر . وزاد من إقبالى على الكتابة إليك ، أنك أفسحت صدرك لما كتبه أخى الدكتور محمود جامع .

أرجو أن يتسع صدرك لرأى خالف ما ذهبت إليه ، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية ، وإليك حيثياتى أجملها فى سطور :

– إن من فضائل الشعب المصرى ، أنه لا يذكر الموتى إلا بكل الخير «اذكروا محاسن موتاكم» وبناء عليه فإنهم لن يرضوا عن متحف يعيب عبد الناصر ، وعبد الناصر ليس مجردا من العيب ، فهل سنسبح بحمد عبد الناصر ، دون أن نذكر أخطاءه؟ إن مثل هذا

المتحف لن يخدم الحقيقة ولن يصدق التاريخ ، وسيكون ضره أكبر من نفعه .

– إن الثورة قامت على اكتاف رجال ، تحملوا كل مخاطرها ، فلم لا نفكر – إذا كان ولابد – فى إقامة متحف يضمهم جميعا . يذكر بدايتهم ونهايتهم ، ويذكر مالهم وما عليهم ، ويوم أن يتحقق مثل هذا المتحف فسوف نحزن حزنا شديدا، لأننا سنتذكر ما أصاب رائد الثورة محمد نجيب، وما أصاب عبد الحكيم عامر، وما لحق بكمال الدين حسين .. ومثل هذا المتحف سوف يسىء أيما إساءة إلى عبد الناصر .

– إن إقامة متحف لعبد الناصر يجب أن يكون لاحقا لتدوين تاريخه بأمانة ، وأحسب أن مناخنا السياسى لا يسمح بكتابة هذا التاريخ ، لأن أقلام الأحياء من مؤرخينا ، بعضها أسود قاتم السواد، وبعضها دموى اللون ، وبعضها أبيض ناصع البياض ، فهى أقلام غير موثوق بها .. فأولى بنا أن نترك الأمر لجيل يفضلنا ، فيكتب بقلم فى «لون مصر» ..

– إن فكرة إقامة متحف لعبد الناصر ، ستثير مواجع اجتماعية ، ومواجع سياسية ، فآل عامر لا يزالون عند قولهم بأن ناصر هو قاتل عامر ، وآل نجيب سوف يوجع قلوبهم تمجيد من عذب رب أسرتهم، أما عن الوجيعة السياسية فإن السادات يقف فى تحد من

ناصر ، فهو يفاخر بأنه انتصر على إسرائيل ، ثم صالحها ، وعبد الناصر يتردد صدى صوته وهو يهتف بإلقاء إسرائيل فى البحر .. والرجلان فى مواجهة دائمة ولهما ورثة أحزاب، وصحف ، وأنصار .. فلم نثير هذه الأوجاع، التى قد تزرع فينا فتنا يصعب السيطرة عليها.

وبعد وبعد ...

أرجو أخى أن تلتقى معى على هذا النداء «الثورات من المحرمات فلا تقربوها» .

★ ★ ★

من يكتب التاريخ . . ؟

د. لطيفة سالم

السيد الاستاذ فاروق جويدة ، ، ،

إن التأريخ لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لمهمة شاقة وعسيرة على المؤرخين والباحثين المصريين ، لأنهم فى كتاباتهم يعتمدون على المنابع الأولى التى يستقون منها معلوماتهم ، وتتمثل فى الوثائق ، ومعروف أنها تكاد تصور الأوضاع القائمة تصويرا دقيقا ، ومن ثم لا يحدث اختلاف أو جدال حول الحدث ، أو بمعنى أصح يكون صدور الحكم عليه هو الأقرب للواقع . والوثائق قبل الثورة متاحة سواء كانت داخل مصر أو خارجها ، وبالتالى فإننا نلمس كتابات كثيرة للمؤرخين والباحثين لها العمق الأكاديمى ، لأنها نجحت فى توظيف هذه الوثائق توظيفا جيدا .

أما بعد الثورة فالوثائق الموجودة خارج مصر سواء فى الأرشيف البريطانى أو الأرشيف الأمريكى تعد من المصادر الأساسية للتأريخ للثورة ، وبطبيعة الحال فهى ليست متوافرة داخل مصر وإنما الذى اطلع عليها إما أفراد تمكنوا من السفر إليها ، أو بعض المراكز العلمية المتخصصة مثل مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام الذى قام بتصوير وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. (فيما يختص بمصر) حتى ما يقرب من منتصف الستينيات وهذه الوثائق ليست متاحة لجميع المؤرخين والباحثين لينهلوا منها ، بالإضافة إلى أنها لا تغنى أبدا عن ضرورة الاطلاع على الوثائق المصرية التى هى بعيدة المنال ، وكم سجلت التوصيات ووجهت النداءات للسماح بأن تكون بين أيدى المتخصصين، حقيقة هناك القليل منها المفتوح ، لكنه يقف عند بداية الستينيات ، وهو لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وقد حاول المؤرخون والباحثون طرق أبواب المسئولين علهم يوافقون ويأذنون ويسمحون بالاطلاع على الوثائق المصرية التى لا يمكن الاستغناء عنها عند التأريخ للثورة، ولكن كل المجهودات ذهبت جفاء ، ولا أقول أن ذلك يرجع إلى عدم فهم وإدراك المسئولين أهمية كتابة تاريخ هذه الفترة بصورة جادة وأكاديمية وحيادية من خلال الوثائق ، ولكن ربما بقايا القانون الذى يقضى بأن يكون الإطلاع

على الوثائق بعد مرور خمسين عاما من أحداثها هو الذى جعلهم يصرون على موقفهم الرافض ، ليئن تحته المؤرخون والباحثون .

وعليه فلن يؤرخ للثورة بطريقة علمية رصينة مع استمرار باب الوثائق مغلقا أمامنا ، هذا مع العلم بأن الوثائق الأمريكية يتاح الاطلاع عليها بعد أن تكون الأحداث التى تضمنتها هذه الوثائق قد مر عليها عشرون عاما ، أما الوثائق البريطانية فقد حددت الفترة الزمنية بثلاثين عاما . والأمل يحدونا أن نحذو حذو الدول المتقدمة فى هذا المجال حتى نزيح الستار عن خبايا عهد الثورة .

★ ★ ★

فلسفة الثورة

د. فردوس البنهاوى

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

لقد أثرت قضية خطيرة على صفحات «دنيا الثقافة» .. ولقد ضاعف طرحك لهذه القضية شجونى ، إذ كنت عائدة لتوى من الولايات المتحدة الأمريكية بعد زيارة لعدة جامعات فيها ، تعصف بذهنى وتعذب أفكارى المقارنة بين مشاهدتى لجهد أمة صنعت تاريخها من البداية وكونت تراثها الحضارى والثقافى بالتخليد المحايد لفكر قادتها وزعمائها بدون تجن أو شطط فى الأحكام ، مهما يكن الجدل واختلاف الرأى حول أفعالهم وأدوارهم وحددت لذلك وسيلتين :

أولاهما : إقامة مزارات تاريخية ونصب تذكارية فى أماكن مفتوحة وفسيحة جدا تحيط بها الحدائق والنافورات ويغمرها الحس

الجمالى فى التصميم لجدران كتبت عليها بحروف كبيرة عبارات مختارة من فكر عظماء ورموز الأمة ، وبها تماثيل تجسد مواقف خالدة من حياتهم وتعرض أحداثا فجروها وأدوارا مصيرية لعبوها.. وأضرب مثلا على ذلك النصب بالعاصمة الأمريكية لجورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة ، وقد سجلت فيه عبارات من كتاباته وخطبه ترسى المفاهيم الديموقراطية والإنسانية التى صنعت حضارة هذه الدولة وحددت إطار ثقافتها ، وهناك مزارات أخرى عديدة منها مزار حرب التحرير فى مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، والذى يخلد تاريخ تحرير الولايات المتحدة من السلطة البريطانية . وكل هذه أماكن لا تخلو يوميا من زيارات طلاب المدارس ، حيث يكون «الدرس الحى» فى التاريخ ، فلماذا لا نفعل ذلك لنخلد تاريخ كل قادة وعظماء مصر من زعماء حركة الاستقلال من الاحتلال البريطانى وقادة التنوير وأبطال الثورات السياسية والفكرية ؟

ثانيهما : الدراسة العلمية الجادة التى تراعى الأمانة والموضوعية فى العرض والتحليل دون انعكاسات أو تفسيرات شخصية متجنية ، حتى يكون هدف الدراسة تحديد ملامح فكر واستخلاص فلسفة وتفنيد رؤية. وفى زيارة لجامعة ولاية متشجان (MSU) عرفت من أحد أساتذتها وهو ا. د. تشرلز جليوزو Charles Gliozzo وكيل مركز الدراسات الدولية بالجامعة أنه حصل على

الماجستير عن دراسة لكتاب «فلسفة الثورة» للزعيم جمال عبد الناصر السياسية والاجتماعية ، فسألته : «وماذا وجدت؟» وكانت إجابته من منطلق موضوعية البحث العلمى : «هو زعيم سبق فكره عصره ، وطرح أفكارا قيمة ورؤية سياسية ثاقبة».

هنا اسمح لى أن أعيد تساؤلك الحائر : «أين يذهب باحث مصرى أو عربى يريد أن يقدم دراسة أكاديمية عن ثوررة يوليو؟ والجواب: لابد أن يلجأ إلى مثل تلك الدراسات التى تقدم تقويما علميا بعيدا عن التأريخ بمنهجية الهدم، ومنزها عن الإرهاب والابتزاز الفكرى، لأن تسجيل التاريخ - وهذا نصيبنا - فى ضوء مصالح ذاتية ومقاصد شخصية ترمى إلى تصفية الحسابات يخلق أمة بلا ذاكرة ويطمس وعى شعب ويترك أجيالا حائرة بلا جذور فكرية . وحق هذا البلد العظيم علينا - كما ناديت أنت بأمانة - أن نؤرخ به بمنهج سليم حتى يكون الوفاء والموضوعية قيما ثابتة فى حياتنا .

★ ★ ★

التاريخ بين الشعوب والحكام

ضياء الدين داوود

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

اعتدت متابعة كتاباتكم الدورية الممتعة بصحيفة الأهرام ودائما ما أسعد بها . وقد تابعت سلسلة كتاباتكم عن أحداث ثورة ٢٣ يوليو وقادتها، ومع تقديرى لهذا الاهتمام والاعتدال فى التعليق والحرص على التقصى والعدل فى التناول فأنا لى ملاحظات عامة على ما يكتب وعن منهج تناول التاريخ ، ذلك أن التاريخ كان يروى ويتابع ويكتب فى مراحل على أنه تاريخ أشخاص وملوك ورؤساء وأبطال وحكام أو قادة عسكريين تدور حولهم الأحداث وتنطلق منهم المواقف . ومن ثم كان التركيز على أشخاص الرؤساء والحكام والقادة وتتبع مواقفهم وآرائهم وقدر مساهمتهم فى الحدث باعتبارهم المحور الذى تدور حوله الوقائع، ولكن التاريخ من بعد.

ولست أقول هذا من موقف تخصص ولكن كقارئ ومتابع. هو تاريخ شعوب وأمم وأحداث يأتى فى سياقها قادة وأبطال وخونة، ومن هنا فى رأيى عندما يكتب فى التاريخ عن ثورة ٢٣ يوليو يكون الحديث عن تحديد المناخ والظروف الاجتماعية والسياسية التى استدعت ويلورت قادتها وحددت زعامتها التى آمنت وتفاعلت مع آمال الشعب وطموحاته وآلامه فترجمتها إلى حركة ثورية فاعلة .

ثم تتابعت الاحداث والتطورات والقرارات المهمة والخطيرة والظروف التى أثمرتها ، والحلول التى طرحتها ، ثم يأتى دور الزعماء الذين تفاعلوا مع التطور ودرسوا الواقع واستجابوا لحاجاته، أو الذين وقفوا موقفا سلبيا أو موقفا مضادا وهكذا .

وإذا ما التزمنا هذا المنهج فسوف يختفى كثير من التساؤلات، ويتزايل كثير من المواقف والتناقضات الثانوية التى صهرتها الاحداث وأذابتها.

وهذا المنهج فى ظنى يبعدنا عن شخصنة القضايا والاحداث الموضوعية والمهمة ، وعن تفسير التاريخ تفسيرا يشوبه أحيانا الهوى الشخصى أو المعايير الذاتية إن استبعدنا الهوى .

والأمر الثانى الذى أشير إليه هو أن الوثائق فيما أعلم والتى أشرت إلى بعضها موجودة ، ولعل الندوة التى عقدت بشأن حرب أكتوير وما طرح فيها من دراسات وأبحاث وتقارير تشير إلى أن

الباحثين قد رجعوا للوثاذق من مظانها المختلفة سواء عن حرب ٥٦ أو ٦٧ أو ٧٣. ولعل ما أصدره وما يصدره الأستاذ / محمد حسنين هيكل من كتب كثيرة وعنايته الفائقة والمتميزة بالرجوع إلى الوثائق والمراجع هنا فى مصر وهناك فى الخارج تؤكد أن المراجع والوثائق موجودة وتتطلب همة ونشاط الباحثين ولعل الأستاذ/ هيكل فى مؤلفه الذى تحدث فيه عن أهمية وخطورة يوميات الحروب وهى وثائق مهمة قد أشار إلى شىء من ذلك ونبه إلى أهمية الرجوع إليه .

صحيح أننا فى العالم العربى نكتم كثيرا من الأسرار فلا يكشف عنها أو تذاع فى توقيتها المناسب، ولكن ذلك لا ينفى وجودها ولا يحول دون إمكان الرجوع إليها .

وختاما لك خالص الشكر على اهتمامكم وتقصيكم لبعض ما يكتب وما يقال عن ثورة ٢٣ يوليو من إرهاصات ومقدمات قيامها وزعامة جمال عبد الناصر ودوره فى تشكيل الضباط الأحرار وتحديد أهدافها وعكسه وزملاؤه لأمانى الشعب وتطلعاته وطموحاته .

★ ★ ★

كنت وسيطا بين الثورة والوفد

لواء محمد أنور نافع

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

لأني كنت قد أسهمت في بعض الوقائع قبل قيام حركة الجيش وبعدها فإنه يسعدني أن أبعث لسيادتكم بهذه المذكرة عن (المحاولة الرسمية الأخيرة والفاصلة) في اتصال القيادة العامة بحزب الأغلبية (الوفد) وذلك تعقيبا على ما جاء بمقالكم:

باختصار شديد - كان واضحا للمقربين من القيادة العامة لحركة الجيش في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. أن ضباط القيادة برياسة اللواء أركان حرب ، محمد نجيب لا ينتوون التصدى لحكم البلاد، وقد حاولوا باتصالات فردية جس نبض بعض الاحزاب السياسية لإمكان تشكيل قاعدة شعبية يمكن أن تكون أساسا لحكومة منتخبة ، بل إن الحركة رفعت شعارا جذابا ومؤثرًا هو «جئنا نحمى الدستور».

وفـى الشـهـر الأول لـلـحـركـة تمت بـعض الـلقـاءات بـالإخـوان المسلمين كمـا تمت بعض لقـاءات مع أقطاب من حزب الوفد .. ولكنـهـا لم تسفر عن اقتنـاع الأطراف كمـا لم يتبين أحد مـا تريده القيـادة على وجه التحديد من الإخوان أو من الوفد ، كانت وزارة على مـاهر ، ومعلوم أنـهـا كـانت وقتية ، قد بدأت تجد حرجـا من أوامر القيـادة المتلاحقة، ثـم من خروج فكرة قـانون تحديد الملكية الزراعيـة حيث اعتبره البعض بداية للغزو الشيوعى ، وكـان البعض يفضل عليه قـانون الضريبة التصـاعدية المطبق فى إنجلترا .

طلب منى الأستـاذان المرحومـان سليم أبو العلا بك وأحمد بك الحضرى ، من أعضـاء البرلمـان (مجلس النواب) مقابلة الصـاغ عبد الحكيم عـامر حتـى طلـبت مـنـه تحديد مـوعد لـلقـاء هـذين العضـوين الـوفـديين ولـقـد رحب عـبد الحكيم عـامر وقـال إنـه يـعرف أحـمـد بك الحضرى نـائب بـاب الشعرية، وتم اللقـاء مساء بـالقيـادة العـامـة بمكتب عبد الحكيم وكـان عبد الحكيم مرحًـا ورحب بـنـا ودخل قـائد الجنـاح حسنى إبراهيم ولم يشترك فـى الحديث ودام الاجتمـاع سـاعة ونصف السـاعة، وفـى الختـام طلب منـى أمـام أحمد بك الحضرى أن أعرض الأمر فيمـا تكلمنـا فيه على حضرة البكبـاشى جمـال عبد النـاصر. وفـى اليوم التـالى توجهت وقـابلت البكبـاشى جمـال عبد النـاصر بمكتبه ووجدته يعلم مـا تم بـالأمس مع الصـاغ عبد الحكيم عـامر وحدد لى

موعدًا بعد الظهر بالقيادة عندما كنت فى الصباح بمكتبى جمال عبد الناصر لتحديد الموعد، وقد أملانى جمال عبد الناصر مطلب القيادة من حزب الوفد وأصر أن أدون فى نهاية التبليغ عبارة عن القائد العام (البكباشى جمال عبد الناصر).

التبليغ

القيادة العامة توافق على الموضوع موافقة تامة وتلخص طلباتها فيما يلى :

١ – القيادة تعترف بالنحاس كرمز وطنى .

٢ – القيادة تطالب بفصل (أسماء بعض الأعضاء المهمين بالوفد)

٣ – يجب أن يكون دستور الوفد (ديمقراطية الانتخاب) فيما يختص بالرئيس وبالسكرتير .

٤ – القيادة ترحب بعبد السلام فهمى جمعة وتترك له اختيار غير المذكورين (عن القائد العام – بكباشى جمال عبد الناصر).

وأثناء إملاء جمال عبد الناصر هذه السطور دخل مستأذنا البكباشى محمد أنور السادات، وسأل (هل أدخل ؟ فأذن له جمال عبد الناصر) ودخل وجلس عن يمينه على ذات الأريكة ثم تداخل فى الحديث قائلاً: «وإذا رفض الوفد هذه المطالب؟» فابتسم جمال قائلا: «غالبا»، وعقبت أنا (ولا حاجة يظل الموقف كما هو الآن وليس أسوأ) وأخطرنا عبد السلام جمعة باشا بموعد

وصول مندوب من القيادة إليه وصحبنى المحامى أحمد بك الحضرى عضو مجلس النواب، واتجهنا فى اليوم التالى إلى طنطا ومنها إلى (صناديد) عزبة عبد السلام باشا واستقبلنا فى قبيلته بترحاب كبير ، وبعد دقائق طلب النحاس باشا تليفونيا وكان بالإسكندرية، وأخبره بوجود الرسالة وأبلغنى عبد السلام باشا بأنهم سيردون على الرسالة، وعدت إلى القاهرة وفوجئت ان جمال عبد الناصر قد أرسل اليوزباشى (المرحوم) محمد عبد المحسن سليم لمنزلى وترك لى رسالة (عندى) الا أذهب (للمشوار) الذى كلفنى به وارتبكت وتوجهت للقيادة فورًا وكانت الساعة ٢ بعد الظهر وكان يهم بالخروج وخلفه الصاغ عبد الحكيم، وسألته عن إرساله محمد عبد المحسن فقال: ولم يجدك؟ فقلت له لقد (نجحت فى المأمورية) فارتاح وجهه وشرحت له تفاصيل ما تم – وجاء رد النحاس باشا باشا غير مشجع، وكان ردا سياسيا، وسلمته فى التو لعبد الناصر (تانى يوم) فلما قرأه لم يرتح. المهم ركز الرد على أن الوفد قادر على تنظيم أعضائه وكرر موضوع الديمقراطية وإنها سياسته دائما – ومعنى ذلك أن يعتذر عن تلبية طلبات القيادة التى أبلغناها لعبد السلام باشا . وانفعل البكباشى جمال عبد الناصر ودخل مكتب اللواء نجيب، وبعد أن قال لى ما ذكرته من أنه من الضرورى أن يحضر

إلى القيادة عبد السلام باشا ورد على أن اللواء نجيب وافق على حضوره باكرا ، وبعد باكر للقيادة وألغى مقابلة كانت قد تحددت لعلى باشا ماهر رئيس الوزراء ، وتم حضور عبد السلام فهمى جمعة باشا واستقبلته بالمحطة ونشرت الأهرام خبر وصوله بالصفحة الأولى يوم ١٩٥٢/٨/٢٠ ودام اجتماع عبد السلام باشا بالقيادة مع اللواء نجيب وسائر أعضاء مجلس القيادة أكثر من ساعتين ونصف الساعة، وهكذا جاء ختام محاولات الاتصال بحزب الوفد ولم يسفر عما نهدف إليه، ولو تحقق الاتفاق والتفاهم لتغير تاريخ مصر الحديث .

★ ★ ★

حتى لا نظلم يوسف صديق

لواء حسين يوسف صديق

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

طالعنا بجريدة الأهرام الغراء الصادرة ٣٠ مايو ١٩٩٩ حديثا قيما مع السيد / زكريا محيى الدين حول تاريخ ثورة يوليو . وقد تناول الحديث عدة موضوعات مهمة وخطيرة، وحرصا منا على الحقيقة التاريخية التى تنادون بها نستأذنكم أن نضع أمام السادة القراء الحقائق التالية .

أولاً – ربطت بين والدى المرحوم يوسف صديق عضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو والسيد زكريا محيى الدين ليست زمالة الضباط الأحرار ومجلس قيادة الثوة فقط ، بل أيضا صداقة حميمة ووطيدة ، كما قرر – بحق – السيد زكريا محيى الدين .

ثانيًا – ساعة الصفر ليلة الثورة: قام الضابط الحر زغلول عبد الرحمن (ضابط اتصال الضباط الأحرار) بالتوجه إلى مقر الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة بالهايكستب مساء يوم ٢٢ يوليو وأبلغ المرحوم القائم مقام فى ذلك الموعد، وبعد ذلك عندما قامت قوات يوسف صديق أركان حرب / يوسف صديق فى وجود الضابط الحر النقيب / عبد المجيد شديد مساعد يوسف صديق بأن ساعة الصفر الثانية عشرة مساء، وتحرك الضابط زغلول عبد الرحمن مع قوات يوسف صديق فى ذلك الموعد، وبعد ذلك عندما قامت قوات يوسف صديق – على سبيل الخطأ – بالقبض على كل من البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر بمنطقة الكوربة بمصر الجديدة، علم يوسف صديق منهما أن ساعة الصفر هى الواحدة صباحا وليست الثالثة عشرة مساء .

ومما تقدم يتبين أن يوسف صديق تحرك بقواته فى الموعد المبلغ له بالضبط من النقيب زغلول عبد الرحمن ليس قبله وليس بعده .

ثالثا – اقتحام قيادة الجيش: اقتحم يوسف صديق بقواته (مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة) مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة، وهذا الاقتحام هو المعركة التصادمية الوحيدة التى تمت فى ليلة الثورة ، أصيب خلالها جنديان من قوات حرس قيادة

الجيش ، أحدهما أصيب أثناء تبادل اطلاق النيران مع قوات يوسف صديق والثانى أصيب عندما اعترض يوسف صديق أثناء صعوده للطابق الثانى للقبض على رئيس الاركان ومن كان معه ، فاطلق يوسف صديق رصاصة على قدمه (تراجع المصادر السابقة المشار إليها) .

رابعًا – الخلاف بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة: بعد نجاح الثورة لم يكن الفكر اليسارى مرفوضا قط بل كان مجرد الفكر الحيادى مرفوضا أيضا ، وليس أدل على ذلك من تنصل وتبرؤ مجلس قيادة الثورة للسفير الأمريكى من تصريح يوسف صديق عندما كان يلقى خطابا فى مدينة بنى سويف ١٩٥٢ بأن سياسة الثورة «لا شرقية ولا غربية» وهو الشعار الذى تبناه الرئيس عبد الناصر فيما بعد (راجع كتاب قصة ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ أحمد حمروش).

– لم يكن الفكر الحيادى مرفوضا فقط بل الفكر الديمقراطى أيضا، لذلك كان رفض مجلس القيادة لرأى يوسف صديق بجريدة المصرى يوم ٢٤ مارس ١٩٥٤ والذى نادى فيه بعودة الجيش إلى الثكنات وتشكيل حكومة ائتلافية تضم جميع القوى السياسية فى البلاد من إخوان مسلمين ووفديين واشتراكيين وشيوعيين برئاسة الدكتور / وحيد رأفت وكيل مجلس الدولة فى ذلك الوقت، لإعداد دستور للبلاد ووضع أسس حياة ديمقراطية .

مما سبق يتبين أنه ليس فكر يوسف صديق اليسارى هو الذى كان مرفوضا فقط بل الذى كان مرفوضا فى الأساس هو دعوة يوسف صديق لعودة الجيش إلى الثكنات ، وإقامة حياة ديمقراطية فى البلاد وهو أحد مبادئ الثورة الستة التى التف حولها الضباط الأحرار.

يوضح خطاب استقالة يوسف صديق للرئيس محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة فى يناير ١٩٥٣ سبب الخلاف مع مجلس القيادة والمتمثل أولا وأخيرا حول قضية الديمقراطية .

* * *

الوثائق وكتابة التاريخ

أحمد حمروش

من الضباط الأحرار

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

تابعت ما كتبه الأستاذ فاروق جويدة عن تاريخ ثورة ٢٣ يوليو وحرصه على تحديد الفرق بين الحكايات والروايات والقصص وبين الوثائق ... وتابعت أيضا بعض ما نشر حول هذه القضية .. لأنى وجدت فيها ما يستحق الاهتمام لأنه يضىء الحقيقة أمام الأجيال الجديدة .

آثرت ألا أدخل فى مناقشات تدور حول تاريخ الثورة لأنى مؤمن إيمانا عميقا بأن من حق ... بل من واجب كل من عاش أو عاصر بعض الأحداث أن يكتبها حتى تتضح معالم الصورة كاملة أمام الباحثين الآن وفى القرن الواحد والعشرين بعد أن يكون قد انقضى على انتصار الثورة نصف قرن .

ولا شك أن المذكرات الشخصية التى أصدرها أنور السادات (البحث عن الذات) ، ومذكرات عبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين وغيرهم من الضباط الأحرار التى نشرت فى كتب تعتبر من الأسس التى يعتمد عليها فى البحث والتحليل والتفسير .

وهنا أشير إلى أنى أسهمت بجهد متواضع فى كتابة قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ظهرت فى ثمانية أجزاء ، وكانت طبعتها الأولى فى بيروت فى بداية السبعينيات وطبعتها الأخيرة فى الهيئة العامة للكتاب منذ حوالى أربع سنوات ... وتضم هذه المجموعة كتبا عن قصة الثورة فى الجيش منذ عهد محمد على . مجتمع جمال عبد الناصر ، وعبد الناصر والعرب ، وخريف عبد الناصر، وغروب يوليو ، وقصة الثورة مع الديمقراطية ومع الاشتراكية .

والكتاب الذى أصدرته لم يكن من باب الذكريات الشخصية أو الرؤية الذاتية .. ولكنه كان محاولة موضوعية لتقديم تاريخ الثورة بعد حوارات مع أكثر من خمسين شخصية من الضباط الأحرار والسياسيين الذين عملوا مع الثورة أو أضيروا منها ... وقد جمعت شهاداتهم فى أحد أجزاء الموسوعة باسم (شهود ثورة ٢٣ يوليو) .

وأشير أيضا إلى أن اللواء محمد نجيب قد اتفق معى على

كتابة مذكراته التى صدرت فى كتاب يحمل اسم (كلمتى للتاريخ) والتى أوضحت وجهة نظره فى كثير من الأحداث ... وهو الكتاب الذى يمكن القول بأنه التعبير الصادق عن وجهة نظره ... لأنه وافق على كل ما جاء فيه، ولأنى ما زلت أحفظ بعض مذكراته بخط يده .

ما كتب إذن كان - فى رأيى - كافيا لتوضيح معالم الصورة من وجهات نظر مختلفة ... ولكن يبدو أن توالى الأحداث وتغير الزمن دفع ببعض الحقائق إلى دائرة الظل والنسيان مما دفع الأستاذ فاروق جويدة إلى إثارة هذه القضية لاختلاف الآراء حول بعض الأحداث .

وهنا أود أن أشير إلى أن دخول بعض الأقلام التى لا تبغى سوى الإثارة الصحفية أو الإساءة إلى تاريخ الثورة أو الربح المشروع أو غير المشروع قد جعلت من تاريخ الثورة ساحة مفتوحة للكتابة ... وهو أمر لا يمكن ولا يجوز الحجر عليه ... ولكنه يصبح أمرا شديد الحساسية والخطر فى التأثير لأن تعارض المصالح بين الكتاب الذين يحملون أفكار الثورة وبين الكتاب الذين يحملون أفكارا معادية لها ، هو أمر لا يمكن التغلب عليه ، وهو ما يثمر ما نشاهده الآن من محاولة تقطيع تاريخ مصر بسكين متناسين أن تاريخ مصر هو نضال متدفق مستمر لشعبها مثل نهر النيل .

وقد وقفت طويلا عند بعض الخلافات التى أشار إليها الأستاذ فاروق جويدة ومنها ... الصراعات التى دبت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى أيامها الأولى ، ودور محمد نجيب ... ودهشت عندما وجدته يضع فى دائرة الخلافات مسألة الحسم فى الليلة الأولى للثورة مع أن هناك إجماع على أن قوات البكباشى يوسف صديق هى التى حسمت المسألة عندما تحركت مبكرا عن موعدها بساعة واستولت على القيادة واعتقلت اللواء حسين (باشا) فريد رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت .. ولست أدرى المصادر التى أثارت الشك حول هذه المسألة التى أجمع عليها جميع الضباط الأحرار.

أما دور محمد نجيب فى نجاح الثورة ... فهو دور مؤثر بلا جدال، لأنه كان بالتعاون والتنسيق مع قيادة الضباط الأحرار كما رويته تفصيلا فى الكتب التى أصدرتها .. ولكن القضية هى أسلوب التعامل معه بعد أزمة ١٩٥٤ ومحاولة الإخوان المسلمين الاقتراب منه والاستفادة منه لضرب الثورة والسيطرة عليها، وهو الأمر الذى أسفرت عنه محاولة الإخوان المسلمين اغتيال جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤، وهو الأمر الذى أدى إلى إبعاد محمد نجيب وتحديد إقامته فى المرج ومعاملته بأسلوب لا يليق ولا يختلف على إدانته منصف ... لأن محمد نجيب لم

يتورط فعلا فى عمل مضاد للثورة ... ولكن الخلاف مع زملائه كان حول قضايا تحتمل أكثر من وجهة نظر... وهو أمر طبيعى بين أفراد تنظيم حرص جمال عبد الناصر على أن يكون نوعا من الجبهة الوطنية التى تضم مختلف الآراء من اليمين إلى اليسار ... وحرص أيضا على ألا يكون منتميا أو مرتبطا بأية جماعة أو تنظيم سياسى موجود خارج الجيش .

أما القضية السياسية التى ترتبط بثورة ٢٣ يوليو مثل الديموقراطية أو الاشتراكية فقد حرصت على أن يكون لكل منها كتاب خاص يفسر الظروف الموضوعية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت حتى لا يكون حكمنا على ما وقع فى الستينيات بنظرتنا ونحن فى التسعينيات ... وهو أمر يخرج عن دائرة التاريخ إلى دائرة البحث السياسى .

وإذا نظرنا إلى تاريخ مصر الحديث لوجدنا أنه كانت هناك خلافات فى وجهات النظر بين المؤرخين حول الدور العظيم لمحمد على الذى فرضت عليه الدول الأجنبية معاهدة لندن ١٨٤٠ ، وحول دور الخديوى إسماعيل الذى حاول أن تكون مصر قطعة من أوربا ، ودور أحمد عرابى الذى قاوم الإنجليز ولكنه هزم فى معركة التل الكبير فى سبتمبر ١٨٨٢ مما أدخل الاستعمار البريطانى ، ودور الأحزاب السياسية بعد ثورة ١٩١٩

والتى خضعت جميعا لنفوذ السراى عدا الوفد الذى كان يحصل دائما على الأغلبية الشعبية، ثم إقالة جميع ... نعم جميع حكوماته دون استثناء !!!

قال بعض الكتاب عن محمد على أنه كان قاتلا لأنه دبر مذبحة المماليك ... وقالوا عن الخديوى إسماعيل أنه كان سفيها لأنه فتح أبواب مصر للدائنين ... وقالوا عن أحمد عرابى أنه خائن... ووضعوا جميع أحزاب مصر قبل الثورة على قدم المساواة رغم الاختلافات الجوهرية بينها .

الأحداث السياسية سوف تبقى دائما فى دائرة البحث والجدل... وهو أمر مشروع ومطلوب ...

وإذا كانت بعض الوثائق قد غابت أو اختفت كما يقول الأستاذ فاروق جويدة مثل محاضر مجلس قيادة الثورة فإنه أمر يؤسف له رغم أن هذه المحاضر لم تكن مضبطة تسجل مختلف الآراء وإنما كانت تسجيلا للقرارات فقط ... ولكن ذلك لا يقف سدا فى طريق كتابة التاريخ الصحيح لهذه الفترة .

أما ضياع محاضر جرد القصور الملكية وقصور أثرياء مصر فهو أمر لايدخل فى باب التاريخ ... وإنما يدخل فى باب الجريمة التى يجب أن يحاسب مرتكبها بوساطة القضاء .

وأخيرا ... فإن واجبنا هو السعى للحصول على الوثائق الرسمية التى صاحبت الأحداث الكبيرة التى وقعت عند قيام الثورة أو بعدها أثناء عدوان ١٩٥٦ أو حرب اليمن أو عدوان يونيو ١٩٦٧ ... أو العلاقات المصرية السوفيتية. فالوثائق ستظل دائما ركنا أساسيا فى كتابة التاريخ، ولكنها ليست الركن الوحيد؛ لأن كلمات الذين صنعوا الأحداث هى أيضا وثائق تستحق البحث والتقدير.

* * *

بعض الحقائق عن الثورة

سفير د. محسن عبد الخالق

السيد الاستاذ فاروق جويدة ،،،

تابعت بكل الاهتمام ما تكتبونه عن ثورة يوليو ، وضرورة كتابة تاريخ هذه الثورة . ومع كل التقدير لإثارتكم هذا الموضوع المهم، حتى لا نسقط من تاريخ أمتنا ، ثورة هى من أهم ثورات مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين .. غير أنك لم توضح لنا المنهج الذى ترتئيه ، فى تناول كتابتها .

إن ثورة عرابى رغم إخفاقها ورغم تسمية البعض لها « بهوجة عرابى » ، إلا أنها حققت إلى حد كبير بروز الشخصية المصرية، وأزالت عنها الكثير من طغيان طبقة المتمصرين من الأتراك والشراكسة "Tusloo-Egphansa". ومهدت لصعود الطبقة المصرية منذ أوائل القرن العشرين.

ثم أتت بعدها حركة البعث الوطنى الجديد بعد الموات الذى أعقب ثورة عرابى ، بقيادة مصطفى كامل وزملائه .

وبعدها ثورة ١٩، التى قادها سعد زغلول والوفد. ولا يخفى على أى دارس أنها كانت فى مجملها ثورة سياسية بحتة ، تطالب برفع الحماية البريطانية وتحقيق الاستقرار ، وصياغة وإقرار دستور، تحكم بمقتضاه الأمة ، وينظم العلاقات بين السلطات ، بقدر ما كانت تسمح به ظروف هذه المرحلة .

أما ثورة يوليو فهى ثورة شاملة المحتوى ، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، أنجزت الكثير وعابها الكثير أيضًا .

ويؤسفنى أن أقول إن تناولك للموضوع جانبه الصواب الأكاديمى . فقد أدخلت نفسك فى متاهات وتفصيلات لأحداث ، تتعدد فيها الروايات ، فهذا يقول .. وذلك يقول .. وهكذا دواليك . وليس فى ذلك غرابة أو مأخذ . إذ ليس هناك من فرد ممن اشتركوا فى الثورة على إلمام بكل أحداثها ، بل هو جزء فقط من حدث ما أو أحداث ما، شاهدها أو اشترك فيها. حيث لم تكن الثورة بطبيعتها واختلاف أحداثها مسرحًا مكشوفًا، يرى أحد كل ما يدور عليه.

أمام هذا ، نحن فى أشد الحاجة إلى منهج وأسلوب علمى لجمع كل هذه الروايات وتحقيقها ومن ثم استخلاص الحقيقة . ودائمًا التاريخ يصحح نفسه.

وفيما قرأته ، مما كتبته عن موضوع تاريخ الثورة ؛ استوقفتنى نقطتان :

الأولى : موضوع يوسف منصور صديق . الذى يرى البعض أنه أنقذ ثورة يوليو من الفشل . وهذه الحدوتة بالذات التى يروجها البعض غير كاملة جملة وتفصيلا .

وحقيقة الأمر أن أخبار الثورة تسربت منذ الساعة التاسعة مساء يوم ٥٢/٦/٢٢ عن طريق ضابط المدفعية حسن محمود صالح ووصلت للملك عن طريق الطيار حسن عاكف « قائد السرب الملكى ». وبالتالى ألغيت ساعة الصفر « وكانت الساعة ١ صباح يوم ٧/٢٣». وتجلت وطنية ضباط الثورة فى أروع صورها . حيث سارعوا بالذهاب إلى وحداتهم لإعدادها وقيادتها. ولم تخفهم اجتماعات قادة الجيش برئاسة الفريق حسين فريد ، وقد شاهدها الضباط وهم فى طريقهم إلى وحداتهم .

إذن موعد ساعة الصفر قد تم إلغاؤه بعد تسرب خبر الثورة . وأصبحت الأوامر الجديدة هى قيادة الوحدات والخروج بها من معسكراتها فورا.

وإنى من بين الضباط الذين يعرفون قدر يوسف صديق، ولا ينكرون عليه شجاعته وشخصيته القوية والمحببة، ولكن ليس فى قول الحقيقة أى انتقاص من قدره .

لقد تحرك يوسف صديق بمقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة من معسكر هاكستيب فى تمام الساعة ١٢.٣٠ بعد منتصف ليلة ٢٢ يوليو. وعند بوابة المعسكر الحديدية وبحراستها المشددة وبمحاصرة ٨٠ جنديًا من البوليس الحربى بقيادة الأميرالاى مكى ، كانت وحدة من مدفعية الفرقة المشاة بقيادة اليوزباشى محسن عبد الخالق واليوزباشى عبد الستار أمين مشتبكة بالنيران . وقد تمكنت من الاستيلاء على البوابة وفتحها لوحدة يوسف منصور. وخلفها مباشرة كانت آلايات مدفعية ميدان الفرقة ، مشاة بكاملها ، فى الطريق إلى مصر الجديدة ، كما كانت وحدات المدافع المضادة للدبابات، قد احتلت مواقعها لحماية التحرك.

وعند الوصول إلى قصر السلطانة ملك – مصر الجديدة – كانت تتحرك أمامنا قادمة من ألماظة وحدات مدفعية ميدان الفرقة المدرعة بألماظة.

هذه هى الصورة الحقيقية ، وبعض شهودها ما زالوا على قيد الحياة.

أما عن الهجوم على القيادة ، فكان مكلفا به – حسب الخطة – مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة المحملة على مجنزرات مدافع البرن « المشاة الميكانيكية الآن » . ويذكر هنا أن يوسف منصور لم يتمكن من اقتحام بوابة القيادة الحديدية بحراستها المكثفة .

وعندها طلب عبد الناصر وعبد الحكيم عامر المعونة من سلاح الفرسان المواجه للقيادة العامة ، فاقتحم ملازم أول فاروق الأنصارى البوابة بعربته المدرعة ، وفتح الطريق أمام يوسف منصور. « قتل جندى من وحدة حرس القيادة». أما الهجوم على مكتب الفريق حسين فريد رئيس أركان الجيش وقادته ، فقد قاده يوسف منصور ومعه عبد الحكيم عامر الذى رمى بنفسه على باب الحجرة ، ومعهما الضابط إسماعيل الشريف ومحمود حسنى عبد القادر ، ويقال أيضا الملازم أو ل محمود عباس.

وعلى ذلك فالمقولة التى روج لها البعض غير صحيحة تمامًا. والحقيقة أن الذى أنقذ الثورة هو إصرار ضباطها على القيام بها ، رغم علمهم بتسرب أنبائها إلى السراى.

ويحضرنى هنا واقعة .. فقد اتصل حيدر باشا تليفونيا برئاسة المدفعية وطلب قائدها حسين باشا محمود .. فرد عليه اليوزباشى محمد أبو الفضل الجيزاوى منتحلا شخصية حسين محمود .. وطمأن حيدر باشا على الموقف وأن الحالة هادئة بعد القبض على الضباط الذين أثاروا بعض المشكلات واتصل حيدر باشا أكثر من مرة .

وفى آخر هذه الاتصالات ، طلب حيدر باشا « أمارة » من حسين محمود، فرد محمد أبو الفضل « بأمارة خروف العيد » . ثم أردف يا باشا بلغ الملك بأن الثورة قامت وتم الاستيلاء على القاهرة.

نقطة أخيرة .. وهى أن حزب الوفد، يثلج صدره دائمًا ويفرحة بأن ثورة يوليو هى حركة أو انقلاب وأن الثورة هى ثورة ١٩ فقط.

لا أحد ينكر – وأنا منهم – فضل ثورة ١٩ . كما لا أحد ينكر أيضًا ما قامت به مصر من ثورات عظيمة أخرى على مدى تاريخها.

وفى تاريخها القريب : ثورة عرابى ، ثورة مصطفى كامل السلمية الصامتة ، والتى أسميها ثورة البعث الوطنى الحديث، ثورة ١٩ ثم ثورة يوليو ٥٢.

وقد آن لنا أن ننهى هذه الجدلية والسفسطائية حول التسمية ، نحتكم إلى التعريف السلمى .

* الانقلاب : هو صراع مع السلطة بقصد إسقاطها وإحداث تغيرات جذرية .

ومن هنا فقد استعيرت مثلا ، كملة ثورة على الثورة الصناعية لما أحدثته من تغييرات جذرية فى المجتمعات .

النقطة الثانية : قضية الديمقراطية :

وهى إحدى المبادئ الستة التى قامت عليها الثورة ، وانعقدت عليها إرادة ثوارها وقادة تشكيلاتها ورموزها والواعين منهم . وهنا اختلف مع الكاتب الكبير أحمد حمروش فى تفسيراته وتخريجاته التى تتأثر دائمًا بنظرته الأيديولوجية.

إن الإصطدام مع مجلس قيادة الثورة حول هذه المسألة لم يكن فقط فى مارس ٥٤ والذى قاده سلاح الفرسان . فقد سبقه سلاح المدفعية فى أواخر عام ٥٢ واعتقال رموزه فى ٤/٥ يناير ٥٣. فقد وضع مندوبو السلاح مشروعًا متكاملاً لفترة الانتقال والتى حددت ١-٣ سنوات. وهو مشروع متعدد النقاط ولا محل لذكره.

وقد حكم على اثنين من رموز حركة المدفعية بالإعدام وخفف الحكم إلى السجن ٢٥ سنة و ١٥ سنة. وكاد يحدث اشتباك مسلح فى اليوم التالى للاعتقال حينما اجتمع حوالى ٦٠٠ من ضباط المدفعية لمواجهة القيادة .. وهذا موضوع يطول شرحه.

وقد كدنا نحصل على الديمقراطية بعد إعلان مجلس الثورة فى مارس ٥٤، لو تحلينا بالصبر والبصيرة والحكمة فى هذه الأوقات المتوترة .

فقد خرجت جريدة المصرى - ذات الشعبية الجارفة - بمقالات الأستاذ الكبير أحمد أبو الفتح تهاجم الثورة والضباط بلا تمييز أو تفرقة ، مما أثار حفيظتهم . وقد ذهب إليه محسن عبد الخالق- دون سابق معرفة - يرجوه أن يخفف من حدة كلماته ، وأن ينهج أسلوبا أكثر حكمة وتعقلاً . وأن من الأوفق أن يتخذ موقفًا يدعو إلى : أنه طالما أن الثورة قد أعلنت عودة الديمقراطية ، فقد زال الخلاف بيننا ، وعلينا أن نتكاتف لتحقيق هذه الغاية النبيلة .

ووافق الأستاذ أبو الفتح ، ولكن أتت مقالته بعد المقابلة مباشرة ، عنيفة ونارية وهاجم الضباط بصفة عامة ، وخلع عنهم المعرفة بأصول السياسية والإحساس بالوطن ومتطلبات الوطنية . وسافر بعدها إلى بيروت .. ولم يعد ...

وقد ذكر محسن عبد الخالق فى السبعينيات فى منزل الأستاذ كامل دياب. كيف أنه بمقالاته قد أضعف موقف الضباط المطالبين بالديمقراطية وكانوا الكثرة والذين كانوا بمقدرتهم إلزام مجلس الثورة بالقرارات التى أصدرها .

وكذلك فعل إحسان عبد القدروس فى روز اليوسف . وعمر عمر نقيب المحامين فى خطبته الشهيرة ، التى هاجم فيها الثورة وضباطها بأعنف ما يكون الهجوم .

كل هذا ، أضعف تماما موقف الكتل الديمقراطية فى الجيش، التى أنسحبت من اجتماع البهو الفرعونى . ومن ثم انتصر الرأى الداعى إلى العودة عن القرارات التى أصدرها مجلس الثورة ، ومن ثم انفتح الباب واسعا أمام الحكم الديكتاتورى.

نحن فى أشد الحاجة الآن إلى المنهج والأسلوب اللذين تكتب بهما ثورة يوليو مع عدم الإنزلاق إلى أن عرض بعض أحداث الثورة هو تاريخها.

عندى فى مكتبتى ما يزيد على المائة كتاب بين مذكرات وروايات واجتهادات ، وكل واحد منها يعتبر كاتبها أنه يؤرخ للثورة.

فمثلاً : لأنور السادات نفسه أربعة كتب . صفحات مجهولة – هذا عمك جمال – قصة الثورة كاملة – البحث عن الذات. والدارس يجد تناقضًا واضحًا فيما احتواه كل من هذه الكتب الأربعة . ولكن ليس صعبا مع هذا ، أن تكتشف الحقيقة وتستقرئها وتستنبطها. وغير ذلك كثير .

أمامنا كم من الكتب أذكر منها كتب لثروت عكاشة– عبداللطيف بغدادى – أحمد حمروش – أنور السادات – عبد الفتاح أبو الفضل – حسين حمودة – جمال منصور – وجيه أباظة – خالد محيى الدين – أحمد كامل – سيد جاد – حسين عيد – رشاد كامل– عادل حمودة .. إلخ . غير الصحف والمجلات وهى مصدر من أهم المصادر فما هو إذن المنهج الذى تتبعه .. وهذا ما كنت أطمع فى أن أقرأه فيما كتبت.

وثورة يوليو تحتاج لكتابة تاريخها ، إلى جمع المادة التاريخية أولاً ، مما كتب عنها من كتب وصحف ودوريات ، مما كتب عنها من كتب وصحف ودوريات .. كذلك من أفواه من شاركوا فيها .. إذن فالجمع أولاً .. ثم التصنيف والتحقيق . بعدها تكون لدينا المادة التاريخية التى يعتمد عليها المؤرخون فى كتاباتهم. ويستند عليها الباحثون فى أبحاثهم خاصة طلبة الدراسات العليا فى الجامعات.

وهنا أناشد الأستاذ إبراهيم نافع أن يمد يد العون عن طريق مؤسسة الأهرام ومركز الدراسات الاستراتيجية ، بأن يتيح المكان وما يحتاجه هذا العمل الضخم من متطلبات . كما أدعو إلى تكوين مجلس أمناء يمثل فيه ضباط الثورة خاصة الأكاديميين منهم مع غيرهم من عقلاء الباحثين والمؤرخين . وهذا للقيام بمهمة محددة وهى الجمع والتصنيف والتبويب، لكى تترك هذ الذخيرة للمؤرخين والباحثين الذين يأتى دورهم بعد هذه المرحلة .

وأختتم قولى بأن أقول بأن هناك فرقًا بين الضباط الأحرار وبين ثوار يوليو . فالانتماء لحركة الضباط الأحرار ، لم يكن هذا فى حد ذاته ، حيث إن بعض هؤلاء الضباط تخلوا عن القيام بالثورة ليلة ٢٣ يوليو ٥٢.

وللعلم فثوار يوليو دون ذكر الأسماء الآن هم:

المشاة :

* اللواء الأول المشاة ١١ ضابطا.
* ك١ مدافع ماكينة (يوسف صديق) ١١ ضابطا.
* ك ١٣ بنادق مشاة ١٣ ضابط.
* اللواء السادس مشاة ٤ ضباط.
* اللواء السابع مشاة ٨ ضباط ٤٧ ضابط.

الفرسان:

* السيارات المدرعة ١٤ ضابطا.

* الدبابات ١٢ ضابطا.

* الوحدات الأخرى ١٠ ضباط ، ٣٦ ضابطا.

المدفعية :

* مدفعية الفرقة المدرعة .

* وحدات ألماظة الأخرى ٢١ ضابطا.

* مدفعية الفرقة المشاة هاكستيب ١١ ضابطا.

* رئاسة المدفعية ومركز التدريب والمدرسة ١٤ ضابطا ، ٤٦ ضابطا، سلاح الطيران ٤.

* مجموعة الاعتقالات ١٠.

* سلاح خدمة الجيش ١٦،٢ ضابطا، ١٤٤ ضابطا.

★ ★ ★

ماذا حدث ليلة ٢٢ يوليو ؟

مراد أحمد عبد العظيم
من الضباط الأحرار

السيد الاستاذ فاروق جويدة،،،

تحية طيبة وبعد،

قرأت مقالاتكم التاريخية المشوقة وكذلك قرأت مقالات الزملاء الأفاضل بخصوص ثورة ٢٣ يوليو وتساءلتم من يكتب التاريخ الحقيقى للثورة لأن من حق الشعب أن يعرف الدور الحقيقى لكل من قام بهذه الثورة إن حق الشعب أن يعرف ماذا فعلت الثورة هل حققت أغراضها التى قامت من أجلها أم أنها كانت خدعة خدعت بها الشعب والضباط الصغار لينفذوا الثورة ثم يستولوا على الحكم.

إننى أرى كما يرى بعض زملائى أنه لكى نكتب تاريخ الثورة الحقيقى:

- أولا: لابد لكل من اشترك أو عاون أو شاهد فى هذه الثورة

أن يدلى بشهادته لأن هذه الشهادة سنحاسب عنها يوم القيامة أمام الله سبحانه وتعالى الذى يقول ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه * والله بما تعملون عليم﴾.

– ثانيا: تجميع كل ما كتب عن الثورة باللغة العربية والأجنبية من كتب ومقالات وآراء.

– ثالثا: تشكيل لجنة محايدة تماما من كبار رجال الجامعات ومن رجال القانون والتاريخ ومن رجال الصحافة والفكر المحايدين.

– رابعا: يوجد فى رئاسة الجمهورية سجل كامل عن الثورة وعن الرجال الذين قاموا بالثورة ولقد تم عمل السجل فى أيام الرئيس السادات ولقد شكلت لجنة برئاسة المغفور له إن شاء الله مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار وهو من الضباط الأحرار وعضوية الوزير محمود الجيار، والوزير طعيمة، ولقد استدعيت إلى رئاسة الجمهورية وأدليت بشهادتى كاملة أمام هذه اللجنة وعلمت أن معظم الضباط الأحرار أدلوا بشهادتهم أمام هذه اللجنة ولا مانع من الاستعانة بها.

– خامسا: إننى أرى أن جريدة الأهرام فعلا هى الجهة الوحيدة التى تستطيع أن تتبين تاريخ الثورة وهذه ليست مجاملة ولكنها حقيقة وهذا رأيى ورأى بعض زملائى وذلك لما لها من قدرات على

إنجاز هذا العمل بصورة مشرفة ومحايدة وأمينة والله يوفقكم لهذا العمل الكبير.

* بالنسبة لمهمتى ودورى فى الثورة فلقد كنت مكلف باحتلال رئاسة الفرسان وتأمينها وإبلاغ ضابط عظيم الفرسان بقرار الثورة ومبادئها والغرض من القيام بها. ولقد حضر زميلى الملازم أول محمد فاروق توفيق وهو زميل فى الالاى الأول فرسان وأبلغنى أنه من الضباط الأحرار وأنه فى خلية البكباشى حسين الشافعى ومعهم ثروت عكاشة وخالد محيى الدين وعرض على أن انضم للضباط الأحرار للقيام بثورة تصلح أحوال البلاد من الفساد والرشوة وعرض على مبادئ الثورة وكان ذلك بعد صلاة العصر يوم الأربعاء ٢٢ يوليو وقبلت فورا وانضممت للضباط الأحرار وقلت بلغ البكباشى حسين الشافعى انضمامى للأحرار وبعد ذلك قال لى يقول لك حسين الشافعى إن مهمتك هى احتلال رئاسة السلاح وتأمينها، والتحفظ على رئيسه وسيمر عليك لتأكيد المهمة، بعد قليل مر علىَّ الصاغ عثمان فوزى وأكد علىَّ المهمة وقال سيمر عليك حسين الشافعى ليؤكد لك المهمة ولكن نفذ الآن مهمتك وفعلا جمعت كل صف وجنود وفتحت مخازن السلاح والذخيرة وسلمت لكل صف وجنود سلاحه وذخيرته، وخوذته وتسلمت سلاحى الشخصى ولبست خوذتى وتوجهنا إلى رئاسة الفرسان قبل المغرب مشيا على الأقدام، وقبل أن

أقوم بأى احتلال لرئاسة السلاح أوقفت الطابور وتوجهت إلى حجرة ضابط عظيم السلاح اليوزباشى محمد صلاح الدين العيداروس، وأعطيت تمام وقلت لضابط عظيم السلاح: «تمام يا أفندم ستقوم ثورة يقوم بها الضباط الأحرار لتطهير البلاد من الفساد والرشوة وأبلغته المبادئ الستة للثورة وسيحضر بعد قليل البكباشى حسين الشافعى لابلاغك بتفاصيل الثورة، وأنا انضممت للضباط الأحرار». فقال لى على الفور: «وأنا أول الضباط الأحرار».

وكان اليوزباشى محمد صلاح الدين رجل شرقاوى شجاع، ومن أبطال حرب فلسطين ومدرس فى مدرسة المدرعات قلت له بعد إذنك سأحتل رئاسة السلاح وأقوم بتأمينها وغلق باب مدير السلاح وتأمينه. فقال: من الذى أعطاك هذه الأوامر، قلت البكباشى حسين الشافعى أرسل لى الصاغ عثمان فوزى والملازم أول محمد فاروق توفيق وقال نفذ التعليمات وقمت فورا بتوزيع الصف والجنود على الأماكن الحيوية فى رئاسة الفرسان ووضعت مدافع البرنات فوق سطح الرئاسة المواجه بخاصة لرئاسة الجيش (القيادة العامة) وأغلقت باب مدير السلاح ووضعت خلفه حراسة مشددة وبعد ذلك أعطيت تمام الاحتلال والتأمين لضابط عظيم السلاح فشكرني على المجهود الذى قمت به وقال لى سأترك غرفة ضابط عظيم السلاح وانتقل إلى حجرة مدير السلاح، وستكون معى فى حجرة مدير السلاح. واعتبرني من الآن مدير السلاح وأنت نائبى.

(لاحظت أثناء مروري على الصف والجنود أن عربات كثيرة تحمل أعلاما تدخل إدارة الجيش (القيادة) فأبلغت ضابط عظيم السلاح بذلك وقلت له إن هناك اجتماع كبير في إدارة الجيش).

وانتقل ضابط عظيم السلاح إلى حجرة مدير السلاح وجلس على مكتب مدير السلاح، وجلست أمامه قال لي: إحنا في ثورة وأنا ضابط عظيم السلاح يعني أمثل مدير السلاح وأنا الآن مدير السلاح بالفعل لأنني في ثورة وأنت نائب مدير السلاح، وجلس يتحدث عن الآمال والإصلاحات التي ستقوم بها الثورة والقضاء على الفساد والاقطاع وقال لي هل أنت نويتجي الالاى قلت أنا لم أكن نوبتجي ولكن جاءني الضابط النوبتجي بعد أن علم أن هناك حدث سيحدث ورجاني أن أغير النوبتجية معه فقبلت أن أكون نوبتجي وأنا أعلم أن الثورة ستقوم هذه الليلة وبدلنا النوبتجية في دفتر الأوامر لأكون أنا المسئول عن هذه الليلة.. وكان المفروض أن يكون معنا اثنين من الضباط الأحرار علاوة على الملازم أول محمد فاروق توفيق ولكن للأسف لم يتعاون معي غير الملازم محمد فاروق توفيق أما الضابطين المفروض أن يكونا معنا للأسف تركونا ولم نرهم إلا في الصباح، وللأسف أصبح لهم شأن بعد ذلك.. وبينما نحن في رئاسة الفرسان نتحدث عن مقالات احسان عبد القدوس عن الأسلحة الفاسدة ومقالات أحمد حسين الوطنية، جاء ضابطين برتبة صاغ

(رائد) وقالوا لنا: «بكرة نتفرج عليكم وانتو بتنضربوا بالرصاص، لاتسمعوا لكلام شوية عيال» وانصرفوا.. وجاءوا فى الصباح أيضا.. وأصبحوا بعد ذلك فى مناصب كبيرة يشار إليهم بالوطنية والاخلاص للثورة.

وبعد انصراف هؤلاء الرواد رن جرس التليفون فقال لى اليوزباشى رد على التليفون يا مراد قلت له سيادتك رد لأنه جايز يكون البكباشى حسين الشافعى أو الصاغ ثروت عكاشة. فرد اليوزباشى صلاح على التليفون وتغير لون وجهه وقال حاضر يا سعادة الباشا وقال له اسمى فلان، وضع السماعة وقال لى تعرف مين اللى كلمنى قلت مين يا فندم، قال سعادة الباشا اللواء حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش وهو يطلب منى بصفتى ضابط عظيم السلاح أن يخرج اللواء المدرع أمام إدارة الجيش وأقدم رتبة فى اللواء يعطى تمام لسعادة الباشا قال أذهب فورا بلغ البكباشى حسين الشافعى ما حدث ويلغه أن يحضر أمام رئاسة الفرسان لاتكلم معه فى بعض المواضيع الهامة. قلت حاضر يا فندم وأسرعت لتبليغ البكباشى حسين الشافعى ما حدث، وبينما أنا أجرى بالخطوة السريعة وبينما أنا أهم للدخول باب الالاى الأول لاحظت عربية صغيرة تمشى ببطء شديد وأصوات تقول الحقوا قائد اللواء المدرع حسن بك حشمت فدخلت مسرعا إلى الالاى الأول حيث كان ينتظرني

الصاغ عثمان فوزى ضابط الاتصال بينى وبين السيد حسين الشافعى فقلت للصاغ عثمان فوزى بلغ حسين الشافعى قائد اللواء المدرع حسن بك حشمت، دخل من بوابة الأفراد وأنا شايف عربيته الملكى وأبلغته بمكالمة رئيس هيئة أركان حرب الجيش وبالاجتماع الموجود فى إدارة الجيش فانزعج الصاغ عثمان وظهر على وجهه الخوف وقال يا خبر أسود.. أرجوك يا مراد أن تقف أمام عربية قائد اللواء ومنعه من دخوله للمدرعات وإلا ضعنا كلنا قلت له اطمئن يا فندم سأوقفه بكل الطرق إن شاء الله ولو اضطرت لإطلاق الرصاص على كوتش السيارة، قال سأذهب فورا لأبلغ حسين الشافعى وثروت عكاشة بالموقف وقال لى كن شجاع يا مراد وأثبت أمامه ولا تخف (وكان سيادته يرتعد من الخوف)، وانطلق بأقصى سرعة بسيارته الجيب، وتركنى بمفردى لأواجه موقف من أصعب المواقف فى حياتى، كيف أواجه قائد اللواء المدرع الذى كانوا يسمونه مرعب المدرعات، كان رجلا صارما حازما ذو شخصية قوية للغاية، كيف أواجه هذا القائد العظيم وأنا الضابط الصغير.

استعنت بالله سبحانه وتعالى وقلت كن معى يا رب العالمين، وصل قائد اللواء بسيارته من الباب الخلفى للآلاى الأول.. وكنت واقف فى منتصف الآلاى وعندما شاهدته أسرعت ووقفت أمام السيارة، فأوقف السيارة وقل لى: «يا حضرة الضابط إيه اللبس اللى انت لابسه.. هو فيه أيه».

كنت أرتدى لبس الفروسية والخوذة فوق رأسى وطبنجتين (مسدسين) فى الجانب الأيمن والأيسر قلت فيه طوارئ ووصلتنى اشارة من رئاسة الفرسان بأن اليوم طوارئ.. قال إزاى يكون فيه طوارئ وأنا لا أعلم بها أنت عارف أنا مين، قلت يا فندم اتفضل انزل شوف دفتر الإشارات، قال لى أنا مش حأنزل روح هات دفتر الاشارات.. وفى هذا الوقت حضر زميلى الملازم أول محمد فاروق توفيق فالتفت إلى وتركنى وصاح أنتو ضباط لم تتعلموا شيئا.. وفى هذا الوقت حضر مسرعا البكباشى حسين الشافعى ثم بعد قليل جاء الصاغ ثروت عكاشة ومعه عبد الفتاح على أحمد ثم الزميل حسين الدمنهورى والزميل عبد الغفور العرابى وممدوح شوقى.. فنزل من عربته وقال : انتوا يا حضرات الضباط بتعرضوا أنفسكم للإعدام بالرصاص.. شوية عيال ضحكوا عليكم وحيهربوا وأنتو اللى تعدموا، وحترملوا زوجاتكم، وتيتموا أطفالكم الإنجليز على بعد ٥٠ كم من هنا.. الأعمال اللى بتعملوها أعمال عيال أنت يا حسين راجل متدين وتعرف ربنا ليه تعمل حاجات تغضب ربنا انتو حلفتوا اليمين تكونوا مخلصين لله ثم للوطن ثم للملك، ليه تعملوا كده وأنت يا ثروت أبوك راجل عسكرى وأنت راجل مثقف ومعروف عنك العقل والاتزان والاستقامة ليه تعمل حاجة حتضيع نفسك وتضيع بلدك وأنتو يا حضرات الضباط الأعمال اللى بتعملوها تتنافى مع الضبط وانتوا حتضيعوا أنفسكم وتضيعوا بلدكم. أرجعوا إلى عقولكم وبلاش «لعب

العيال» تكلم حسين الشافعى وقال إحنا مستعدين نضحى بأرواحنا فى سبيل بلدنا.. لابد من الإصلاح والقضاء على الفساد فى الجيش والحكومة وتدخل ثروت عكاشة وقال لا داعى للكلام يا حسين مفيش وقت وقال لقائد اللواء المدرع اتفضل سيادتك اركب العربة الجيب. وركب سيادته العربة الجيب فى المقعد الخلفى وجواره اليوزباشى عبد الفتاح على أحمد وقفز ثروت عكاشة على مقعد القيادة وبجواره حسين الشافعى حاول ثروت عكاشة أن يسير بالسيارة ولكنها توقفت وكنت واقف بجانبه فقال لى حاول أن تصلح السيارة. ونزلوا جميعا من السيارة لتفقد مهمة قائد اللواء المدرع بالخطوة العسكرية وخلفه حسين الشافعى وثروت عكاشة وعبد الفتاح على أحمد. واستطعت اصلاح العربة الجيب ولحقت بهم فركبوا جميعا السيارة وقال لى حسن الشافعى سأحضر أنا وثروت عندك بعد قليل انتظرنا فى الآلاى. تحفظت على العربة الملاكى لقائد اللواء وقفلت الأبواب واحتفظت بالمفتاح وعينت على العربة حرس، وبعد قليل جاء حسين الشافعى وثروت وكنت بانتظارهم بالآلاى الأول فقال لى حسين الشافعى اشرح لى بالتفصيل ماذا فعلت وماذا حدث فى رئاسة الفرسان، فشرحت له ما قمت به من احتلال الرئاسة وتبليغى بقرار الثورة لضابط عظيم وترحيبه وانضمامه للضباط الأحرار وبلغته بمكالمة رئيس هيئة أركان حرب الجيش ومطالبته بخروج اللواء المدرع

لحماية رئاسة الجيش، ويلغته باجتماع اللواءات فى ادارة الجيش. فقال يا مراد تعال معنا إلى رئاسة الفرسان. وترك عربة الجيب وسرنا حسين الشافعى وثروث عكاشة وأنا سيرا على الأقدام إلى رئاسة الفرسان وتقدم حسين الشافعى ودخل حجرة ضابط عظيم فقلت له يا فندم اليوزباشى صلاح العيداروسى فى حجرة مدير السلاح لأنه هذا اليوم مدير السلاح وأنا نائبه فضحك حسين الشافعى وتوجهنا إلى حجرة مدير السلاح ودخل حسين الشافعى ومعه ثروت عكاشة وأنا واستمعوا إلى اليوزباشى محمد صلاح الدين وشرح لهم كل ما دار بينه وبين اللواء حسين باشا فريد وقرأنا الفاتحة لنكون مخلصين لله ثم للوطن، تذكرت وأنا مع السيد حسين الشافعى أننى تحفظت على رتبة كبيرة فى إحدى الغرف فقلت لحسين الشافعى يوجد فى إحدى غرف رئاسة السلاح فلان.. وتحفظت عليه حسب تعليمات سيادتك قال تعالى معى ودخلت الغرفة فوجده أحد زملاء دفعته فأفرج عنه وقال له اذهب فورا إلى بيتك ثم أصبح هذا الشخص من المحظوظين.

قال لى حسين الشافعى أى شىء غير عادى بلغنى فورا. خللى بالك ستحضر قوات تهاجم إدارة الجيش عاونهم قدر المستطاع خللى بالك من الذخيرة. صوب الذخيرة لأعلى لعدم إصابة القوات المهاجمة. وأى اتصالات بالتليفون ابلغنى. قلت لقد عزلت السلاح عن

الاتصال الخارجى بعد قيام رئيس هيئة أركان الجيش. فقال خير ما فعلت قال من من الضباط معاك، قلت الملازم أول فاروق سيحدثنى فى كل شىء ولم يحضر من الالاى فرسان أحد سوى الملازم أول ، محمد فاروق توفيق الذى بلغنى بقرار الثورة، والصاغ عثمان فوزى الاى السيارات بلغنى بالمهمة حسب تعليماتكم، وانصرف السيد حسين الشافعى والصاغ ثروت عكاشة وبعد أن أوصوني باليقظة التامة.

كانت رئاسة الفرسان تواجه تماما بوابة رئاسة الجيش (القيادة) فى حوالى منتصف الليل تقريبا حضرت قوات برنجى مدافع ماكينة (الكتيبة الأولى مدافع ماكينة) وسمعت صوت عالى يقول ارقد استعد ثم سمعت صوت عالى للغاية يقول أنا البكباشى يوسف منصور صديق بكباشى من الجيش المصرى افتح البوابة، فى هذا الوقت كان اللواء حسين فريد باشا قد أمر بغلق البوابة والدفاع عن رئاسة الجيش. كرر البكباشى يوسف منصور صديق «افتح البوابة يا ابنى» رد صوت من إدارة الجيش سعادة الباشا أمر بغلق البوابة ولا أستطيع فتحها إلا بأوامر من سعادة الباشا، قال يوسف صديق للمرة الثالثة سأكرر عليك إذا لم تفتح البوابة فسنطلق عليكم الرصاص. قال أقدم شخص فى إدارة الجيش لن نستطيع فتح البوابة إلا بأوامر من سعادة الباشا، فى هذه اللحظة حدثت المعركة ودرات معركة كبيرة

بالرشاشات والبنادق والمدافع للمقتحمين (من ادارة الجيش وسمعت صراخ واستغاثات من إدارة الجيش وكذلك من القوات المقتحمة ابتدأ صف وجنود الفرسان يطلقون الرصاص فأمرتهم بالضرب لأعلى لعدم إصابة القوات المهاجمة كذلك امرت افراد المدافع الدنات تقلب اليدان لأعلى وساعدني الملازم أول محمد فاروق توفيق، واستطعت السيطرة على نيران قواتى ووجهتها لأعلى وذلك لعدم إصابة أفراد القوات المهاجمة أو أفراد رئاسة الجيش.

استمرت المعركة ربع ساعة تقريبا استطاعت القوات المهاجمة برئاسة البكباشي يوسف منصور صديق وبمعاونة عربات الفرسان المدرعة (ستاجهاوند) قيادة الملازم أول فاروق الأنصارى والملازم أول آمال المرصفى استطاعت هذه القوات ومتعاونة أن تقتحم إدارة الجيش (القيادة) وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل شجاعة البكباشي يوسف صديق وضباطه فتحت بوابة مدير السلاح وخرجت ودخلت خلف القوات الضخمة. صعد البطل البكباشي يوسف صديق إلى الدور الثاني ومعه الصاغ عبد الحكيم عامر مرتديا الملابس المدنية واليوزباشى عبد المجيد شديد والملازم إسماعيل طه الشريف والملازم أول مراد محمود عباسى والملازم حسنى عبد القادر والملازم أول محمد متولى غنيم والملازم أول صلاح جاد.

ونزل اللواء حسين فريد باشا وخلفه جميع القوات وساروا فى

طابور عسكرى وأديت التحية العسكرية للواء حسين فريد فنظر إلى مدة طويلة حيث كان لبسى ملفت للنظر نظرا لأننى الوحيد الذى كنت أرتدى لبس الفروسية وعلى رأسى خوذة وعلى كل جانب طبنجة كبيرة فرد على اللواء حسين فريد وكذلك باقى اللواءات التحية ثم اتجه الطابور العسكرى إلى الكلية الحربية تحت قيادة الرائد عبد الخالق أبو السبع.ثم ذهبت بعد ذلك وبلغت ضابط عظيم بنجاح الثورة واقتحام القوات المهاجمة بقيادة البطل الحقيقى يوسف منصور صديق وهذه شهادة شاهد شاف كل حاجة فى ليلة الثورة وأنا أشهد له بالشجاعة والبطولة والرجولة وكذلك أشهد للأبطال الذين كانوا معه وساعدوه فى الاقحتام، تعانقنا أنا واليوزباشى محمد صلاح الدين العيداروسى وصلينا ركعتين شكرا لله ثم قال لى اذهب وبلغ حسين الشافعى وثروت عكاشة فذهبت إلى الالاى الأول فرسان فوجدت الصاغ عثمان فوزى ضابط الاتصال فأبلغته بنجاح الثورة ونجاح الاقتحام وتعانقنا مرة أخرى وذهب مسرعا لتبليغ حسين الشافعى الذى حضر إلينا ومعه ثروت عكاشة ثم خرجنا من باب مدير السلاح وذهبت إلى إدارة الجيش وصعد حسين الشافعى وثروت إلى الدور الثاني حيث كان هناك البكباشى يوسف صديق وعبد الحكيم عامر ثم انضم لهم حسين الشافعى وثروت عكاشة ووقفت لحراسة إدارة الجيش وزملائى فاروق الأنصارى والمرصفى وأحمد فؤاد عبد

الحى واسماعيل طه الشريف ومحمد متولى غنيم ومحمود عباس وصلاح جاد ثم حضر بعد ذلك جمال عبد الناصر ومعه عبد اللطيف البغدادى ثم زكريا محيى الدين ثم توالى حضور أعضاء مجلس قيادة الثورة وحضر الرئيس محمد نجيب جميعا ثم حضر أخيرا الرئيس أنور السادات.

ظللت فترة مع زملائى فى إدارة الجيش (القيادة).

ثم ذهبت بعد ذلك إلى رئاسة الفرسان وظللت هناك حتى آذان الفجر ثم صلينا الفجر مع اليوزباشى محمد صلاح الدين العيداروسى وسجدنا سجدة شكر لله ودعونا الله أن يوفق أعضاء مجلس قيادة الثورة لما يحبه ويرضاه.

ثم فى الصباح ذهبت لوحدتى اللآلاى الأول فرسان، وخرجت لطابور الصباح ولم يعلم بدورى إلا قليل من زملائى لأننى لم أتكلم ولم أكتب أى شىء عن هذا الموضوع وتركت الذين لم يفعلوا شيئا يكتبون ويهللون لكى يصلوا إلى الكراسى والمناصب ووصلوا لكل شىء وفعلوا كل شىء.. ولكن الضباط الأحرار الأخيار الأمناء لم يصلوا لشىء لأنهم لم يفعلو الثورة إلا ابتغاء وجه الله ثم لصالح الوطن وهكذا نجد أن الضباط الأحرار منهم الأشرار ومنهم الأخيار الأمناء الذين ظلمهم الأشرار وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

والله على ما أقول شهيد.

★ ★ ★

هذا ما فعلته الثورة

محمد صلاح إبراهيم سعده
من الضباط الأحرار

السيد الإستاذ فاروق جويدة،،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد،،،

فإن ما دفعنى للكتابة فى المرة السابقة هو ملاحظاتى على حديث السيد/ زكريا محيى - معك - عن الموضوعات الأربعة. وإنى لأبعث إليك بصورة من بيان السيد/ زكريا محيى عن رفضه تولى رئاسة الجمهورية بعد تنحى جمال عبد الناصر.

وقد اعترضت على ما جاء بأسباب الرفض وقلت إنه لو كان قد أذاع البيان لما ذكر فيه إلا تمسك الشعب المصرى والشعب العربى عامة وزكريا نفسه بقيادة القائد القادر على الإمساك بزمام الأمور.

وبالبيان ما يؤكد على ما قلته فى رسالتى السابقة والتى تغاير ما جاء بالمقال المذكور ويؤيد اعتراضى ووجهة نظرى وصدق روايتى.

وأؤكد لك أن وجهة نظرى فى الأمور الأخرى ورواياتى لها أصدق من أية روايات أخرى تغايرها مهما كان قائلها سواء عن يوسف صديق أو محمد نجيب أو أنور السادات إذ إنه لا مصلحة لى ولا انحياز إلا للحق وللحقيقة.

ولأنى والحمد لله ما زلت أذكر وبالتحديد كل الأحداث فإنى أرانى مضطرا للعليق على ما جاء بحديثك بالأمس بتاريخ ١٩٩٩/٧/٤ وما جاء بحديث الأ خ العزيز أحمد حمروش. ومما يؤسف له أنكم لا تأخذون رواياتى بما تستحق نظرا لأنى لم أظهر على سطح أحداث الثورة، ولا تعرفون عنى شيئا لدرجة أن الأستاذ محمود مر اد ذكر فى موضعين أنه فى يوم عزل فاروق فى ٢٦ يوليو وبالإسكندرية تعرف على صلاحين صلاح نصر وصلاح سعده أما عن صلاح نصر فهو يعرف عنه كل شىء وأما صلاح سعده فإنه لا يعرف عنه أى شىء. ورغم أن عندى الكثير والكثير وذاكرتى والحمد لله لم تشبها شائبة فإنى لم أكتب مذكرات ولم أدلى بأحاديث لأن الناس لا تلتفت إلا لأحاديث المشاهير – ولست منهم.

إن الذى قام بثورة يوليو – كما جاء بالقرار الجمهورى – الذى أصدره الرئيس السادات فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٧٢ هم المجموعة رقم ١ من الضباط الأحرار وعددها تسعة وتسعون ضابطا. أما المجموعة الثانية والثالثة التى انضمت وأصبحت – المجموعة رقم ٢ كما جاء بالقرار الجمهورى فتتألف من حوالى مائتى ضابط لم تشارك أحد منهم فى أحداث ليلة ٢٣ يوليو ٥٢ ولكنهم جميعا – الأولى والثانية ضباط أحرار. فهناك فرق بين المجموعة رقم ١ التى أحدثت التغيير وبين المجموعة الثانية التى لم نشارك كما أن هناك فرق بين ضباط المجموعة الأولى التى قامت ونفذت

سلاح المشاة هو عصب القوات المسلحة وهو أكثر من ثلاثة أرباع القوات المسلحة من مدفعية ومدرعات وقوات جوية وأسلحة إدارية.

اشترك من هذا السلاح – المشاة – فى الثورة (١) الكتيبة ١٣ مشاه بكاملها وبقيادة أحد عشر ضابطا من الـ ٩٩ (المجموعة الأولى).

(٢) قوة معاونة هى مقدمة كتيبة مدافع الماكينة بقيادة البكباشى يوسف منصور صديق من ستين جنديًّا مسلحين بالبنادق لهم مهام خاصة غير قتالية كما ذكرنا سابقًا.

وقد جاء فى حديث ابن المرحوم يوسف منصور صديق المنشور بالأهرام أن قوة والده كانت مقدمة كتيبة مدافع الماكينة - كما ذكرت أنا.

ومعروف لدى العسكريين مهام مقدمة الكتيبة وتسليحها.

وهذا لا يقلل أبدًا من شجاعة يوسف منصور هو وضباطه وجنوده بل إنه قد يفوق شجاعة القوة المسلحة تسليحا قويًا ومدربة تدريبًا راقيًا تعتمد عليه. إنما للحقيقة والتاريخ نذكر الحقائق ولا ننحاز إلا للحق والحقيقة، ولهذا نؤكد أن القوة الرئيسية المكلفة بإدارة الجيش كانت سرية مشاة من الكتيبة ١٣ مشاة - كتيبة التحرير - بقيادة اليوزباشى عمر محمود على وتم اقتحام إدارة الجيش تحت قيادة أقدم ضابط كما تقضى بذلك القواعد العسكرية وبعد أن توحدت القوتان بمعرفة عبد الحكيم عامر الذى كان متواجدًا رفض الاشتباك الذى كاد يحدث بين القوتين.

واستشهد على روايتى بالسادة زكريا محيى الدين والأخ جمال حماد والأخ عمر محمود على أطال الله بقاءهم - هذا إن كنتم تريدون الحقيقة.

ورغم أننا جميعًا أحرار - من شاركوا ومن لم يشاركوا

فإننا أبناء الكتيبة ١٣ مشاه – كتيبة التحرير نفخر ونعتز بدورنا – وندافع عنه للحقيقة والتاريخ، لله والوطن.

وأذكر أنه ألحق على الكتيبة ليلة ٢٣ يوليو اثنان من الضباط هما الأخوان جمال حماد – المؤرخ العسكرى – والمرحوم جمال القاضى.

وكان قائد الكتيبة للثورة هو المرحوم صلاح نصر وكان جمال حماد أقدم منه ولكن لم يكن له دور قيادى أو تنفيذى ومع ذلك عندما سجلوا أسماء الضباط الأحرار – كما جاء بالقرار الجمهورى – كان ضباط الكتيبة ١٣ هم العلامة البارزة فى الضباط الأحرار فوضعوا على رأس القائمة وبالأقدمية المطلقة فجاء جمال حماد رقم ١، صلاح نصر – القائد رقم ٢، صلاح سعده رقم ٣، عمر محمود على رقم ٤، جمال القاضى رقم ٥، محمد نهاد منير رقم ٦، سعيد حليم رقم ٧، محمد السيد عفيفى رقم ٨، محمد على كامل رقم ٩، أحمد فؤاد عبد الحى رقم ١٠، مصطفى عبد الباقى أبو القاسم رقم ١١. كتيبة كاملة نظمها وأعدها صلاح نصر وصلاح سعده وقادها للنصر صلاح نصر الذى عين بعد ذلك مديرا لمكتب القائد العام ثم مديرا للمخابرات العامة كما عين عمر محمود على نائبا لمدير المخابرات العامة

وسعيد حليم مديرا لمكتب زكريا محيى الدين ثم سفيرا كما عين أحمد فؤاد عبد الحى سفيرا وذلك فى فترات لاحقه.

أنا عملت قائدا للحرس الجمهورى قبل وبعد العدوان الثلاثى (ناصر ٥٦) ثم قدمت استقالتى ورشحت لانتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ ورغم أنه أقفلت دوائر عددها ٧٢ نجحوا بالتزكية مدنيين وعسكريين إلا أننى لم أكن منهم وخضت انتخابات وإعادة فزت فيها عن دائرة سنباط مركز زفتى. وكانت مواقفى كلها من أولها إلى آخرها – قبل الثورة وأثناءها حُرَّةً شامخة حجبت عنى بريق مسرح الأحداث.

الأخ الأستاذ فاروق جويدة المحترم :

القول بأن الثورة لم تكن تحمل أفكارا واضحة منذ البداية قول يجافى الحقيقة، حقيقة أن الثوار كانوا متفاوتين فى مكوناتهم الفكرية والاجتماعية والإنسانية كما سميتموها. أعود وأقول إن هناك فروقا بين ضابط حر من المجموعة الأولى التى قامت بالثورة وبين ضابط حر لم يستدعى للمشاركة ولم يشترك. كما أن هناك فروقًا بين مجموعة ضباط الكتيبة ١٣ مشاه – كتيبة التحرير.

والقول بأن مطالب الضباط الأحرار ربما كانت لن تتجاوز

حدود إصلاح الأوضاع فى الجيش وتحسين مستوى العاملين فيه - هو قول خاطئ ومهين للضباط الأحرار وغير مقبول فإن ما قام به الضباط الأحرار لا تساويه كنوز الدنيا.... وقطعا فإن السيد / زكريا محيى الدين لم يقصد ذلك بقوله إن قبول الملك لمطالب الضباط كان يغرينا بمطالب أخرى.

فلم يمض إلا يوم واحد لا اثنين على قيام الثورة حتى عُزل الملك فكان مفروضًا أن يعزل يوم ٢٥ لولا أن القوات التى تحركت من القاهرة إلى الإسكندرية فجر ٢٥ يوليو لم تصل إلا مساء وبذلك تأجل تنازل الملك وسفره ليوم ٢٦ يوليو والثورة قامت ٢٣ يوليو وصدرت الأوامر بالإعداد لتحرك القوات يوم ٢٤ يوليو لتتحرك فجر ٢٥ يوليو. فكان شيء كان معدا ومرتبا ومخططا بعكس ما تقول به الأفكار التى تريد أن تنال من الثورة والثوار.

وقانون الإصلاح الزراعى - حجر الزاوية - فى التحول الاجتماعى صدر فى ٩ سبتمبر أى بعد شهر ونصف من قيام الثورة بما فى ذلك الاتصالات والدراسات والاستعداد لإصدار القانون أمام معارضة الرجعية وأذناب الاستعمار. وبعد فهل علمت يا أستاذى الجليل أن هذا القول لا أساس له ولا سند. وكان

أول مبادئ الثورة المعلنة هى القضاء على الاستعمار وأعوانه وكان الاستعمار وجلاء المستعمر هى القضية الأولى لكل مصرى – تقريبًا – خلال أكثر من سبعين عاما من الاحتلال البريطانى لدرجة أن حافظ إبراهيم شاعر النيل قال :

والله مَادون الجلاء ويومه يوم تسميه الكنانة عيدا

ومع ذلك فإنكم ألغيتم هذا العيد لدرجة أن جريدة الأهرام وغيرها لم تكتب كلمة واحدة تخليدا لهذا اليوم أو تذكيرا بأنه كان هناك استعمار بريطانى لمصر دام أكثر من سبعين عاما ولم يستطع زعماء مصر ودهاقنة السياسة أن يخرجوا المستعمر رغم ثورة ١٩ بل إنهم ظلوا يتناوبون الحكم بأمر المحتل الغاصب وعلى أسنة حرابه وكان كل همهم هو الحكم ومغانمه.

ولما تم الجلاء بواسطة الثوار وكان المفروض أن يشيدوا بإنجازهم الذى عجزوا عنه ولكنهم يهاجمون الثورة والثوار وكأنهم كانوا يريدون بقاء الاستعمار إعمالاً للمقولة المشهورة أن الإحتلال على يد.... خير من الاستقلال على يد...... والعياذ بالله.

هؤلاء الذين يناصبون الثورة العداء هم أعوان الاستعمار الذين لم تقض الثورة عليهم لأنها ثورة رحيمة.

ولو فعلت عشر معشار ما فعلت الثورة الفرنسية لما بقى من يقول ما يقال الآن ولما أطلت رءوس أعوان الاستعمار والثورة المضادة ولا تنس يا أخى ما قاله أحد زعماء ما قبل الثورة لأحد الصحفيين من أن الغوغاء هم الذين يريدون الجلاء.

ولا تنس يا أخى البرقية التى أرسلها أحد الزعماء للملك فاروق تأييدًا له بعد أن غادر البلاد وهو فى عرض البحر بلا رجعة.

ألا تعلم ذلك وأن الثورة لم تعاقبه على ذلك لا هو ولا أهْله. فكان ما يحدث وما يقال هو جزاؤها على عدم نصب المشانق والجيلوتين لأعوان الاستعمار والرجعية وأعداء التحول الاجتماعى والذين أضيروا على طريق العدالة الاجتماعية وإنصاف أهل الفقر من أهل الغِنَى ولأن الكل فى حق الحياة سواء وأنه ليس مسلما من بات شبعانا وجاره جائع. ورحم الله عبد اللطيف البغدادى الذى قال إن أعظم ما عمله هو توصيل المياه النقية إلى الريف.

والتعليم الذى قال عنه طه حسين أنه كالماء والهواء جعله الثوار كالماء والهواء وكهربة الريف وقد لا تعلم أن ذلك تم بواسطة قرض تشيكى فهكذا كانت تستثمر القروض بعكس ما

يحدث اليوم. وبذلك أصبح الريف وأهله يحيون كما يحيى أهل المدن وفى القرية اليوم مدارس ابتدائية وإعدادية وجامعة فى كل محافظة على مرمى البصر من كل القرى.

وأصبح المتعلمون يشكلون هرما يملأ ربوع الأمة العربية ويدر عليها مع قناة السويس تحويلات بمليارات الجنيهات سنويا مما جعل من مصر دولة بحق وحقيق بعد أن كانت مستعمرة بريطانية تستورد الجوارت والقمصان وأمثالها من بريطانيا العظمى. والصناعة التى انتشرت والقاعدة الصناعية التى وضعت ونمت وترعرعت والكوادر التى تكونت.

كل ذلك وأكثر منه مما يصعب حصره.

والسد العالى الذى هاجموه حتى أننى طالبت بهدمه لأنى أحب السردين الذى امتنع ببناء السد ولتخرب مصر إذا جاء فيضان عالى ولتخرب مصر إذا انحسر الفيضان وشحت المياه وأصاب مصر الجفاف لا قدر الله.

كانت كل خطة عرش قبل الثورة تقول - وستعمل حكومتى على مقاومة الحفاء - فقد كانت مصر دولة الحفاء ودولة الفقر والجهل والمرض. ودولة الديمقراطية فى القرية الآن أطباء ومهندسون وصيادلة ومحامون ووحدات صحية وكان الأطفال

يموتون بنسبة هائلة فى سنى حياتهم الأولى لعدم الرعاية الصحية، أما الآن وبعد كل ما توفر فقد امتنع ذلك وأصبحت الحياة السعيدة ترفرف عليهم، كهرباء ومياه شرب نقية وتليفزيونات وبوتاجازات وثلاجات وتليفونات. كل هذا فى القرية المصرية بعد أن كانت سبة فى جبين الوطن. وأن الثورة والتحول الاجتماعى قد فتحت الباب لكل هذه الانطلاقات الحالية والمستقبلية بإذن الله لأن مصر الثورة وضعت الأساس وأزالت العوائق التى كانت تعيق التقدم والانطلاق.

الأخ الأستاذ فاروق :

أظنك قرأت فى الأهرام حديث الإيريانى رئيس وزراء اليمن الذى قال :

– إن اليمن هبة مصر –... مصر الثورة طبعا.

ومثل هذا القول قاله بوتفليقة رئيس الجزائر للرئيس حسنى مبارك:

فالجزائر – هبة مصر – مصر الثورة

ومصر الحاضر هبة مصر الثورة

والعالم العربى الذى تحرر من المحيط إلى الخليج هبة الثورة.

ماذا يريد أعداء الثورة:

هل يريدون عودة إلى ما قبلها ؟؟

كم مصريا أعدمتهم الثورة – وهى ثورة اجتماعية.

وكم مصريا أعدمتهم مصر فى عام ١٩٩٩ الذى لم ينته وبلا ثورة.

كم معتقلاً اعتقلتهم الثورة وكم هم المعتقلون اليوم.

ولماذا لا تتحدثون عن الـ ١٥٣٦ الذى اعتقلهم السادات وهم رموز مصر من اليمين واليسار والوسط مسلمين وأقباط، وهل ذلك لأن هذا العهد امتداد للسادات وحزبه ورجاله ؟

الأخ الأستاذ فاروق :

وأعلق على قول الأخ العزيز أحمد حمروش وهو صديق ما كنت أحب أن أختلف معه فى قوله إن هناك إجماعًا على أن قوات البكباش يوسف منصور صديق هى التى حسمت المسألة باستيلائها على القيادة... وأقول إن قوة سرية من الكتيبة ١٣ مشاه بقيادة اليوزباش عمر محمود على بمعاونة مقدمة كتيبة مدافع الماكينة بقيادة البكباشى يوسف صديق هى التى حسمت المسألة باستيلائها على القيادة.

علما بأن الاستيلاء على سلاح الحدود الذى كان يقوده رجل القصر القوى اللواء حسين سرى عامر رجل الملك هى التى حسمت نجاح الثورة، ولذلك حديث خاص إن شئت أرسله إليك للحقيقة والتاريخ - وإذا قرأت الكتيب المرفق ربما تعرف الحقيقة.

ثم إنى أختلف مع الأخ أحمد حمروش فى أمر اللواء محمد نجيب وأؤكد أنه كان متورطا فى عمل مضاد للثورة مع الشيوعيين والإخوان المسلمين والوفديين لضرب الثورة وما قبوله هو والأخ خالد محيى الدين بتنحى الثورة والحلول محلهم وموقفه هو وعبد القادر عودة فى شرفة قصر عابدين وموقف الوفد معهم. كل هذا يؤكد تورطه مع هؤلاء لضرب الثورة.

وقد أخبرنى بذلك الأخ والزميل المرحوم صلاح عبد الحفيظ الذى كان ضابطا بالمدفعية ولم يكن من الضباط الأحرار ولكنه كان من مجموعة يوسف صديق.

أخبرنى بذلك وطلب منى الانضمام إلى هذه المجموعة لضرب الثورة والقضاء عليها وذلك عندما علم أن خلافا بينى وبين المرحوم عبد الحكيم عامر أدى إلى أن قدمت له استقالتى، عندئذ حضر لى صلاح عبد الحفيظ وشجعنى على ترك الثوار والانضمام إليهم.

وكنت أتحاكى كثيرًا من المرحوم السيد / عبد اللطيف البغدادى وعندما حكيت له ذلك قال إنه خلص فى مذكراته إلى هذه النتيجة وهى مسجلة فى ٨٢ صفحة من المذكرات تشهد على صديق روايتى.

وأنا لا ألوم أخى أحمد حمروش فى انحيازه ليوسف صديق ومحمد نجيب رغم أنى أؤكد هذا الانحياز.

الأخ الأستاذ فاروق :

فى عام ٣٧ تولى محمد محمود باشا الحكم بعد إقالة النحاس باشا كانت معاهدة ٣٦ معاهدة الشرف والاستقلال تلزمنا بما لا نطيقه من طرق ومنشآت.. إلخ فذهب محمد محمود إلى بريطانيا لتخفيف هذه الالتزامات أو إلغائها ونجح لصداقته لحكام بريطانيا زملائه فى الدراسة. فهو ابن محمود باشا سليمان من عرض عليه الملك فأبى – قال الوفديون عن ذلك أن محمد محمود سلم البضاعة (يعنى باع مصر) وفى حفل تكريم محمد محمود بهذه المناسبة خطب فيه عباس محمود العقاد بقصيدة قال فيها :

زعـمـوك سـلـمت الـبضـاعـة ساء ما زعموا وساءوا قادة وقَطيعًا
إن كـان تسليم البضاعة هكذا سلم بضائعنا - سلمت - جميعا
وأعقد لنا في كل يوم صفقة واستنفذ المبذول والمجموعا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

قصتى مع الثورة

محمد أحمد البلتاجى
من الضباط الأحرار

السيد الاستاذ فاروق جويدة،،،

ترددت كثيرًا فى كتابة مذكراتى حول ثورة ٥٢ ولكن كثيرا من الأصدقاء طالبوننى بأن أكتب هذه المذكرات كشهادة للتاريخ.. ورأيت فيما بدأته جريدة الأهرام من حوارات حول هذا الموضوع مناسبة طيبة لأشارك فى هذه الحوارات خاصة حيث إننى كنت واحدًا من مؤسسى هذه الثورة..

وفى البداية كانت مصر كلها تعيش فى حالة من الغليان ليس قبيل الثورة مباشرة.. ولكن منذ الثلاثينيات لدرجة أن الجيل الذى صنع الثورة كان من طلاب المدارس الثانوية جامعة فؤاد الأول الجامعة الوحيدة فى ذلك الوقت وأن اتحاد الطلبة هو الذى أجبر النحاس باشا على تكوين جبهة وطنية من الأحزاب

المختلفة لمجابهة الإنجليز.. وللحقيقة والتاريخ أن العلاقات بين الضباط الأحرار كانت قد بدأت بدون سابق معرفة وجمعهم حبهم لبلدهم.

لقائى بعبد الناصر

لم أكن أعرف جمال عبد الناصر حتى أكتوبر عام ١٩٤٠ وكنت وقتها ملازما ثانيا والتقينا بميز الضباط بالقاهرة (استراحة الضباط بمنشية البكرى) وكنت قادما من أسوان وفوجئت أثناء تناولى طعام الغداء بميز الضباط بشخص يسألنى عن أسمى وعن وحدتى فقلت أنا (ملازم ثان / محمد أحمد البلتاجى) وحضرت من أسوان إلى القاهرة ضمن فرقة تعليمية، وتوجهت إليه بدورى نفس السؤال (وحضرتك أنت مين) فرد أنا الملازم أول / جمال عبد الناصر وأنا قادم من وحدتى بالسودان ووجهت إليه سؤالا ثانيا وفى أى وحدة؟ فكانت إجابته بالقوات المصرية بالسودان وحضرت للقاهرة فرقة مخابرات.. وعندما أبديت دهشتى وقلت له مبروك يا جمال.. فأجابنى (أبدا أنا مطرود من السودان لأننى مسبب للواء حسين باشا فايد قائد القوات المصرية بالسودان بعض المتاعب كضابط شاب متحمس لبلدة ضد الإنجليز.. وأنه أراد أن يتخلص منى فرشحنى لفرقة المخابرات..

وتوطدت علاقتى بجمال عبد الناصر والضباط الأحرار بعد عودتنا من فلسطين حرب ١٩٤٨ (وهذا الموضوع حرب فلسطين) فبعد انتهاء المرحلة الأولى من هذه الحرب فى ٧ يناير تقرر نزول القوات المصرية التى شاركت فيها ولأن القيادة العسكرية كانت تشعر بالإحباط الذى يسود الضباط المشاركين فى هذه الحرب قرروا تأجيل نزولنا إلى القاهرة مباشرة وأن ننتظر فى معسكرات الإسماعيلية شرق لتهدئة الشعور الذى كان يسودنا.. وخلال عشرة أيام انتظرناها فى هذه المعسكرات (قدمت لنا القيادة جميع أنواع الترفيه) ثم تقرر نزولنا إلى القاهرة.. وعند وصولنا إلى محطة سكك حديد مصر صدرت أوامر ونحن فى طريقنا إلى ميدان عابدين للاستعراض أمام الملك وأن نعظم تمثال إبراهيم باشا الموجود فى ميدان الأوبرا وأن نقبل يد الملك أثناء الاستعراض ولكننا اتفقنا جميعا على عدم تنفيذ الأمرين..

تكوين تنظيم الضباط الأحرار

بدأ جمال عبد الناصر فى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار بين ضباط الجيش من كافة الاتجاهات الموجودة على الساحة فى ذلك الوقت فكان بعضهم ينتمى إلى الإخوان المسلمين

والبعض الآخر للشيوعيين بينما ينتمى البعض الثالث للأحزاب الأخرى وكانت اللقاءات والاجتماعات تتم فى مجموعات (خلايا) بواقع خلية رئيسية لكل سلاح وكانت الخلية التى يرأسها عبد الحكيم عامر تضمنى (محمد أحمد البلتاجى) وإسماعيل فريد وعبد المحسن أبو النور وكمال رفعت وعباس رضوان..

واقتنعنا جميعا كضباط أحرار بكافة الخلايا أن الاتصال بالأحزاب السياسية الموجودة على الساحة المصرية لن يفيد.. وقررنا أن نعتمد على أنفسنا.

وفى تلك الأثناء كانت سوريا الشقيقة تشهد انقلابا عسكريا تقريبا كل يوم نظرا لتشابه ظروف القادة وتقاربهم فى السن والعمل ولم يكن لهم زعيم يتخذونه رمزا الأمر الذى جعلنا نفكر كتنظيم للضباط الأحرار بشكل جدى فى ضرورة أن يكون هناك رمزا للثورة المصرية وأن يكون هذا الرمز شخصية وطنية محبوبة وتم استعراض جميع القادة العسكريين الكبار بواسطة أشخاص تربطهم بهم علاقات وطيدة حيث رفض بعضهم المبدأ كما رفض بعضهم مجرد التفكير فى ترشيحه وتم الاتفاق على اختيار اللواء / محمد نجيب والذى كان قائدا لحملة فلسطين

ومديرا لسلاح المشاه باعتباره شخصية وطنية محبوبة علاوة على علاقاته الإنسانية المتعددة كثقافته العالية بالإضافة إلى إجماع ضباط الجيش على حبه وسابق ترشيحه لرئاسة نادى الضباط.

التعجيل بقيام الثورة

قرر تنظيم الضباط الأحرار بعد مشاورات واجتماعات ولقاءات كثيرة القيام بالثورة فى عام ١٩٥٤ وذلك حتى نكون على أهبة الاستعداد الكامل من جميع النواحى لهذا الأمر الذى كنا نعتبره خطيرا جدا ولكن هناك أمور عجلت بقيام الثورة من بينها حريق القاهرة وانتخابات نادى الضباط واعتداء الإنجليز على الشرطة المصرية بالإسماعيلية إلى جانب الفساد الداخلى الذى كانت تئن منه مصر علاوة على ذلك علم الملك نفسه بوجود تنظيم للضباط الأحرار داخل الجيش وذلك من خلال المنشورات التى كانت توضع على مكتبه من حين إلى آخر وكان من الأسباب أيضا إعلان اللواء / حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود للقيادة السياسية أنه فى حالة تعيينه وزيرا للحربية فإنه سوف يعمل ويسوى أمورا خطيرة (لا يمكن ذكرها) للضباط الأحرار.

جمال : كان يحب تدخل الجيش لمواجهة الإنجليز

وبعد قيام الإنجليز بالاعتداء على الشرطة المصرية بالإسماعيلية والتى قاومت ببطولة ضد الإنجليز ورغب جمال عبد الناصر أن نحتج لدى حيدر باشا وزير الحربية فى ذلك الوقت وكان من رأيه أن تتدخل القوات المسلحة لمواجهة الاعتداء الأجنبى على مصر ووجهت إليه سؤالا مضمونه (ما هو المطلوب للاحتجاج لدى حيدر باشا وزير الحربية) رد جمال عبد الناصر بقوله نحتاج إلى مجموعة كبيرة من الضباط تتظاهر سلميا لمكتب حيدر باشا ونقول له كان يجب تكليف الجيش بهذه المهمة.. وإن كانت الشرطة قد أظهرت بطولة فى الدفاع عن نفسها فى هذه المعركة.. وقال عبد الناصر مطلوب ٢٠٠ ضابط من بين الضباط الذين شاركوا فى حرب فلسطين والذين تربطهم علاقات طيبة فكان ردى أن حيدر باشا رجل متكبر ومتسلط ولا يقبل الحوار فى مثل هذه الأمور وأن رده علينا سيكون غير مرض (مش شغلكم) وطلبت من جمال عبد الناصر أن نكون جاهزين بالرد عليه.. ولكن جمال عبد الناصر بعد فترة قليلة فى أثناء اجتماع الخلايا قرر إرجاء المظاهرة لدى حيدر باشا حيث أن ضررها سيكون أكبر من نفعها لأنه فى هذه الحالة

سيتم اكتشاف تنظيم الضباط الأحرار بالكامل وأيضا تقرر القيام بعمل إيجابى.

الإعداد لقيام الثورة:

وبعد قرار القيام بعمل إيجابى سنة ٥٢ بدلا من سنة ١٩٥٤ الإعداد ووضع الخطط التنفيذية عن طريق تحديد مهام معينة وواجبات السيطرة على السلاح المختص فى ساعة الصفر وذلك بعد سوء الحالة السياسية فى مصر نتيجة للاعتداء الإنجليزى على الشرطة بالإسماعيلية وحريق القاهرة والعوامل الأخرى التى عجلت بتحديد موعد لقيام الثورة ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بدلا من ١٩٥٤ وكان المسئول عن سلاح المدفعية كل من كمال الدين حسين وصلاح سالم وآخرين وعن سلاح المشاه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين و (البلتاجى) وحمدى عبيد وإسماعيل فريد وعباس رضوان وكمال رفعت وعن سلاح الطيران عبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وحسن إبراهيم ووجيه أباظة وآخرين وعن سلاح الفرسان حسين الشافعى وخالد محيى الدين وآخرين.. وتم بحث موضوع السيطرة على الأسلحة المختلفة بالتفصيل عن طريق الضباط الأحرار ورأينا أن هذا الأمر سيقابل من القادة العسكريين بأوامر

متعرضة.. وتم التفكير في ساعة الصفر أثناء وجودهم بمساكنهم وذلك حتى لا يتمكنوا من الوصول إلى مقار أسلحتهم أو مكاتبهم.

مجموعة الاعتقالات

وبالفعل تم تشكيل مجموعة خاصة للاعتقالات (البلتاجى) وضمت عباس رضوان وإسماعيل فريد وكمال رفعت بالإضافة إلى بعض ضباط قوات المدرعات للمعاونة والحراسة ومجموعة أخرى لاقتحام القيادة العسكرية برئاسة البكباشى يوسف صديق الذى كان موجودا فى معسكر الهايكستب وكان قائد الكتيبة مدافع الماكينة ومعه مجموعة من الضباط.

المفاجأة الكبرى

فى عصر يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ حدث أن توجه أحد ضباط الأحرار إلى منزله وارتدى ملابسه العسكرية فى غير موعده وعندما سألته والدته عن سبب ارتدائه ملابسه العسكرية فى غير مواعيد العمل الرسمية.. قال لها إن هناك عملا كبيرا سيتم الليلة فى الجيش.. وتصادف أن هذا الضابط كان شقيقا للأميرالاى (عميد) بالقوات الجوية.. وكان حيدر باشا يقضى أجازته السنوية بالإسكندرية كعادة جميع أعضاء الحكومة المصرية فى ذلك الوقت.

ووصلت إلى حيدر باشا معلومات عن تكهنات بوجود شيء غير عادى داخل القوات المسلحة فى هذه العملية.. فقام حيدر باشا بالاتصال بالفريق حسين باشا فريد من الإسكندرية رئيس أركان القوات المسلحة بضرورة عقد اجتماع فورى لجميع قادة الجيش وإعطائهم الأوامر باليقظة التامة وأن يتواجدوا بمكاتبهم حيث هناك تحركات غير مفهومة - بالجيش..

وبالفعل تم اجتماع للقادة العسكريين من جميع الأسلحة بمكتب رئيس الأركان فى قيادة الجيش بكوبرى القبة.. وكانت مجموعة الاعتقالات قد تجمعت وتحركنا من مصر الجديدة إلى كوبرى القبة وأثناء وصولنا إلى منطقة المستشفى العسكرى بكوبرى القبة التقينا بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أمام المستشفى فبادرنا عبد الناصر بقوله مأموريتكم أصبحت سهلة بعد أن علمنا بخبر اجتماع قادة الجيش وتم إخطار البكباشى يوسف صديق الذى تحرك بشجاعة وبطولة فورا ومعه مجموعة من الضباط قبل ساعة الصفر المحددة بساعتين تحركوا تحت حراسة البكباشى يوسف منصور صديق وضباطه والصاغ عبد الحليم عبد العال مشيا على الأقدام متوجهين بصحبة الحرس الموجود خلف الكلية الحربية وفى مواجهة القيادة.

وما أن علمنا بذلك تحركنا أيضا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ومحمد البلتاجى وإسماعيل فريد وعباس رضوان من أمام المستشفى متجهين إلى القيادة مشيا على الأقدام أيضا وتقابلنا فى منتصف الطريق فى المنطقة أمام مسجد عبد الناصر الآن.. ودخلنا القيادة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والبلتاجى وإسماعيل فريد وعباس رضوان.

السيطرة على الموقف

طلب جمال عبد الناصر منى أن أنزل إلى السويتش (تليفونات القيادة) الذى كان موجودا بالبدروم ومعى عباس رضوان للاتصال بمختلف الوحدات والمحطات العسكرية خارج القاهرة لمتابعة الموقف بها ظل إسماعيل فريد فى مكتب أركان حرب القيادة وأثناء نزولنا إلى السويتش التقيت بأنور السادات خارجا منه وقلت له إلى أين أنت ذاهب يا أنور فرد أنا ذاهب إلى سلاح الإشارة للاتصال بصلاح سالم برفح - لصعوبة الاتصال به من هنا.

الرد على حيدر باشا

وأثناء اتصالاتنا الخارجية بالمحطات العسكرية فوجئت بحيدر باشا قائد الجيش يطلب من الإسكندرية أى ضابط من

القيادة فأعطانى حكمدار التحويلة وسألنى حيدر باشا من أنت فقلت له أنا يا فندم ضابط عظيم إدارة الجيش فقال لى ما هو الموقف عندك الآن فكان ردى (كل شىء تمام يا فندم).. فقال إذا كانت هناك أية تحركات غير عادية اتصل فورا باللواء حافظ بكرى قائد المدفعية وأردف قائلاً أنت تعرفه.. فقلت نعم يا فندم أنا أعرفه - وكان ضمن القادة المعتقلين الذين توجهوا إلى السجن الحربى - وكان ردى عليه وأنت إن كانت عندك حاجة غير عادية بلغنى بها مباشرة فكان رده مش شغلك (وكان هذا تمويها متبادلا من الطرفين).

العجلة تدور:

ثم دارت العجلة بسرعة وبدأ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الاتصال بالمجموعات وكل الأسلحة بجميع المحطات العسكرية وحدثت فرحة عارمة ورد فعل إيجابى مطلق من جميع الجهات لدرجة أنه أثناء تواجدى بالسويتش أخبرنى جمال عبد الناصر أن الإنجليز قد أيدوا الثورة وسبب إخبارى بهذا النبأ يرجع إلى أننى كنت دائم السؤال عن موقف الإنجليز إذا ما قامت الثورة فى الاجتماعات السابقة وماذا سيكون رد فعلهم خاصة وأنه يوجد لهم ٧٠ (سبعين ألف جندى إنجليزى فى

منطقة القناة) وأن عبد الناصر أراد أن يطمأننى على موقف الإنجليز واستمرت الاتصالات طوال الليل.. وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٢٣ يوليو أخطرنى أحد الضباط المعينين لحراسة القيادة أن هناك شخص يرتدى ملابس مدنية يرغب فى أن يلتقى بالمسئولين وكان هذا الشخص هو الطيار المدنى / حسين صادق عم الملكة ناريمان زوجة الملك فاروق فأخذته إلى حيث يوجد جمال عبد الناصر حيث التقى به وقال لجمال (إن مولانا الملك فاروق يبلغكم موافقته على جميع مطالبكم) ورد جمال عبد الناصر عليه بأنه ليس لنا مطالب وأن هذا العمل الذى قمنا به ما هو إلا عمل داخلى بالجيش وصدق الرجل وانصرف.. وفى الساعة السادسة أيضا سألنى جمال عبد الناصر هل تعرف منزل محمد نجيب.

حضور محمد نجيب للقيادة

فأجبته بعدم علمى بعنوان اللواء / محمد نجيب وكان يقف بجانبى اليوزباشى حسن توفيق من سلاح الإشارة والذى قال لنا أنا أردف يا أفندم منزل اللواء / محمد نجيب والذى كان قد وافق على الاشتراك فى هذه الثورة بكل شعوره الوطنى حيث كان على علم بجميع ما يدور فى اجتماعات الضباط الأحرار

بجميع تفاصيل الخطط التنفيذية ليلة الثورة.. وبالفعل ارتدى الرجل زيه العسكرى وجلس بجوار التليفون بمنزله منتظرا استدعائه فى أى لحظة وعندما ذهب إليه اليوزباشى حسن توفيق حضر معه إلى القيادة.

وبدأت العجلة تدور أكثر وأكثر.. ففى الساعة السادسة والنصف طلب عبد الناصر إذاعة بيان قيام الثورة فى الإذاعة فرد عليه بأن اليوزباشى محيى الدين عبد الرحمن خلف الله قد أذاع البيان منذ لحظات.

عبد الناصر يطلب السادات لإذاعة نبأ الثورة

كان رد عبد الناصر (لأ) أنا عاوز إذاعة البيان عن طريق رجل له خلفية سياسية وكان أنور السادات فى ذلك الوقت متهما فى قضية اغتيال أمين عثمان وله دور بطولى فى الحركة الوطنية ورأى عبد الناصر أن السادات هو الشخصية المناسبة لإذاعة البيان حتى يطمئن الشعب على الذين قاموا بالثورة وطنيون.

ملحوظة :

تردد كلام عن دور محمد نجيب فى ثورة يوليو وأن دوره بطولى وأنه كان على علم بجميع التفاصيل فماذا حدث بعد ذلك؟

التف كثير من السياسيين القدامى حول محمد نجيب أمثال عبد الرازق السنهورى وعبد الجليل العمرى وأفهموه بطريق غير مباشر أن دوره هامشي وأن جمال عبد الناصر كل شيء فتأثر اللواء محمد نجيب بهذا المفهوم كبشر.

ملحوظة :

طلب عبد الناصر من على ماهر رئيس الوزراء فى أول اجتماع لمجلس الوزراء وقبل طرد الملك أن ينفذ مبدأ أساسيًا للثورة وهو قانون الإصلاح الزراعى ولكن على ماهر كان يرى زيادة قيمة ضرائب الأطيان الزراعية تصاعديا ولكن جمال عبد الناصر رد عليه بأننا لسنا فى حاجة إلى أموال وإنما نريد أن نحرر الفلاحين من براثن الإقطاع.

★ ★ ★

قصة الصراع على السلطة
بين محمد نجيب وعبد الناصر

جمال حماد

المؤرخ العسكرى

ومن الضباط الأحرار

إن قصة الصراع علي السلطة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر التى اشتعلت خلال شهرى فبراير ومارس عام ١٩٥٤ لم تنشأ من فراغ وإنما كانت لها جذور دفينة أخذت فى النمو منذ الأشهر الأولى من الثورة فلم يكن عبد الناصر برتبته الصغيرة وشخصيته المجهولة من الكثيرين من أفراد الجيش والشعب بقادر على أن يدخل فى منافسة متكافئة مع محمد نجيب بشعبيته الضخمة بين الجماهير ومكانته المرموقة داخل مصر وخارجها فقد أصبح محمد نجيب بعد أقل من شهرين من قيام الثورة أن يتولى ثلاثة مناصب فى الدولة وهى رئاسة مجلس قيادة الثورة ورئاسة مجلس

الوزراء والقيادة العامة للقوات المسلحة مما جعل فى حوزته سلطات لم يجمع مثلها لشخص واحد من قبله واكتسب محمد نجيب بالإضافة إلى المناصب الرسمية التى كان يتولاها شعبية جارفة فقد تركزت عليه الأضواء باعتباره الرجل الذى قاد الثورة وطرد الملك وأنقذ الشعب المصرى من عهد الظلم والطغيان وأصبح أمل البلاد فى تحريرها من الاحتلال البريطاني الجاثم على صدرها منذ سبعين عاما.

وكان عبد الناصر بحكم أنه الصانع الحقيقى للثورة وقد أصابته الغيرة وخالجه الشعور بالاستيلاء من جراء ذلك الوضع ولهذا بدأ فى التخطيط منذ منتصف عام ٥٣ لازاحة محمد نجيب عن السلطة بعد أن استنفذ أغراضه منه وهو انجاح الثورة وتولى قيادتها وتوصيد دعائمها فى المرحلة الأولى الخطيرة من مراحلها بفضل رتبته الكبيرة وتمتعه بثقة الجيش والشعب مما أكسب الثورة مكانة واحتراما على المستويين العربى والدولى. وكانت أولى خطوات عبد الناصر لتحقيق غرضه فى الحصول على كل أسباب القوة والنفوذ تمهيدا لانفراده بعد ذلك بالحكم هو السيطرة على مقاليد الأمور فى القوات المسلحة باعتبارها العامل الحاسم فى أى صراع يقع بينه وبين محمد نجيب أو عند رغبته فى التخلص من أحد زملائه أعضاء مجلس الثورة فى المستقبل ولذا حرص عبد الناصر قبل إعلان إلغاء

الملكية وقيام الجمهورية فى مصر فى ١٨ يونيو ٥٣ وتولى محمد نجيب رئاسة الجمهورية أن ينتزع قيادة القوات المسلحة منه كى يتولاها صديقه الحميم وموضع ثقته الرائد عبد الحكيم عامر الذى أصر على ترقيته من رائد إلى لواء دفعة واحدة. وبرغم المعارضة العنيفة التى واجهها عبد الناصر من اللواء محمد نجيب وبرغم تذمر بعض أعضاء مجلس الثورة وخاصة عبد اللطيف البغدادى لهذه الترقية الشاذة فإن عبد الناصر لجأ إلى كل الطرق والوسائل حتى نجح فى أن يولى عبد الحكيم القيادة العامة وكان أول قرار وقعه محمد نجيب بوصفه رئيسا للجمهورية هو الأمر الجمهورى رقم ١ بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة مع منحه رتبة اللواء.

وقد حرص عبد الحكيم عامر وضباط مكتبه على إقصاء باقى أعضاء مجلس الثورة عن أسلحتهم بحجة ترك حرية العمل للقائد العام كما حرصوا على إبعاد ضباط الأسلحة عن ممثليهم فى مجلس الثورة كما نجح عبد الناصر بالاشتراك مع عبد الحكيم فى تكوين مجموعات وشلل من أعوان الموالين لهم فى مختلف أسلحة الجيش كان بعضهم من الضباط الأحرار من الصف الثاني والبعض الآخر من الانتهازيين والمنافقين الذين فاتهم شرف الاشتراك فى الثورة فأرادوا ألا تفوتهم فرصة اجتناء المغانم والمناصب وقد قامت هذه

المجموعات بأخطر الأدوار فى أزمتى فبراير ومارس ٥٤ إذ قاوموا كل اتجاه يهدف إلى حل مجلس الثورة أو إعادة الدستور والحريات والحياة النيابية إلى البلاد وكانوا على أتم استعداد لاستخدام السلاح وإغراق مصر فى بحر من الدماء فى سبيل استبقاء السلطة فى أيدى عبد الناصر وعامر وباقى أعضاء المجلس لا إيمانا منهم بأن ذلك كان فيه مصلحة الوطن ولكن ضمانا لاستمرار بقائهم فى مناصبهم الكبيرة والحفاظ على امتيازاتهم ومكاسبهم وخشية أن تؤدى إعادة الحريات ورفع الرقابة عن الصحف إلى افتضاح أمرهم وانكشاف سر ما ارتكبوه من جرائم وآثام وتنكيل بالمواطنين مما كان سيؤدى إلى وقوعهم تحت طائلة القانون وتقديمهم إلى المحاكم لينالوا جزاءهم الرادع.

تفجرت أزمة فبراير ٥٤ بالرسالة التى بعث بها اللواء محمد نجيب مع سكرتيره العسكرى الرائد إسماعيل فريد إلى مجلس قيادة الثورة يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير ٥٤ وكانت تتضمن استقالته من جميع المناصب التى كان يتولاها وكان وقع هذه الاستقالة على أعضاء المجلس وقع الصاعقة. هذا ولم يقدم محمد نجيب استقالته إلا بعد أن أيقن أن استمراره رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الثورة ورئيسا للوزراء أصبح أمرا مستحيلا فقد صبر طويلا على سلسلة متصلة من التجاهلات وعدم الاحترام له من أعضاء مجلس الثورة كما كان

يعاني من هموم كثيرة كشف الستار عن بعضها فى الصفحتين ١٨٦، ١٨٧ من مذكراته (كلمتى للتاريخ) وكلها أسباب تتعلق باستغلال النفوذ وسحب أموال الدولة وبعثرتها كمصاريف سرية وصرفها دون حساب وتوزيع بعضها على الأصدقاء والأنصار مما يفسد ذمم الضباط وضمائرهم. ويمكن تقسيم أزمة فبراير إلى أربع مراحل كما يلى:

* مرحلة الإعلان عن استقالة محمد نجيب: بعد أن عقد مجلس الثورة عدة جلسات حفلت بالعديد من المناقشات والاقتراحات اتخذ المجلس فى الساعة الثانية من صباح يوم الخميس ٢٥ فبراير قراره بقبول استقالة محمد نجيب وتعيين عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء ورئيسا لمجلس قيادة الثورة على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغرا لحين عودة الحياة النيابية للبلاد وكلف المجلس صلاح سالم وزير الإرشاد القومى (الإعلام) بالاتصال بالصحف اليومية لنشر قرارات المجلس فى طبعتها الصباحية وكانت الصحف متوقفة عن الطبع بعد إخطارها بانتظار أخبار هامة وكلف عبد الحكيم عامر باتخاذ الإجراءات لتأمين الأوضاع فى الجيش كما كلف جمال سالم باستدعاء الوزراء المدنيين إلى مقر المجلس لشرح الموقف لهم. وصدرت جميع الصحف المصرية صباح ٢٥ فبراير وهى تحمل فى صدر صفحاتها الأولى وبعناوين مثيرة أنباء قبول استقالة محمد نجيب وتعيين عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء ولمجلس الثورة.

* مرحلة ضغط ضباط الفرسان وإعلان قرارات ٢٧ فبراير:

على الرغم من أن اليوم التالى لإعلان تنحية محمد نجيب كان يوم جمعة فقد قام النقيبان أحمد المصرى وفاروق الأنصارى والملازم أول محمود حجازى من الضباط الأحرار بسلاح الفرسان بدعوة ضباط الفرسان إلى اجتماع عام يوم الجمعة ٢٦ فبراير. وفى الساعة السادسة مساء تجمع فى ميس الآلاى الثاني المدرع المعروف باسم الميس الأخضر ما يربو على مائتى ضابط ولم يحضر الاجتماع خالد محيى الدين عضو مجلس الثورة لفشل الضباط فى الاتصال به كما غاب عن الاجتماع فى بدايته حسين الشافعى مدير سلاح الفرسان وعضو مجلس الثورة ولكنه حضر أثناء انعقاده وكانت مفاجأة له عندما رأى اجتماعا بمثل هذه الدرجة من الضخامة منعقدا فى السلاح الذى يرأسه دون علمه وعندما وصلت أنباء اجتماع ضباط الفرسان إلى عبد الناصر أثناء وجوده فى القيادة العامة بكوبرى القبة التى تواجه معسكر سلاح الفرسان مباشرة توجه فى شجاعة وبدون تردد إلى مقر الاجتماع.

وخلال اجتماع عبد الناصر بضباط الفرسان بعد ذهابه إليهم دار الحوار حول موضوعين أساسيين كان أولهما هو التصرفات الشخصية المعيبة لبعض أعضاء مجلس الثورة وكان ثانيهما هو قضية الديمقراطية والإصرار على عودة محمد نجيب وذكر

عبد الناصر للضباط في نهاية الاجتماع انه سيتوجه إلى القيادة العامة لعقد اجتماع لمجلس الثورة وعرض مطالب ضباط الفرسان عليه.. وعقد عبد الناصر بالفعل اجتماعا لمجلس الثورة حضره جميع أعضائه بمن فيهم خالد محيى الدين وروى عبد الناصر للمجلس تفاصيل ما دار أثناء اجتماعه بضباط الفرسان، وفى الساعة الثالثة من صباح يوم السبت ٢٧ فبراير ٥٤ توجه عبد الناصر ويرفقته خالد محيى الدين إلى سلاح الفرسان حيث أعلن على الضباط المجتمعين القرارات التى اتخذها مجلس الثورة وهى أولا - حل مجلس قيادة الثورة وعدم عودة أعضائه إلى صفوف الجيش. ثانيا - إعادة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية. ثالثا - تعيين خالد محيى الدين رئيسا لوزارة مدنية على أن يعيد الحياة النيابية فى أقرب وقت ممكن. رابعا - استقالة عبد الحكيم عامر القائد العام من منصبه وترك الحرية لخالد محيى الدين لتعيين قائد عام بدلا منه.

وتوجه خالد محيى الدين ويرفقته ثلاثة من الضباط (من رجال عبد الناصر) إلى دار محمد نجيب فى الزيتون حيث أيقظه من نومه ويلّغه بقرارات مجلس الثورة فوافق عليها فى الحال.

* مرحلة تراجع مجلس الثورة عن قراراته: لم يلبث الموقف أن انقلب رأسا على عقب بعد فترة قصيرة فلم يكد بعض ضباط الصف الثاني من الضباط الأحرار ويعض الضباط الآخرين الذين ارتبطت

مصالحهم ببقاء مجلس الثورة لما يجنونه من فوائد ومكاسب شخصية يحضرون إلى مبنى القيادة بكوبرى القبة ويعلمون بقرارات المجلس حتى أعلنوا رفضهم الاستجابة لها ولما أدركوا إصرار أعضاء مجلس الثورة على تنفيذها ثارت ثائرتهم وأعلنوا عزمهم على تدمير سلاح الفرسان واحتجزوا أعضاء مجلس الثورة فى غرفة الاجتماعات واضعين حراسة منهم على بابها لمنعهم من الخروج وانسحب معظهم إلى وحداتهم لكى يحركوها لحصار معسكر سلاح الفرسان. وقبيل الفجر أصبحت ثكنات سلاح الفرسان بكوبرى القبة محاصرة ببطاريات من المدفعية المضادة للدبابات وسرايا من المشاة ومدافع الماكينة، ولم يكد يشرق النهار حتى حلقت بعض الطائرات على ارتفاع منخفض فوق الثكنات مما رفع الروح المعنوية لعبد الناصر وزملائه.

* مرحلة الضغط الشعبى وعودة نجيب: لم يتخيل أعضاء مجلس الثورة أن زمام الموقف سيفلت من أيديهم ثانية بعد أن نجح أعوانهم فى حصار ثكنات الفرسان بقواتهم والقيام بمظاهرة الضغط عليهم داخل القيادة العامة حتى أرغموهم على التراجع عن قراراتهم التى أعلنها عبد الناصر على ضباط سلاح الفرسان ولكن الموقف لم يلبث أن أفلت زمامه منهم بصورة غير متوقعة فقد أخذت الشوارع وسط العاصمة تموج بحشود هائلة من المواطنين تجمعوا فى

مظاهرات صاخبة كان يقود معظمها عناصر من الإخوان المسلمين - برغم أن معظم زعمائهم كانوا فى السجون والمعتقلات بعد صدور القرار بحل جماعتهم فى ١٣ يناير ٥٤، وكانت الجماهير تهتف (محمد نجيب أو الثورة) وفى نفس الوقت عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض المدن السودانية وهى تهتف (لا وحدة بلا نجيب)، وفضلا عن هذه المظاهرات الشعبية العارمة تأزم الوضع فى الجيش مرة أخرى إثر اعتقال ضباط من سلاح الفرسان بعد أن طلبوا حضور وفد منهم إلى القيادة العامة للتفاهم معهم فإذا بالأمر يصدر باعتقالهم وسرعان ما وجه بعض ضباط سلاح الفرسان إنذارا بأنه إذا لم يفرج عن زملائهم فإنهم سيقصفون بمدافع دباباتهم مبنى القيادة المواجه لثكنات الفرسان مباشرة وازداد الموقف حرجا بإعلان ضباط المنطقة الشمالية بالإسكندرية اعتراضهم على تنحية محمد نجيب. وفى الثالثة بعد الظهر انصرف أعضاء مجلس الثورة بعد أن استبد بهم الإرهاق من مبنى القيادة ولم يبق بها سوى عبد الناصر الذى فوضه زملاؤه بالتصرف إذا ساءت الأمور أثناء غيابهم. وعندما كان صلاح سالم فى طريقه إلى بيت مدير مكتبه جلال فيظى (كان جمال عبد الناصر وزملاؤه أعضاء المجلس فى هذه الفترة لا ينامون فى بيوتهم خشية وقوع محاولات للاعتداء عليهم أو اعتقالهم) فوجئ عند اقترابه من وسط المدينة بجموع

الشعب الحاشدة التى ملأت شوارع القاهرة تسد عليه الطريق وهى تهتف بحياة محمد نجيب واستدار صلاح سالم عائدا إلى مبنى القيادة ووصف لعبد الناصر ما شاهده من مظاهر التأييد الشعبى الجارف لمحمد نجيب وأبدى له رأيه فى ضرورة عودته منعا لانفجار الموقف. وعندما لم يجد عبد الناصر جوابا لفرط ارتباكه ويأسه كرر صلاح سالم عليه الاقتراح عدة مرات ولكنه لم ينطق بحرف فقال صلاح سالم: «سأبلغ الخبر للإذاعة» واستمر صمت عبد الناصر وكرر صلاح عباراته بإلحاح ولكن عبد الناصر ظل محتفظا بصمته. ولم يجد صلاح سالم بدا من تبليغ الاذاعة وفوجئ أعضاء مجلس الثورة فى منازلهم ببيان تذيعه الإذاعة فى الساعة السادسة مساء يوم ٢٧ فبراير ٥٤ كان نصه: «حفاظا على وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك».

كانت عودة محمد نجيب بعد يومين فقط من إعلان مجلس الثورة قبول استقالته حادثا مشهودا كان يمكن أن يصبح نقطة تحول لا فى تاريخ الثورة فحسب بل فى تاريخ مصر عامة فإن عودته بهذه الطريقة كانت تعنى أن محمد نجيب لم يعد يتولى قيادة البلاد بارادة مجلس الثورة كما كان الحال من قبل وإنما بإرادة الشعب المصرى وكان فى استطاعته لو شاء استغلال انتصاره الساحق للإطاحة

بخصومه من أعضاء مجلس الثورة وأولئك الذين يشدون أزرهم داخل الجيش وخارجه ولكن طبيعة محمد نجيب وشخصيته الفريدة فى نوعها من حيث الطيبة والتسامح وغفران الإساءة حالت دون اتخاذه أى اجراءات حاسمة للتخلص من مجلس الثورة برغم ما أظهره له هذا المجلس من قبل من مظاهر التجاهل والعداء بصورة سافرة مما أجبره على تقديم استقالته التى كانت السبب المباشر فى نشوب أزمة فبراير.

وعلى الرغم من أنه كان واضحا أن عبد الناصر ومن ورائه أعضاء مجلس الثورة قد تلقوا هزيمة مريرة وأنهم لن يكفوا عن حبك المكائد وتدبير المؤامرات حتى يقتلعوه من مكانه اقتلاعا لا يتيح له الفرصة للعودة مرة أخرى فإن محمد نجيب بطيبة قلبه المفرطة لم يلبث أن انخدع بمظاهر الود والإخاء الزائفة التى أحاطه بها أعضاء المجلس وكان يحث الجماهير التى كانت تتوافد عليه فى ميدان عابدين من حين لآخر للهتاف بحياته وإعلان تأييدها له بالالتفاف حول أعضاء مجلس الثورة فقد عادوا جميعا يدا واحدة وكلمة واحدة.

إعلان قرارات ٥ مارس ٥٤: فى يوم الخميس ٤ مارس اجتمع مجلس الثورة فى منزل عبد الناصر لأول مرة بعد أحداث أزمة فبراير ويدأ المجلس فى مناقشة الأوضاع الجديدة التى ترتبت على عودة محمد نجيب إلى السلطة بهذه الكيفية وكان أهمها فقدان مجلس

الثورة للكثير من هيبته وقوته وكان الوضع فى القوات المسلحة هو أشد ما أثار القلق فى نفوس أعضاء المجلس فلقد حدث انقسام خطير بلا شك فى صفوف القوات المسلحة أثناء أحداث أزمة فبراير وكادت أسلحة الجيش تشتبك مع بعضها البعض فى اشتباكات مسلحة مما كان ينذر فى حالة تجدد الصراع على السلطة بنشوب حرب أهلية وبعد مناقشة المجلس لاقتراحات عديدة متباينة اقترح صلاح سالم حلا وجد فى الجميع ضالتهم المنشودة للخروج من ذلك المأزق الذى يواجهونه وهو عودة الحياة النيابية فى أسرع وقت ممكن وكان تنفيذ ذلك الأمر يستدعى من وجهة نظرهم ضرورة تكوين حزب للثورة يرأسه محمد نجيب للاستفادة بشعبيته عند دخول الانتخابات. وفى يوم الجمعة ٥ مارس عقد اجتماع بمنزل على ماهر رئيس لجنة إعداد الدستور حضره محمد نجيب رئيس الجمهورية وجمال عبد الناصر رئيس الوزراء والدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة حيث تمت مناقشة المدة المحتملة لانتهاء لجنة إعداد الدستور الجديد من عملها كما بحثت الخطوات التى سوف تتخذ من أجل إعادة الحياة النيابية إلى البلاد وعقب انتهاء الاجتماع توجه محمد نجيب وعبد الناصر والسنهورى إلى منزل عبد الناصر بمنشية البكرى حيث كان أعضاء مجلس الثورة مجتمعين هناك انتظارا لحضورهم. وحدّث عبد الناصر زملاءه أعضاء المجلس عن الخطوات التى تم الاتفاق عليها مع على ماهر والسنهورى بحضور رئيس الجمهورية لإعادة

الحياة النيابية إلى البلاد تنفيذا للقرار الذى اتخذه مجلس الثورة فى اليوم السابق. وبعد أن وافق مجلس الثورة على هذه الخطوات وأصدر قرارا إجماعيا بها قام عبد الناصر حيث أعلن بنفسه على الصحفيين ومندوبى وكالات الأنباء تلك القرارات الهامة التى عرفت باسم قرارات ٥ مارس ٥٤ وكانت تتضمن ما يلى:

* انتخاب جمعية تأسيسية بطريق الاقتراع المباشر فى يونيو ٥٤ على أن تنعقد فى ٢٣ يوليو ٥٤ ويكون لها مهمتان:

١ - مناقشة وإقرار الدستور الجديد الذى وضعته لجنة إعداد الدستور.

٢ - القيام بعمل البرلمان إلى أن يتم انتخاب مجلس النواب وفقا للدستور الجديد

* إلغاء الرقابة على الصحف اعتبارا من يوم السبت ٦ مارس فيما عدا الشئون الخاصة بالدفاع.

* إلغاء الأحكام العرفية قبل بدء انتخابات الجمعية التأسيسية بشهر على الأقل.

وعلى الرغم من البيانات والتصريحات التى كانت تملأ أعمدة الصحف بعد انتهاء أزمة فبراير ٥٤ والصادرة من نجيب وعبد الناصر وبعض أعضاء مجلس الثور والتى كانت تتحدث عن

توحيد الكلمة ونسيان الماضى وكيف أصبح قادة الثورة قلبا واحدا ويدا واحدة فإن واقع الحال كان يخالف ذلك تماما فإن عبد الناصر الذى اعتقد أنه نجح فى إزاحة محمد نجيب عند إعلان مجلس الثورة قبول استقالته فى ٢٥ فبراير ٥٤ لم يلبث أن أفجعته الحقيقة المرة وهى أن محمد نجيب بعد أحداث أزمة فبراير ٥٤ قد عاد أعظم قوة وأشد بأسا من ذى قبل ودانت له زعامة مصر بلا منازع وعلى الرغم من أن عبد الناصر كان يمسك بين يديه بزمام السلطة الفعلية فى البلاد بعد أن أسند إليه مجلس الثورة إثر استقالة محمد نجيب رئاسة مجلس الثورة ورئاسة الوزارة فإن هذه السلطة كانت مهددة بالانهيار. أما محمد نجيب والذى أصبح يستقبل فى كل مكان استقبال الأبطال وأصبح زعيما للشعب بلا جدال فلم يكن من المعقول بعد أن أحس بشعبيته الجارفة أن يقنع بمنصبه الشرفى كرئيس للجمهورية البرلمانية بدون سلطات وفى زيارة من محمد نجيب للدكتور عبد الرزاق السنهورى فى منزله مساء يوم ٧ مارس وتصادف وجود سليمان حافظ وعبد الجليل العمرى هناك طلب السنهورى من محمد نجيب أن يعمل على تصفية النفوس وازالة التوتر بينه وبين مجلس الثورة فأخذ نجيب يشرح للسنهورى ما لقيه قبل الاستقالة من تجن وإحراج وعدوان وروى له ما حدث أثناء تحديد إقامته واعتقاله عقب تقديم استقالته من تعدى بعض صغار الضباط .

عليه وأخذت الدهشة الدكتور السنهورى لما سمعه وسأل محمد نجيب عن الضمانات التى يبتغيها لاستقرار الأحوال فحددها له باختصار وعقب انصراف محمد نجيب قام السنهورى بالاتصال هاتفيا بعبد الناصر وطلب منه الحضور إلى منزله فى صباح اليوم التالى حيث سيكون فى انتظاره هو وسليمان حافظ وعبد الجليل العمرى كى يعرف منهم مطالب محمد نجيب.

واستمع عبد الناصر وبرفقته جمال سالم فى صباح اليوم التالى وهما فى منزل السنهورى إلى مطالب محمد نجيب ووعد عبد الناصر السنهورى بأنه سيعود إليه بالرد فى الساعة الخامسة من نفس اليوم. وخلال اجتماع عبد الناصر بمجلس الثورة لمناقشة مطالب محمد نجيب اتصل به سليمان حافظ هاتفيا لإبلاغه بمطالب جديدة أخرى لمحمد نجيب وبدا بوضوح لمجلس الثورة أن محمد نجيب انتهز الفرصة لحشد مزيد من السلطات لشخصه وزادت هذه المطالب المتلاحقة بطبيعة الحال من توتر الوضع فى مجلس الثورة وبدأت تنمو بذرة التراجع عن قرارات ٥ مارس.

وفى مساء نفس اليوم – ٨ مارس – اجتمع المؤتمر المشترك من مجلسى الثورة والوزراء برئاسة عبد الناصر وحضر الاجتماع سليمان حافظ وبعد مناقشات عديدة وافق أعضاء المؤتمر على اقتراح الدكتور حسن بغدادى وزير التجارة بمطالبة محمد نجيب بحضور

هذه الجلسة واتصل به على الفور سليمان حافظ هاتفيا طالبا منه حضور الاجتماع للتفاهم معه وفقا لرغبة أعضاء المؤتمر المشترك فوافق بلا تردد. وعقب حضور محمد نجيب دارت مناقشات عديدة ناشد فيها الوزراء المدنيون محمد نجيب وأعضاء مجلس الثورة إزالة سوء التفاهم الموجود بينهما وضرورة تصفية ما فى النفوس وعودة الثقة بين الجميع حرصا على مصلحة البلاد. وتحدث محمد نجيب فى النهاية قائلا إنه فى هذه الحالة ينبغى أن تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل تقديم استقالته وبعد لحظات من التفكير وافق عبد الناصر على التنازل لمحمد نجيب عن قيادة الثورة ورئاسة الوزارة ووافق على ذلك أيضا جميع أعضاء مجلس الثورة وترتب على ذلك تعديل الأوضاع فى الوزارة لتعود كما كانت قبل أزمة فبراير ٥٤.

هذا وقد كان للبند الخاص بإلغاء الرقابة على الصحف الذى تضمنته قرارات ٥ مارس آثار خطير لم يكن يتوقعها أحد فقد شنت بعض الصحف وخاصة جريدة المصرى التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد أبو الفتح وجريدة الجمهور المصرى التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أبو الخير نجيب حملات ضارية على الثورة وضباطها ووجهت لهم اتهامات قاسية تتعلق بتصرفاتهم الشخصية وذمتهم المالية وانهالت القرارات المعارضة والمؤيدة للديمقراطية من مؤتمرات الطلاب وأساتذة الجامعات ونقابتى المحامين

والصحفيين وغيرهم مما أثار مخاوف أعضاء مجلس الثورة من المستقبل وبما آثار حفيظة بعض ضباط الجيش ضد قرارات ٥ مارس وضد الديمقراطية فى هذه الآونة الحرجة من مسيرة الثورة وخاصة بعد ما جلبته لهم من شتائم وإهانات مما أحرج مركزهم وأصابهم بالإحباط والخوف من المستقبل.

ويرغم أن أعضاء مجلس الثورة قد وافقوا من قبل بالإجماع على قرارات ٥ مارس إلا أنهم إزاء الروح العدائية التى واجهتهم وبدافع من حب البقاء والاستئثار بالسلطة قام بعضهم بتدبير خطة استهدفت ضرورة إلغاء قرارات ٥ مارس وبقاء مجلس الثورة وتم تنفيذ ذلك المخطط بالطريقة المثالية.

* كشف البغدادى عن سر خطير فى الصحفة ١٤٦ من مذكراته الجزء الأول ففى زيارة قام بها البغدادى وكمال حسين وحسن إبراهيم يوم ٢١ مارس لمنزل عبد الناصر بسبب مرضه أبلغهم أن الانفجارات الستة التى حدثت فى اليوم السابق فى محطة سكة حديد مصر وجامعة القاهرة ومحل جروبى والتى روعت القاهرة إنما هى من تدبيره لأنه كان يرغب فى إثارة البلبلة فى نفوس الناس ويجعلهم يشعرون بعدم الأمن والطمأنينة وليشعروا بأنهم فى حاجة إلى من يحميهم.

* عقب اجتماع المؤتمر المشترك من مجلسى الثورة والوزراء

برياسة اللواء محمد نجيب يومى ١٦، ٢٠ مارس ٥٤ دارت مناقشات عديدة انتهت بصدور قرارات خطيرة ولكن لم تبذل أية محاولات جدية لتنفيذ أى بند منها مما كان يدل على عدم صدق نوايا مجلس الثورة فى إقامة الحياة الديمقراطية السليمة فى مصر برغم أنه المبدأ السادس من مبادئ ثورة ٢٣ يوليو.

* فى اجتماع مجلس الثورة يوم ٢٥ مارس ٥٤ برياسة اللواء محمد نجيب تقدم عبد الناصر والبغدادى باقتراحين كانا على طرفى نقيض ففى حين كان اقتراح عبد الناصر بمثابة تصفية تامة للثورة إذ كان يتضمن حل مجلس الثورة وعودة الأحزاب وتسليم البلاد لممثلى الأمة الشرعيين وكان واضحا أن بنوده كانت تتضمن التطرف المتعمد والمغالاة المقصودة للإيحاء بأن الثورة سوف تنتهى وأن نظام الحكم السابق على الثورة سيعود بكل مفاسده وشروره بينما كان اقتراح البغدادى على العكس إذ كان يعنى إلغاء قرارات ٥ مارس والنكوص عن طريق الديمقراطية واستخدام الشدة والعنف ضد كل من تسول له نفسه الوقوف فى طريق الثورة. وعند التصويت فاز اقتراح عبد الناصر بالأغلبية إذ حصل على ثمانية أصوات ضد أربعة أصوات وكان الهدف الحقيقى من اقرار اقتراح عبد الناصر هو تحريض الجيش وإثارته على اعتبار أن الهيئات والطوائف المدنية المعادية للثورة تريد تصفية الثورة وإعادة الجيش

إلى ثكناته مما كان يعنى حرمان العديد من الضباط من امتيازاتهم وتعريض بعضهم للمسائلة والعقاب جزاء على ما اقترفوه من خطايا ومخالفات فى عهد الثورة وبالإضافة إلى ذلك تحريض الطبقات العاملة واستفزازها بالإيحاء لهم بأن تنفيذ قرارات ٢٥ مارس يعيعنيإلغاء الثورة وعودة نظام الحكم السابق مما يهدد هذه الطبقات بزوال قوانين العمل والضمانات التى أوجدتها الثورة للحفاظ على حقوق العمال.

* وجهت القيادة العامة للقوات المسلحة أسلحة الجيش وتشكيلاته لعقد اجتماعات عامة لضباطها وإصدار القرارات بتأييد بقاء مجلس الثورة والمطالبة بإلغاء قرارات ٢٥ مارس فورا ثم يتم ابلاغ هذه القرارات للقائد العام وهو بدوره يقوم بإبلاغها إلى محمد نجيب.

* فى يوم ٢٨ مارس بدأت خيوط التدبير تتضح فقد شهدت مصر أضخم حركة اعتصام وإضراب لم تشهدها منذ ثورة ١٩١٩ وذلك بتوجيه من هيئة التحرير وأصيبت حركة المواصلات فى القاهرة منذ الصباح بالشلل التام نتيجة للقرارات التى اتخذها اتحاد نقابات عمال النقل المشترك برياسة صاوى أحمد صاوى والذى شاركهم فيه عدد كبير من النقابات العمالية الأخرى وعاشت القاهرة ٤٨ ساعة بدون مواصلات، وقد اعترف عبد الناصر لخالد محيى

الدين كما ورد في الصفحة ٣٥٠ من كتابه (والآن أتكلم) عن مسئوليته في تدبير أحداث أزمة مارس كما يلي: «وقال عبد الناصر بصراحة أنه رتب أحداث أزمة مارس وتحديدا إضراب عمال النقل وما لحق به من إضرابات ومظاهرات عمالية وأن ترتيب هذه الأحداث كلفه أربعة آلاف جنيه». وفي منتصف الساعة السابعة من مساء الاثنين ٢٩ مارس عقد الرائد صلاح سالم وزير الإرشاد القومي مؤتمرا صحفيا بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة أعلن خلا إن مجلس الثورة قرر حمل المسئولية كاملة على عاتقه واتخذ القرارات التالية: أولا - إرجاء تنفيذ القرارات التي صدرت يوم ٥، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال، ثانيا - يشكل فورا مجلس استشاري يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون.

وفي مساء يوم السبت ١٧ إبريل عقد مجلس الثورة اجتماعه برياسة عبد الناصر واتفق رأى المجلس خلال هذا الاجتماع على أن يكتفي اللواء محمد نجيب برياسة الجمهورية فقط وأن يتولى عبد الناصر رياسة الوزارة بدلا منه. وكانت تنحية محمد نجيب من رياسة الوزارة بمثابة تنحيته عن السلطة تماما وانتهت في الواقع المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع على السلطة بينه وبين عبد الناصر، ففي الوقت الذي تجمعت فيه كل خيوط السلطة في يد

عبد الناصر قبع محمد نجيب ساكنا فى مكتبه بقصر عابدين دون أية سلطة أو نفوذا انتظارا لمصيره المحتوم. وفى ١٤ نوفمبر ٥٤ أصدر مجلس الثورة قرارا باعفاء محمد نجيب من منصب رئيس الجمهورية على أن يتولى مجلس الوزراء سلطات رئيس الجمهورية كما صدر قرار بتحديد إقامة محمد نجيب خارج القاهرة وحرمانه من حقوقه السياسية لمدة عشر سنوات وظل محمد نجيب محدد الإقامة فى استراحة السيدة زينب الوكيل بالمرج لمدة ١٨ سنة.

★ ★ ★

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

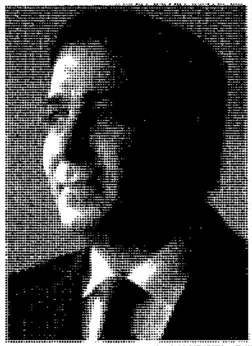
مؤلفات الشاعر

فـــاروق جـويـــدة

- أوراق من حديقة أكتوبر «ديوان شعر» ١٩٧٤.
- حبيبتى لا ترحلى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- أموال مصر كيف ضاعت «اقتصاد» الطبعة الأولى ١٩٧٦.
- ويبقى الحب «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٧.
- وللأشواق عودة «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٨.
- فى عينيك عنوانى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٧٩.
- الوزير العاشق «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى ١٩٨١.
- بلاد السحر والخيال «أدب رحلات» الطبعة الأولى ١٩٨١.
- دائما أنت بقلبى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨١.
- لأنى أحبك «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨٢.
- شىء سيبقى بيننا «ديوان شعر» ١٩٨٣.
- طاوعنى قلبى فى النسيان «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨٦.
- لن أبيع العمر «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٨٩.

- زمان القهر علمنى «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- كانت لنا أوطان «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٩١.
- آخر ليالى الحلم «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- قالت «خواطر نثرية» الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- شباب فى الزمن الخطأ الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- دماء على ستار الكعبة «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- الخديوى «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- فاروق جويدة «المجموعة الكاملة».
- ألف وجه للقمر «ديوان شعر» الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- عمر من ورق «خواطر نثرية» الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- قضايا ساخنة جداً الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- عبد الوهاب وأوراقه الخاصة الطبعة الثانية ١٩٩٨.
- لو أننا لم نفترق الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- ليس للحب آوان «خواطر نثرية» الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- آثار مصر .. كيف هانت الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- حبيبتى .. ولكن «خواطر نثرية» الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- من يكتب تاريخ ثورة يوليو الطبعة الأولى ١٩٩٩.

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩



من يكتب تاريخ ثورة يوليو

لم تكن ثورة يوليو حدثاً عابراً فى تاريخ مصر المعاصر..
إنها بكل المقاييس أهم وأخطر أحداث التاريخ المصرى
فى هذا القرن ..
وبقدر أهمية الحدث كان الخلاف حوله ..
وبقيت ثورة يوليو حتى الآن من أكثر مناطق الخلاف
بين الباحثين والمؤرخين وربما كان السبب الرئيسى
وراء ذلك هو غياب الكثير من حقائق هذه الثورة حتى الآن
وهذا الكتاب يحاول أن يكشف بعض هذه الحقائق
وربما كان ذلك بداية لكتابة تاريخ صحيح عن ثورة يوليو ..
لقد اجتهد الكثيرون وكتب الكثيرون أيضا
سواء فى شكل دراسات أو مذكرات أو روايات ..
ولكن الجزء الأكبر من الحقائق ظل غائبا ..
من أجل هذا يجئ هذا الكتاب ليضع سؤالا مهما ..
من الذى يكتب تاريخ ثورة يوليو ؟ ..
وربما يكون هذا الكتاب بداية لإجابة صحيحة
عن هذا السؤال.

فاروق جويدة